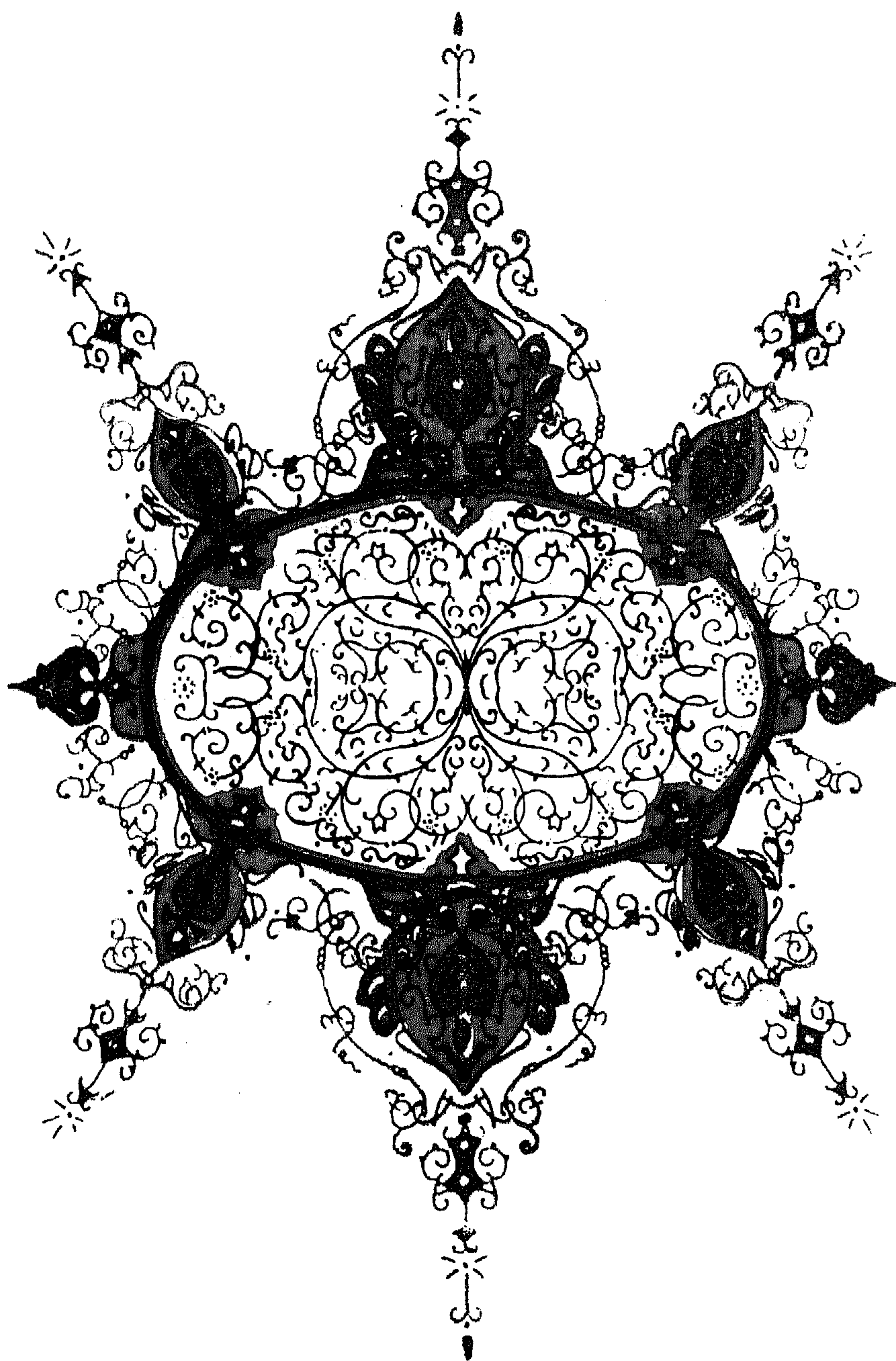


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء السابع والخمسون
صفر ١٤٠٦ هـ
نوفمبر ١٩٨٥ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء السابع والخمسون
صفر ١٤٠٦ هـ - نوفمبر ١٩٨٥ م

المشرف على المجلة:
الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:
إبراهيم التريزي

قام بمراجعة هذا الجزء من المجلة السادة
المحررون بالمجمع :

- محمد مصطفى منصور *
- سميرة صادق شعلان *
- جمال عبد الحى أحمد *

الفهرس

تصدير :

● للدكتور مهدي علام

ص ٣

بحوث ومقالات :

● القراءات واللهجات

للدكتور على عبد الواحد وافي

ص ٩

● مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ولغة العلم

للدكتور محمود مختار

ص ١٦

● وحدة البنية واختلاف الأنظمة

للدكتور تمام حسان

ص ٢٢

● ثلاث كلمات من التوراة والانجيل

للدكتور عمر فروخ

ص ٥٧

● نظرية النحو القرآني

للدكتور أحمد مكى الأنصاري

ص ٦٤

● بين الحركات والحروف في الاعراب

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

ص ٧٥

● مصادر جلال الدين السيوطي

في كتابه « المزهر »

للدكتور رمضان عبد التواب

ص ١٠٨

● قضية المصطلح اللغوي الحديث

للدكتور محمود فهمي حجازي

ص ١٢٢

● دلالات مشتركة بين العربية والهوسا

للدكتور مصطفى حجازي

ص ١٤١

● ثلاثة من المستعربين

للدكتور حسين مجيب المصري

ص ١٥٣

● اعراب ظاهرة جمالية

للدكتور عبد الحميد ابراهيم

ص ١٥٦

● المستدرک من معانى حرفى التنفيس

للدكتور صبحى عبد المنعم سعيد

ص ١٦٩



● صدف البحر ومحاره
للدكتور على السكري

ص ٢٠٧

شخصيات مجتمعية :

استقبال :

● كلمة الدكتور مهدى علام
في استقبال أعضاء المجمع الثلاثة الجدد
ص ٢١٧

● كلمة الدكتور شوقي ضيف
في استقبال الدكتور حسين مؤنس

ص ٢١٨

● كلمة الدكتور حسين مؤنس
ص ٢٢٣

● كلمة الدكتور حامد جوهر
في استقبال الدكتور عبد العظيم
حفنى صابر

ص ٢٢٧

● كلمة الدكتور عبد العظيم
حفنى صابر
ص ٢٣٠

● كلمة الأستاذ عبد السلام هارون
في استقبال الدكتور كمال بشر

ص ٢٣٧

● كلمة الدكتور كمال بشر

ص ٢٤٢

تأبين :

● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور
في تأبين المرحوم الأستاذ
الشيخ أحمد هريدى

ص ٢٥٠

● كلمة الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار
ص ٢٥١

● كلمة الأسرة

ص ٢٥٦

● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور
في تأبين المرحوم الدكتور حسين خلاف

ص ٢٥٧

● كلمة الدكتور توفيق الطويل
ص ٢٥٨

● كلمة الأسرة

ص ٢٦٢

من أنباء المجمع :

ص ٢٦٥

تصدير

قصيدة ((الناظرين))

بقلم الدكتور محمد مهدى علام

المشرف على المجلة

كان ذلك منذ ستين سنة ، إلا قليلاً . كنت يومئذ أستاذًا بدار العلوم ، وأستاذًا منتدبًا بقسم التخصص بالأزهر . وكنت ألقى محاضرتين (٨ - ١٠ صباحاً) ، بدار العلوم ، وأمشي إلى الحلمية ، حيث كان قسم التخصص في شارع البرموني (به الآن معهد أزهرى) . وكان بمدرسة « التجهيزية لدار العلوم » ، الملحقة بمقر القسم العالى ، فى المنيرة ، مدرس يغادر المبنى فى الوقت الذى أغادره فيه . وكان طريقنا واحدًا حتى قبيل آخره . وعرفنى بنفسه : أنه محمود محمد ناصف^(١) ، المدرس بتجهيزية دار العلوم ، وبالمدرسة الإبراهيمية الثانوية . وأنه لأسباب أهمها أنه كان شديد التحرر - فى ذلك الوقت - غضبت عليه الوزارة غضبة (غير مُضَرَّة) ، واكتفت بأن جعلت له جدولين ، أحدهما فى تجهيزية دار العلوم ، والآخر فى الإبراهيمية الثانوية بجاردن سيتى .

وكنا نقطع الطريق (نحو ٢٥ دقيقة مشيًا) فى أحاديث أدبية ، فقد اتضح لى أنه شاعر ممتاز ، وإن لم يكن ذائع الصيت (خارج دائرة وزارة المعارف التى كانت تعرف فضله) . وتبادلنا شعرنا على مدى الأيام التى جمعت بيننا فى شوارع القاهرة ، من المنيرة إلى جاردن سيتى .

(١) تخرج الأستاذ محمود محمد ناصف من دار العلوم سنة ١٩٠٦ ، وتنقل فى وظائف التدريس بالمدارس الثانوية . أحيل إلى المعاش سنة ١٩٣٧ ، وتوفى سنة ١٩٤٢ (١٨٧٩ - ١٩٤٢) « تقويم دار العلوم » لمحمد عبد الجواد ص ٣٨٣ - ٣٨٤ وكثيرا ما يخلط بينه وبين سى له (الأستاذ محمود أحمد ناصف) الذى كان أستاذًا فى دار العلوم العليا تخرج سنة ١٩٠٩ تقويم دارالعلوم ص ٥١٦ - ٥٩٧

ونقلت عنه قصيدة له بعنوان « الناظران » يصف فيها وضعه في المدرستين اللتين كان يعمل فيهما في وقت واحد ، تحت سلطة الناظر في كل منهما . وقد وضعتها بين مختاراتي في كتاب طبع منذ أكثر من نصف قرن^(١) . وأعتقد أنني أقدمها الان مُتعة أدبية لقراء المجلة :

النَّاسُ دُونِي ، إِذْ لَهُمْ نَاضِرُ	فَرْدٌ ، وَلِي مِنْ دُونِهِمْ نَاضِرَانُ
كَأَلَهُمَا إِنْسَانٌ عَيْنٌ ، وَلِي	عَلَيْهِمَا الرِّفْقُ إِذَا يَنْظُرَانُ
وَرَأْسٌ مَالِي أَنْ يَدُومَا مَعًا ،	فَلَيْسَ يَجْزِي عَنْهُمَا آخِرَانُ
وَإِنْ يَمَسَّ الدَّهْرُ لِي جَانِبًا	يَقُومُ بِنَصْرِي مِنْهُمَا نَاصِرَانُ
وَإِنْ طَلَبْتُ الزَّيْدَ فِي رَتَبِي	يَشْهَدُ بِي أَدْلَى بِهِ عَادِلَانُ

* * *

تَنَازَعَانِي ، وَالْهَوَى وَاحِدٌ ،	فَلَيْسَ غَيْرِي مِنْهُ عَاشِقَانُ
رَضِيتُ مَا يُرْضِيهِمَا ، إِذْ هُمَا	بِمَا أَلَاقِي فِيهِمَا شَاعِرَانُ
لَوْ كَانَتَانِي نَقَلَ رَضْوَى لِمَا	فَعَلْتُ إِلَّا مَا بِهِ يَأْمُرَانُ
وَإِنْ يَقُولَا : ادَّابُ بِلَا فِتْرَةٍ ،	دَأْبْتُ حَتَّى يَتَعَبَ الدَّائِبَانُ
لَيْلًا نَهَارًا لَسْتُ أُبْقَى عَلَى	نَفْسِي ، وَلَا أَنْبَتُ إِذْ يُجْهَدَانُ
فِيَّانُ لِي عَظْمًا حَاسِدًا ، وَلَوْ	يَلُومُ فِيهِ الضَّرْبُ لَا يُسْتَلَانُ
وَإِنَّ لِي رَجُلَيْنِ مِنْ حَافِرِ	حَدَاهُمَا الْبَيْطَارُ ، لَا تَحْفَيَانُ
فَلَوْ أَرَادَا أَنْ أَكُونَ لَدَى	كُلِيهِمَا فِي ذَاتِ وَقْتٍ لَكَانُ
بِأَنَّ لِي ذَاتَيْنِ ، ذَاتٍ عَلَى	وَصِفٍ لِإِنْسِي ، وَأُخْرَى لِجَانُ
بَلْ إِنْ يَقُولَا : ادَّابُ دَوَامًا ، وَفِي	غَيْرِ زَمَانٍ ، لَا أَمْسُ الزَّمَانُ

* * *

(١) « بين اليراع والقرطاس في الشرق والغرب » ص ٦٠ - ٦٢ مطبعة دار العلوم ١٩٣٣

كَأَنِّي غَدَوْتُ مِنْ شِقْوَتِي مُوَكَّلٌ بِي دَائِمًا حَارِسَانُ
أَوْ أَنَّنِي حَصَلْتُ فِي رِبْقَةٍ تَجَاذِبَا أَطْرَافَهَا يَخْذَقَانُ
أَوْ أَنَّنِي كَالْقِرْدِ ، فِي جَيْدِهِ حَبْلٌ لِهَذَا ، ثُمَّ حَبْلٌ لِثَانُ
أَوْ أَنَّنِي بِهِمْ بَلِيدٌ ، غَدَا يُلِحُّ فِي اسْتَحْثَاثِهِ ضَارِبَانُ
أَوْ أَنَّنِي الْمَشَاءُ ، مَا إِنَّ يَنْبَى فِي السَّعَى حَتَّى يَفْسُدَ الصَّاحِبَانُ

أَوْ أَنَّنِي الْمُسْتَأْنَاءُ مِنْ حَظِّهِ ، مُسْتَعْجَلًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْأَوَانِ

- ٣ -

قَدْ يُؤَثِّرُ الْمَوْتُ عَلَى عَيْشَةٍ ضَنْكٍ ، وَحَمْلُ الذُّلِّ لَا يُسْتَهَانُ
لَكِنِّي بِاللَّهِ مُسْتَعْصِمٌ ، أَرْضَى بِمَا يَقْضَى ، وَلَوْ بِالْهَوَانُ
لَا يَسْنَامُ الْعَيْشُ ، عَلَى ضَنْكِهِ إِلَّا لَثِيمٌ كَافِرٌ أَوْ جَبَّانُ
وَمَنْ أَرَادَ الدَّهْرَ سَلَمًا لَهُ فَرَأْيُهُ فِي الْعَيْشِ رَأْيُ الْحَسَانِ
مَا فَضَّلَهُ ، إِنْ لَمْ تَقُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا الدَّهْرِ حَرْبٌ عَوَانُ

* * *

رحم الله صاحب « الناظرين » .

مهدي علام
نائب رئيس المجمع



القراءات واللهجات

للكنوز على عبدالواحد داني

ص

أهم أعمال لجنة اللهجات في مجمع اللغة العربية البحث عن اللهجات العربية القديمة، والكشف عما بينها من وجوه الخلاف في شكل المفردات وفي أصواتها ومعانيها، وتصريف المشتقات ووجوه الإعراب وطرائق الأداء . . . وما إلى ذلك ، وبيان ما تركته هذه اللهجات من آثار في اللهجات العامية المتداولة في الوقت الحاضر في البلاد العربية وخاصة مصر .

ولتحقيق هذا الغرض تلجأ اللجنة إلى مراجع كثيرة ، من أهمها التراث العربي شعره ونثره . وهذا مرجع هام جداً ، ينبغي أن تتابع اللجنة الاعتماد عليه ، مع بذل مزيد من التحري في توثيق النصوص ، فقد يكون بعضها موضوعاً ، أو صادراً ممن لا يوثق بعربيته ، أو صادراً بعد عصور الاحتجاج ، أو يكون شكل مفرداته أو أعرابها أو وضع تراكيبه قد جاء لضرورة من ضرورات الشعر .

وأقترح أن توجه اللجنة في هذا الصدد قسطاً كبيراً من العناية إلى قراءات القرآن الكريم ، وخاصة القراءات التي أجمع الباحثون على تواترها أو تواتر معظم ما جاء فيها ، لأن هذا المرجع موثوق به كل الثقة ، ولأن في هذه القراءات مجالاً كبيراً لاستنباط كثير من وجوه الخلاف بين اللهجات القديمة :

وذلك لأن معظم وجوه الاختلاف بين هذه القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية ، وأن الشارع الحكيم قد قصد من تغير هذه الوجوه أن ييسر قراءة القرآن لمعظم قبائل العرب وبطونها التي كانت حينئذ في الجزيرة العربية ، وفق ما درجت عليه ألسنة كل منها في نواحي الأصوات والمفردات والاشتقاق والتراكيب وطرق الأداء . . . وما إلى ذلك .

ويدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه « أن النبي عليه السلام كان عند أضاة بني غفار (وهو

روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده الكبير « إن عثمان بن عفان قد طلب يوماً ، وهو على المنبر يخطب الناس ، أن يقف كل من سمع هذا الحديث من الرسول عليه السلام ، فقاموا حتى لم يحصوا : فقال عثمان وأنا أشهد معكم إننى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد اختلف الحفاظ فى تفسير كلمة « سبعة أحرف » ولكنهم مجمعون على أنها تتضمن تيسيراً لمعظم قبائل العرب ، التى كانت فى الجزيرة العربية فى ذلك العهد ، بأن تقرأ كل قبيلة منها وفق الحرف الذى اعتادته فى لهجتها . وهذا هو ما يهمنا فى موضوعنا .

هذا ، وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « سمعت هشام بن حكيم يقرأ (سورة الفرقان) على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكادت أساوره فى الصلاة . فتصبرت حتى سلم . فلبسته بردائه ، فقات من أقرأك هذه السورة التى أسمعك تقرؤها ، فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقات كذبت ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مستنقع فى المدينة كان ينسب إلى هذه القبيلة) فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف (أى على وجه واحد من وجوه لهجات العرب) ، فقال سل الله معافاته ومعونته ، فإن أمتى لا تطيق ذلك ، (أى لأنها متعددة اللهجات فلا تطيق قراءة القرآن وفق لهجة واحدة) ثم أتاه الثانية ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة بثلاث فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على سبعة أحرف فأبما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » . (النووى على مسلم ١٠٣ - ٦) .

فهذا الحديث صريح فى أن الغرض الأساسى من اختلاف هذه الوجوه هو تيسير قراءة القرآن لاختلاف القبائل ، حتى تستطيع كل قبيلة منها قراءته وفق ما درجت عليه ألسنتها . وذلك أنه يصعب على أفراد قبيلة ما الانتقال من طرائق لهجتها إلى طرائق لهجة أخرى . بل قد يكون ذلك غير مقدور عليه ألبته ، وخاصة فى طوائف الشيوخ والنساء والأميين ، وهذه الطوائف كانت تستقطب حينئذ معظم العرب . وما قلناه فى القبائل تقول مثله فى بطون القبيلة الواحدة .

وقد روى هذا الحديث من عدة وجوه ، وبلغ فى صحته حد التواتر ، حتى لقد

ذكره والخاص بإنزال القرآن على سبعة أحرف (النووي على مسلم ١٠٣ - ٦) .

فهذان الاختلافان (اختلاف عمر مع هشام بن حكيم واختلاف أبي مع ابن مسعود ورجل آخر) يدلان على أن الرسول عليه السلام كان قبل حدوثهما يقرأ القرآن على عدة وجوه . وكل ما هناك أن بعض الصحابة لم يكن قد سمع غير الحرف الذي كان يقرأ به ، ولم يكن قد بلغه الحديث السابق ذكره ، فظن في مبدأ الأمر أن ما سمعه هو الحرف المتعين في القراءة ، حتى هداه الرسول عليه السلام إلى الحقيقة .

وقد قلنا أن معظم وجوه الاختلاف بين القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية ، ولم نقل أن جميع وجوه الاختلاف يرجع إلى هذا الغرض ، لأن طائفة من وجوه الاختلاف بين هذه القراءات لا ترجع إلى اختلاف اللهجات ، وإنما ترجع إلى أمور أخرى كالاختلاف في إثبات حرف أو كلمة أو حذفهما (مثال ذلك : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » ، « وقالوا اتخذ الله ولداً » « فإن الله هو الغني الحميد » في سورة الحديد ، « تجري من تحتها الأنهار » في سورة التوبة ، إثبات الواو في الآيتين الأوليين وإثبات هو في الآية الثالثة وإثبات من في الآية الرابعة في قراءات وحذف هذه الأحرف والكلمات في قراءات أخرى) . وكالاختلاف في توجيه المعنى وجهه خاصة (مثال ذلك : « غلبت

فقلت إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله . اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال كذلك أنزلت . ثم قال اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأتها . فقال كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه » . (٢٠ - ٩ فتح الباري على صحيح البخاري) .

وروى الإمام مسلم في صحيحه أن « أبي ابن كعب قال دخلت المسجد أصلي ، فدخل رجل (هو ابن مسعود) فافتتح سورة النحل فقرأ فخالفتني في القراءة . فلما انفتل قلت من أقرأك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفتني وخالف صاحبي ، فلما انفتل قلت من أقرأك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فدخل في قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية . فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت استقرئ هذين ، فاستقرأ أحدهما فقال أحسنت . فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية . ثم استقرأ الآخر فقال أحسنت . فدخل في صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده ، فقال أعيدك بالله يا أبي من الشك » ثم تلا عليه الحديث السابق

الروم» ، « يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ... » ببناء الفعلين للمجهول في قراءات وبنائهما للمعلوم في قراءات أخرى . - فهذه الأنواع وما شاكلها في اختلاف القراءات لا تهمننا في موضوعنا ، لأنها لا علاقة لها بما نحن في صدد دراسته وهو اختلاف اللهجات .

هذا ، وأرى أن تتجه معظم عنايتنا إلى القراءات السبع المجمع على تواترها ، أو تواتر معظم ما جاء فيها (وهي قراءات ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو بن العلاء وعاصم وحمزة والكسائي) والقراءات الثلاث التي يرجح الباحثون أنها متواترة كذلك (وهي قراءات يعقوب وأبي جعفر وخلف) . - ومعنى التواتر أن معظم ما جاء فيها ثبت سماعه عن الرسول عليه السلام من جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب . فكل قارئ من هؤلاء القراء قد أخذ قراءته مشافهة من صحابي أو تابعي ممن سمعوا هذه القراءة عن الرسول عليه السلام . فعاصم بن أبي النجود مثلاً قد أخذ قراءته - وفق ما رواه هو عن نفسه - عن مصدرين : أحدهما الإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي وقد تابعي هذا قراءته عن عثمان بن عفان وعلى ابن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبى بن كعب عن الرسول عليه السلام ؛ والمصدر الآخر هو الإمام زر بن حبیش عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام . ورواية حفص عن عاصم تمثل ما تلقاه عاصم عن المصدر الأول ،

ورواية شعبه عن عاصم تمثل ما تلقاه عاصم عن المصدر الثاني .

ولم يأت واحد من هؤلاء بشيء من عنده حتى إن كثيراً منهم قد أثر عنه قوله : « لولا أني سمعت الآية على هذا الوجه لأمكن لي قراءتها على وجه آخر » ، و« لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما سمعت لقرأت بحرف كذا وكذا » . ومن أجل ذلك حمل الحفاظ من القراء ورواة الحديث حملة شعواء على الزمخشري في نقده لقراءة ابن عامر : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » ، وظنه أن ابن عامر قد جاء بهذه القراءة من عنده بل كاد بعضهم يحكم بكفره . وفي ذلك يقول ابن المنير في تعقيبه على كلام الزمخشري في تفسيره « الكشاف » « ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة قد قرأها الرسول عليه السلام على جبريل ، ثم رواها النبي على عدد من التواتر من الأئمة إلى أن انتهت إلى ابن عامر ، فقرأها كما سمعها . ولولا أن الزمخشري ليس من أهل الشائين (أعني علم القراءة وعلم الأصول) لخيف عليه الخروج من رتبة الدين ، ولأنه مع هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة » (٢/٤١ الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري مع تعقيبات ابن المنير عليه) .

وأما ما يروى عن بعض أئمة القراءات السبع من عبارات يفهم منها أنهم قد تصرفوا باجتهادهم في قراءة بعض الآيات فهي روايات مختلفة مكذوبة عليهم .

ومع أننى أرى أن تتجه معظم عنايتنا إلى هذه القراءات المتواترة ، فإننى أرى ألا نغفل القراءات الشاذة ، ومنها القراءات الأربع الزائدة على العشر ، وهى قراءات ابن محيصن والأعمش ويحيى اليزيدى والحسن البصرى ، وذلك أن هذه القراءات الشاذة - وإن كان لا يصح التعبد بها ولا قراءتها فى الصلاة - يمكن فى ضوءها الوقوف على كثير من مظاهر الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة . وفى هذا يقول ابن جنى فى كتابه « المحتسب » الذى وقفه على الاحتجاج لشواذ القراءات والإيضاح عنها : « من ضروب هذه القراءات ما سماه أهل زماننا شاذاً ، أى خارجاً عن القراءات السبعة . . . إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله ، أو كثيراً منه ، مساو فى الفصاحة للمجتمع عليه . . . ولسنا نقول ذلك فسمحا بخلاف القراء المجتمعة فى أهل الأمصار على قراءتهم ، أو تسويغاً للعدول عما أقرته الثقات عنهم ، لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً ، وأنه ضارب فى صحة الرواية بجرائه ، آخذ من

سمت العربية مهلة ميدانه ، لئلا يرى مَرَّي (أى لئلا يظن ظان) أن العدول عنه إنما هو غرض منه أو تهمة له . ومعاذ الله ، وكيف يكون هذا ، والرواية تنحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . . . فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونتجنبه . فإن قَصُرَ شَيْءٌ منه عن بلوغه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يقصر عن وجهه من الإعراب داع إلى الفسحة والاسهاب . إلا أننا وإن لم نقرأ فى التلاوة به مخافة الانتشار ، ونتابع من يتبع فى القراءة كل جائز رواية ودراية ، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً (المحتسب ، الأول ، ٣٢ ، ٣٣ تحقيق النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي) .

غير أنه ينبغى اتخاذ مزيد من الاحتياط ومن التحرى فى توثيق النص وفى اسناده لمن يوثق بعربيته حينما يستدل بهذه القراءات الشاذة على اختلاف اللهجات .

وبين أيدينا الآن مراجع كثيرة لجميع هذه القراءات صحيحها وشاذها : فمن أهم المراجع فى القراءات السبع : أبو عبيد القاسم ابن سلام فى كتابه « القراءات » ، « ماورد فى القرآن من لغات العرب » ، وابن مجاهد فى كتابه « السبعة » ، وأبو عمرو اللبني

في كتابه « التيسير » ، والشاطبي في منظومته « حرز الأمانى » ، وأبو شامة في شرحه لهذه المنظومة . - ومن أهم المراجع في القراءات الثلاث المتممة للعشر والتي يرجح الباحثون أنها متواترة كذلك كتاب ابن الجزري « النشر في القراءات العشر » . ومن أهم المراجع في القراءات الأربع بعد العشر كتاب الدمياطي البنا : « اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر » . - ومن أهم المراجع في القراءات الشاذة الأخرى والتي ينسب بعضها لبعض الصحابة كتاب « المصاحف » لابن أبي داود ، و « المحتسب » لابن جنى و « مختصر البديع » لابن خالوية وكتاب « الشوارد للصغاني » .

وبين أيدينا كذلك كثير من تفاسير القرآن التي تعنى ببيان الاختلاف في وجوه القراءات ومن أهمها تفسير « البحر المحيط » لأبي حيان .

وبين أيدينا كذلك مراجع حديثة منها كتاب « القراءات واللهجات » للمرحوم الأستاذ عبد الوهاب حموده وكتاب « مع المصاحف » للمرحوم الشيخ يوسف النور السوداني ومراجع لزملائنا أساتذة علم اللغة وفقه اللغة في الجامعات المصرية وغيرها ، ومنها مؤلفات الأستاذين الحبيرين في اللجنة الدكتورين رمضان عبد التواب وعبد الصبور شاهين .

وقد عرضت أنا لموضوع القراءات واللهجات وما يتصل بذلك في نحو أربعين

صفحة من كتابي « فقه اللغة » وعرضت لهذه الموضوعات كذلك في كتابي « علم اللغة » ، وفي عدة تعليقات على ما جاء في مقدمة ابن خلدون في هذا الصدد، وذلك في الطبعة التي قدمت بتحقيقها والتعليق عليها .

وتدلنا هذه القراءات على وجوه كثيرة من وجوه الاختلاف بين اللهجات واللغات العربية القديمة وما تركته هذه اللغات واللهجات من آثار في اللهجات العامية المتداولة في الوقت الحاضر في مختلف البلاد العربية وخاصة مصر . ومن أهم هذه الوجوه ما يتعلق بالنواحي الأربع الآتية :

١ - اختلاف القراءات في وجوه الأداء تبعاً لاختلاف اللغات واللهجات العربية القديمة ، كالإمالة ، والتسهيل ، والإدغام ، وترقيق بعض الحروف (وخاصة الراء) ، وتغليظ حروف أخرى (وخاصة اللام المفتوحة عند وقوعها بعد صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء مفتوحة أو ساكنة) ، ونقل حركة الحرف إلى الساكن قبله مع حذف هذا الحرف وهو المسمى بالنقل عند القراء ، والهمز وعدمه ، ونخرج الحروف . . . وما إلى ذلك من الوجوه .

٢ - اختلاف القراءات في شكل الكلمات تبعاً لاختلاف اللغات واللهجات العربية القديمة . ففي القرآن الكريم مثلاً من الكلمات اختلفت شكلها باختلاف القراءات ، وكل شكل منها يمثل لغة أو لهجة عربية قديمة .

٣ - اختلاف القراءات في وزن الأفعال
وما يتصرف منها وفي الجمع والتذكير
والتأنيث تبعاً لاختلاف اللغات واللهجات
العربية القديمة

٤ - اختلاف القراءات في الإعراب
تبعاً لاختلاف اللغات واللهجات العربية
القديمة .

وهناك وجه آخر وجه نظرنا إليه زميلنا
الفاضل الأستاذ محمد شوقي أمين في مذكرته
القيمة الملحقه بهذا البحث . وهو اختلاف
معاني المفردات القرآنية تبعاً لاختلاف
اللهجات . وإن كان هذا الوجه لا علاقة
له باختلاف القراءات . لأن هذا النوع
من المفردات لا تختلف في قراءته القراءات .
وينبغي أن يخصص لهذا الموضوع بحث على
حدة ، يالحق بمعجم ألفاظ القرآن الكريم .

وأما فيما يتعلق برجع كل وجه من وجوه
هذه الاختلافات إلى القبيلة التي جاء وفقاً
اللهجتها فإننا نجد كثيراً من ذلك منصوص
عليه في كتب القراءات والتفسير واللغة .
ولا يضيرنا في شيء ألا نجد وجهها من هذه
الوجوه فيما أتيح لنا الإطلاع عليه من مراجع
معزواً إلى القبيلة التي جاء وفقاً للهجتها .
قلناه من المستحيل استقصاء جميع المراجع
في هذا الصدد . ولأنه متى التزم القارئ ،
وخاصة من أصحاب القراءات المتواترة ،

بظاهرة لغوية في جميع مواقعها في القرآن
الكريم ، فإنه لا يمكن أن يكون قد أتى بها من
عنده . ولا بد أن تكون متفقة مع لغة من لغات
العرب . وفي هذه الحالة يكفي أن نقول ،
كما يقول كثير من كتب اللغة : ومن العرب
من يذهب إلى كيت وكيت ودليل ذلك
قراءة فلان وفلان في جميع المواطن التي
وردت فيها هذه المواضع (ونذكر بعض
أمثلة من هذه المواطن) .

وأرى من الخير أن نستعين أحياناً بنخب
في القراءات ، وخاصة في الأمور التي
لا يمكن معرفتها بوجه يقيني إلا بسماعها ممن
تلقوها مشافهة عن موقف ، وذلك كالأمانة
الصغرى والكبرى والتسهيل والروم والإشمام
والنطق بالصدا بين مخرجي الصاد والزاي
وما إلى ذلك . .

هذا ، وينبغي بعد الانتهاء من هذه البحوث
وإقرارها في مجالس الجمع ومجالس المؤتمر أن
تجمع في كتاب بعنوان «القرآن واللهجات» ،
ويعقد فيه لكل وجه من الوجوه الأربع
السابق ذكرها باب على حدة ، يتفرع
عند الاقتضاء إلى عدة فصول ، ويلتزم
فيه بالترتيب الأبجدي في الوجوه التي
تقتضي هذا الترتيب ، مع العناية في كل فصل
من فصول هذا البحث ببيان ما تركته
اللهجات العربية القديمة من آثار في اللهجات
العامة المتداولة في الوقت الحاضر في مصر
وفي البلاد العربية الأخرى .

على عبد الواحد وافي
عضو المجمع

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ولغة العلم للدكتور محمود مختار

العلم واللغة :

أبدأ حديثي عن العلم واللغة بذكر حقيقتين

ثابتتين :

أولهما : أن العلم واللغة عنصران متلازمان من عناصر تقدم الأمة وارتقاؤها . ولا أدل على ذلك من أن اللغة العربية قد ازدهرت في عصور الإسلام الأولى بازدهار العلم في الإسلام ، وأن اللغات الأجنبية الحية قد ازدهرت اليوم بازدهار العلم في أقطارها .

والحقيقة الثانية هي أنه كما أخذ العرب العلم عن الهند والفرس وترجموا الكثير من الكتب السريانية واليونانية ، فقد أعطوا الكثير أيضا من علومهم في الرياضة والفلك والطب والفيزياء والكيمياء ما لا يزال حيا حتى اليوم في جذور العلم الحديث .

ومنذ الثلث الأول من هذا القرن شهد العالم بوادر ثورة عارمة في العلوم وتطبيقاتها تسير بسرعة خارقة ، وتقفز قفزات متلاحقة من عصر الذرة إلى عصر الفضاء ثم عصر الألكترونيات وما إلى كل ذلك . وتعددت فروع العلم وتشعبت وتزاوجت ، وانبثقت منها تكنولوجيا حديثة ذات أضواء ساطعة تغزو العالم في كل مكان وتضفي على ملامحه سمات حضارة حديثة .

وبالأمس القريب صبحا العالم العربي بعد غفوة طويلة ، يطرق أبواب هذه النهضة العلمية والحضارة ويستعيد ماضى أمجاده . فأنشأ الجامعات العلمية والكليات العملية والتطبيقية ووكل إليها مساهمة الركب العلمي الحديث وملاحقته . واستقدم عددا ضخما من الأساتذة الأجانب . واستتبح ذلك بطبيعة الحال استخدام اللغات الأجنبية بمراجعها وكتبها في الدراسة العلمية والتطبيقية.

* حديث ألقى في ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي « المنعقدة في الرباط من ١٨-٢٠ فبراير ١٩٨١ »

وكان من الطبيعي أن تنقضى تلك المرحلة العابرة بسلام وتعود اللغة العربية لتحتل مكانها في التعليم الجامعي بقوة وجدارة لتقود الركب العلمي نحو أهدافه لتحقيق العزة والكرامة للوطن العربي . ولكن المرحلة امتدت والسنون انقضت وعانى الوطن العربي من نوع جديد من الإستعمار هو الإستعمار العلمي الذي رزح على صدرها بجانب أخويه السابقين الإستعمار السياسى والإستعمار الحربى .

وتضخمت الجامعات فى الوطن العربى عدة وعددا حتى غطت جميع أرجائه ، وطرقت التكنولوجيا الحديثة جميع أبواب الحياة من صناعة وزراعة وطب وهندسة وفنون وأعلام وألبستها حللا براقة جذابة ، ولكنها حلل أجنبية مقنعة بأقنعة عربية لم تخفى حقيقتها . فقد كانت أساليب التعليم الجامعى فى هذه العلوم كلها أجنبية ، وكانت المصطلحات الحديثة كلها أجنبية .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

فى هذه المرحلة العصيبة من تاريخ النهضة العلمية الحديثة أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، ونص فى قانون إنشائه « أن يكون قىما على سلامة اللغة العربية ، وليجعل منها لغة وافية بمطالب العلوم والفنون كافة ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحديث » .

وأدرك المجمع رسالته تمام الإدراك

والمصطلحات باداءها منذ اللحظة الأولى من حياته ، فوضع نصب عينيه هدفين جليين يحكمان مساره ، أولهما الحفاظ على سلامة اللغة وهو الهدف الأسمى الذى لا يختلف فيه إثنان ، وثانيهما العناية الخاصة بلغة العلم والحضارة الحديثة .

واقترح المجمع مجال اللغة العلمية العربية بقوة ، ففتح ذراعيه للعلميين المتخصصين المعروفين بغيرتهم على اللغة العربية والتعليم الجامعى معا من أمثال الدكتور محمد شرف الطبيب والدكتور أحمد زكى الكيمياى والدكتور مصطفى نظيف الفيزيقي . وألف منهم ومن أساتذته اللغة العربية العريقين بالمجمع أول لجنة علمية لغوية . عهد إليها وضع مقومات استخدام اللغة العربية فى التعليم الجامعى ، باعتباره حجر الأساس لأوجه النشاط العلمى والتطبيقي فى العالم العربى .

المصطلحات العلمية :

وكان على رأس هذه المقومات ، توفير المصطلحات العلمية العربية ، أو لبنات التخاطب والتفاهم والاتصال بين المشتغلين بالعلم ، بينهم وبين أنفسهم ثم بينهم وبين المجتمع .

وتدارست اللجنة فى أول الأمر خير طريق تسلكه لوضع المصطلحات المناسبة . هل تعرب أم ترجم ؟ هل تسجل أم تخترع ؟ هل تطور القديم أم تجمده ؟ وعقدت لذلك الندوات والمؤتمرات واللقاءات ، ودار الحوار المتصل البناء ، وطرحت الأراء ،

حتى وضحت الرؤية وانجلت عن ضرورة المواءمة والملاءمة لجميع الاعتبارات. وخرجت اللجنة من هذا كله بمبادئ وأسس أنارت طريق التعريب ووضع المصطلحات ، وأحاطته بمقومات تضمن سلامة السير فيه دون زيغ أو شطط فرخصت بتعريب المصطلح أو بترجمته وفقاً لمبادئ محددة ، وتوسعت في المجاز والاشتقاق والنقل والنحت كلما رأت ضرورة لذلك .

وانجلت أولى التجارب عن تقبل اللغة العربية واستجابتها بيسر وطلاقة للألفاظ العلمية الحديثة ، وأثبتت قدرتها على الوفاء بمطالب العلوم والفنون وحاجات الحياة الحديثة . وسار الركب على بركة الله يقوده العلميون واللغويون بالجمع وبالجامعات وتوفرت للغة العلم الكثير من الألفاظ الحديثة والمعربة التي أثرت وألهمت ثوب الحياة الحديثة . وكان أساس اختيار المصطلح هو صلاحيته لتحقيق مدلول علمي خاص به سواء كان هذا اللفظ مترجماً أو معرباً . وثمة أمر آخر له أهميته ، هو الترحيب بالألفاظ التي استقر استخدامها في اللغات العلمية العالمية بعد صياغتها بلسان عربي مناسب ، وإطلاق استخدام السوابق واللواحق والرموز والإشارات والدلالات للتوضيح والتيسير . وكانوا في هذا كله يستنيرون بما سجله التراث العلمي العربي في علوم الطب والكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها من مصطلحات أصيلة أو دخيلة أو معربة زادت بها اللغة

العربية ثراء على ثراء . وغنى عن البيان أن اللغات الحية تتبادل باستمرار الألفاظ والمصطلحات بكثرة واستفاضة حتى لتكاد تصبح هذه الألفاظ والمصطلحات موحدة فيما بينها .

نهج اختيار المصطلح :

ورأى المجمع أن ينهج أسلوباً علمياً مستقراً في اختيار المصطلح العلمي ، فلا يكله لإجتهادات شخصية أو لآراء حرة قد تتفاوت بين باحث وآخر . فوضع له نهجاً واضحاً ومحددًا يلتزم أو يستنير به كل من يطرق ميدان التعريب ووضع المصطلحات العلمية . ونوقش هذا النهج في جلسة المجمع حيث هذب ونقح ، ثم عرض في إحدى جلسات مؤتمر المجمع حيث اكتملت مقوماته .

ويقوم هذا النهج على أربعة مبادئ تتناول إطاره العام وهي :

- ١ - الحفاظ على التراث العربي ، وإيثار ترجمة المصطلح مع إجازة التعريب .
- ٢ - الوفاء بأغراض التعليم العالي ومتطلبات التأليف والترجمة والثقافة العلمية العالية .
- ٣ - مسايرة النهج العلمي العالمي في أسلوب اختيار المصطلح والتقريب بينه في العربية . وبين نظيره في اللغات العالمية الحية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلوم الأساسية وتطبيقاتها .
- ٤ - تعريف كل مصطلح تعريفاً علمياً معجمياً .

وتناول النهج بعد ذلك تفاصيل اختيار المصطلح وصاغها في ثلاثة عشر بندا ، شملت جميع مقومات الترجمة والتعريب والإشتقاق والنحت والإستعارة . وذيلت كل منها بأمثلة عديدة من العلوم الأساسية والتطبيقية . ونشر المجمع هذا النهج في نشرة خاصة أذاعها على نطاق واسع بين المشتغلين بالعلوم في مصر وفي الوطن العربي الكبير . ولما كان مجال المؤتمر لا يتسع لتناول تلك البنود أسهاما وتفصيلا فإني أتشرف أن أضعها تحت نظر المؤتمر لتكون ضمن سجلاته ولتدرس في لجان العمل المتخصصة فيه . وغنى عن البيان أن المجمع يرحب بتلقى أية ملاحظات عنها أو تهديدات لها من السادة الأعضاء ومن كل حريص على المشاركة في تأسيس صرح اللغة العربية العلمية .

السوابق واللاحق :

وثمة موضوع آخر غنى به المجمع في مجال التعريب والمصطلحات وهو موضوع السوابق واللاحق وإطلاق الاستفادة منها في اختيار المصطلح . بعد أن أصبح واضحا وجليا أن التقدم العلمى الطفرى الكبير قد لازمه ظهور آلاف من المصطلحات الجديدة التى يصعب أو يستحيل على أى لغة استيعابها بألفاظ جديدة تماما . وقد وجدت اللغات الأجنبية الحل لهذه المشكلة بيسر وذلك بإطلاق استخدام السوابق واللاحق على نطاق واسع جدا لمصطلحات مستقرة أصلا ، لتؤدى معان ذات دلالات مختلفة ، فتولدت

بذلك ألفاظ كل منها له أصل لغوى واحد ، أحواله السوابق واللاحق إلى عدد من الألفاظ ذات معان علمية مستحدثة ومحددة .

ولم تكن الاستعانة بأسلوب السوابق واللاحق في اغتنا العربية بدعة . فقد ظهرت فيها منذ أمد طويل ولكن بالكثير من التأنى والحيلة . أما اليوم فإن حاجة العلم والتكنولوجيا الحديثة تستلزم المزيد من هذا الأسلوب الميسر تمشيا مع الحاجة الملحة لسيل المصطلحات الجديدة وكسبها للسرعة .

وسايرت اللغة العربية شقيقاتها اللغات الأجنبية دون مساس بقسماتها وطبيعتها فاستعانت بالعديد من السوابق واللاحق ، مع إحكام ذلك كله بموازن دقيقة ، أهمها قصر السابقة أو اللاحقة العربية على المصطلحات العربية فقط كما في لفظ « لاساكى » مثلا ففيها « لا » عربية « وساكى » عربية . وقصر السابقة أو اللاحقة المعربة على المصطلحات المعربة فقط كما في لفظ « بيوفيزيكا » مثلا ففيها « بيو » معربة « وفيزيكا » معربة وبمعنى أوضح عدم الجمع بين سابقة عربية ولفظ معرب أو العكس .

وقد وضع المجمع نوعا من المقابلة بين السوابق واللاحق في اللغات الأجنبية وفي اللغة العربية وأوردها كأمثلة يحتذى بها ، وصاغها في نشرة أخرى خاصة لتناقش في لجان العمل المتخصصة والاستئناس بها لمن يرغب . ويسرنى أن أضع هذه النشرة

كذلك في سجلات المؤتمر . ولا يدعى المجمع لنفسه الكمال في كل إنتاجه بل إنه يرحب بكل رأى أو ملاحظة ترد إليه ويعنى بدراستها بكل إهتمام .

تيسير اللغة :

وثمة أمر حيوى آخر يعنى به مجمع اللغة ويفرد له العديد من الندوات والمحاضرات واللقاءات في دوراته المتتابعة وهو موضوع تيسير اللغة نحوا وصرفا وأسلوبا . ولا شك أن كل جهد يبذل في هذا الموضوع الحيوى سوف ينعكس ضبوؤه على اللغة العربية العالمية فيزيدها قوة ووضوحا ويسرا هي في مسيس الحاجة إليها . ولا يتسع لى المجال هنا ، بل إنى لا أجرؤ على الخوض في هذا البحر الواسع المتشعب الذى يخرج عن طاقتي . وأتركه لفرسانه وسدنته الذين يملكون زمامه وناصيته .

العلميون واللغويون :

على هذا النهج وبهذا الأسلوب يسير ركب اللغة العلمية في المجمع اليوم ، ويتقدم بخطى وثيدة مستقرة في مجال تعريب العلوم . وذلك كله بفضل مزيد من الترابط بين العلميين واللغويين ويكفى أن أدلل على ذلك بأن عدد العلميين المجمعين اليوم هو ١٤ من بين مجموع أعضاء المجمع الحاليين وهم ٣٣ في كافة التخصصات . وأن اللجان العلمية اللغوية المتخصصة بالمجمع قد بلغت اليوم

أكثر من ثلثي لجانه وتشمل الطب والهندسة والزراعة والفيزيكا والكيمياء والرياضة والصيدلة والنقط والبيولوجيا والتربية والفنون والحضارة . وهذه اللجان المتخصصة تضم نحو ٦٠ عضوا ما بين علميين مجتمعيين ولغويين مجتمعيين وخبراء متخصصيين بالإضافة إلى هيئات التحرير ،

وتتولى هذه اللجان المرحلة الأولى من مراحل إعداد المصطلح وتعريفه ، ثم عرضه على مجلس المجمع لتهديبه وتنقيحه ، وأخيرا عرضه على مؤتمر المجمع السنوى لتقنين صلاحيته واستخدامه .

ثمار المجمع :

ويسرني أن أنتهز هذه الفرصة ، فأقدم للمؤتمر الموقر حصيلة ثمار المجمع في العقدين الأخيرين ، وهي خمسة معاجم :

— المعجم الحيولوجى (١٩٦٥) ويحوى نحو ١٢٠٠ مصطلح .

— معجم الفيزيكا النووية والإلكترونيات (١٩٧٤) ويحوى نحو ١٢٠٠ مصطلح .

— معجم الجغرافيا (١٩٧٤) ويحوى نحو ١٥٠٠ مصطلح .

— معجم ألفاظ الحضارة والفنون (١٩٨٠) ويحوى نحو ١٠٠٠ مصطلح :

— معجم الحيولوجيا الكبير (١٩٨٢) ويحوى نحو ٤٥٠٠ مصطلح .

نسجل فيها هذا العدد الضخم من المصطلحات
في جزازات. ونأمل أن توضع قريبا في
جهاز الكتروني (كمبيوتر) لتيسير استخراجها
والرجوع إليها.

خاتمة :

تلك هي سياستنا في التخطيط للغة العربية
العلمية وهذا هو مسارنا في إرساء مبادئ
المصطلحية ومقاييسها وتلك هي جهودنا في
الإنتاج العلمي اللغوي ، عرضتها على سيادتكم
مختصرة ومركزة . أما تفصيلها فيسعدني
أن أطرحه في لجان العمل بالمؤتمر لتبادل
الرأي والمشورة فيه :

والله تعالى ولي التوفيق .

محمود مختار

عضو المجمع

وهناك عدد من المعاجم هي الآن تحت
الطبع ويشمل الأجزاء الأولى من المعاجم
الكبيرة وهي :

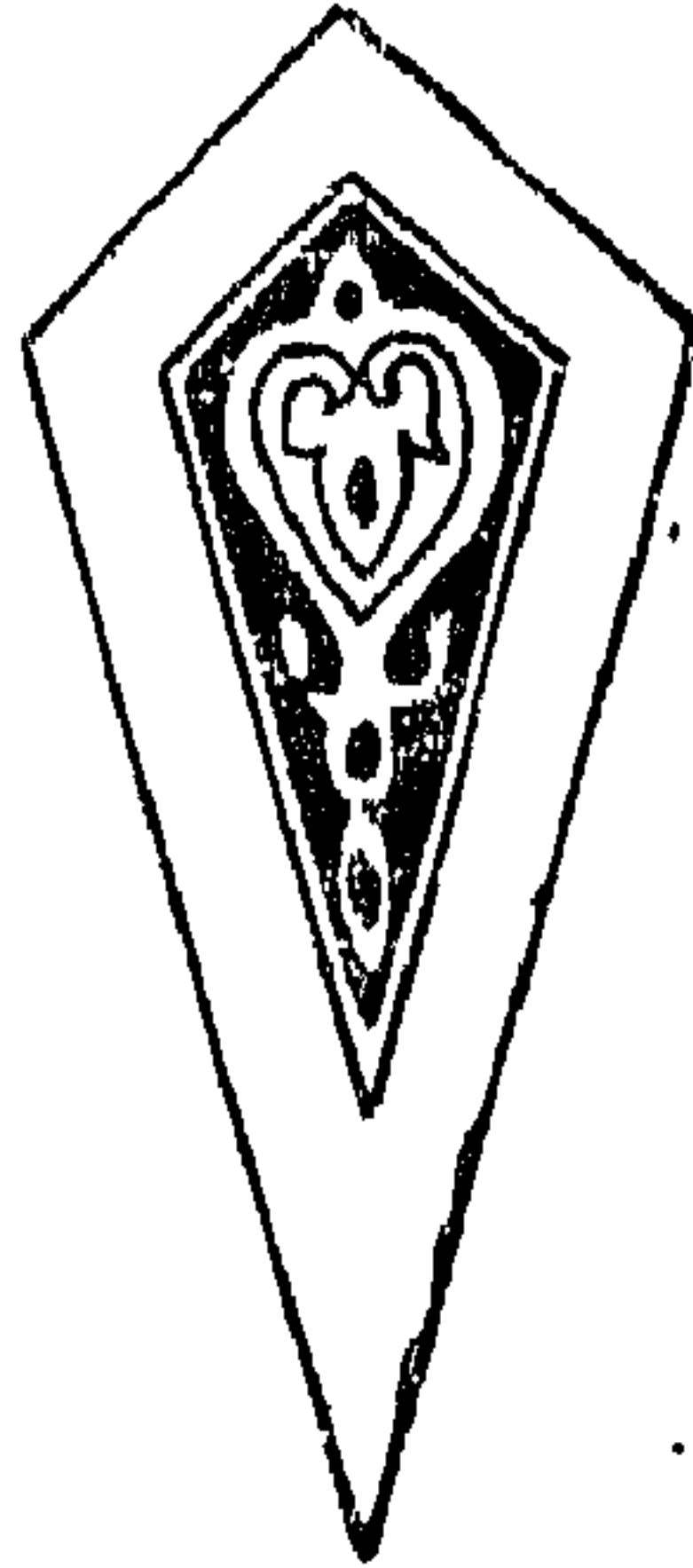
— معجم الفيزيكا الحديثة ويحوى نحو
٤٨٠٠ مصطلح .

— معجم الكيمياء والصيدلة ويحوى نحو
٥٦٠٠ مصطلح .

— معجم البيولوجيا ويحوى نحو ٥٢٠٠
مصطلح .

— المعجم الطبي ويحوى نحو
١٠٠٠٠٠ مصطلح .

وقد أنشأ المجمع إدارة خاصة بالمعاجم



وحدة البنية واختلاف الأنظمة للدكتور تمام صمان

وحدة البنية وتعدد النماذج

مقدمة :

وإذا نظرنا إلى النماذج المختلفة التي بناها اللغويون للغة الإنجليزية في الوقت الحاضر وجدنا عددا من هذه النماذج يسود جنبا إلى جنب في أوساط اللغويين الأمريكيين وإن خضع مجموع النماذج على اختلافها للفكرة التوزيعية أو تفرع عنها. وفي الدراسات العربية كان النموذج البصري يختلف عن النموذج الكوفي وجاء هذا الاختلاف في مجال الأصول كما شاع في مجال الفروع. فقد اختلفت المدرستان حول عدد من الأصول مثل القليل لا يعتد به، وكثرة الاستعمال تجيز الحذف العطف على الضمير المحرور لا يجوز والأصل في حروف الجر ألا تعمل مع الحذف ولا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه وعوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال والحمل على الجوار كثير في كلامهم. الخ ومن شاء أن يظفر بحشد من أمثلة اختلافهم حول الأصول فليتمس ذلك في كتب الخلاف وأشهرها كتاب الإنصاف لابن الأنباري. ثم أضاف

تتحدد بنية اللغة وتتعدد النماذج التحليلية التي يعرض الباحثون من خلالها نظام هذه اللغة، وإنما أتى تعدد هذه النماذج من قبل الأسس النظرية التي يبنى عليها الباحثون أعمالهم؛ فمنهم من ينطلق من بداية فلسفية فيرى اللغة كيانا فلسفيا؛ ومنهم من يبدأ من المنطق فيراها فكرا منطقيا ومنهم من يخضعها للدين فيسخرها له، ومنهم من يراها كائنا طبيعيا ينمو ويضمحل ومنهم من يراها مظهرا لتصورات ذهنية لا تخضع للوصف ولا للتقعيد وإنما يقول عنها ما يخضع للوصف والتقعيد.

ويتجلى اتحاد اللغة واختلاف النماذج في عدد من الأمثلة منها ما يتصل باللغات الأوروبية التي أخذت النمو في البداية عن النموذج الذي بناه نحاة اللاتينية ثم تحولوا عن هذا النموذج اللاتيني إلى نماذج أخرى تخضع لتطور الدراسات اللغوية الحديثة.

كتاني : « اللغة العربية : معناها ومبناها »
نموذجاً آخر إلى نماذج النحو العربي سنعرض
له فيما بعد بالتفصيل على قدر ما تسمح المسافة
المخصصة لذلك في هذا العرض .

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة من بين هذه
النماذج ما دامت تختلف في مأخذها وتتبعها
كبعد ما بين التأويل وظاهر النص . وإن
كفاءة أى واحد من هذه النماذج إنما تنبع من
قربه من الوفاء بالشروط العلمية التي تعارف
عليها العلماء وهي الموضوعية المتمثلة في
الاستقراء الناقص وإمكان التحقق من صدق
النتيجة ثم الشمول المتمثل في الخضوع لمبدأ
الحتمية وتجريد الثوابت ثم التماسك المتمثل في
الاعتماد على التقسيم والحرص على عدم
التناقض وأخيراً الاقتصاد المتمثل في التعقيد
والاستغناء بالأقسام عن الخوض في المفردات .
تلك هي خصائص العلم المضبوط أو الصناعة
كما يسميها تراثنا العربي . والنحو صناعة كما
يقول النحاة فلا بد أن تتحقق له الموضوعية
والشمول والتماسك والاقتصاد . وقد يتحقق
له بعض هذه الشروط دون بعض وقد
يتحقق له الأكثر دون الأقل أو الأقل دون
الأكثر ومن هنا تختلف النماذج قرباً وبعداً
من الصورة المثالية للنموذج فتتفاوت حسناً
وسوءاً (أى من ناحية elegance) ومما
يوضح التفاوت في تحقق هذه الشروط ما
تلمح من فارق بين النحو وفقه اللغة . فالنحو
صناعة لأنه يتناول ثوابت الأفكار والأقسام
وفقه اللغة ليس من قبيل الصناعة لأنه يبحث

في المتغيرات ومفردات الظواهر إذ يتناول
علاقة اللفظ المفرد باللفظ المفرد والظاهرة
المفردة بالظاهرة المفردة كما يتناول علاقة اللفظ
المفرد بالمعنى وعلاقة اللفظ المفرد بالاستعمال
ثم لا يصطنع لذلك شيئاً من التفسير ولا التعقيد
ولا التجريد إلا ما يستعيره استعارة من علوم
أخرى كالصرف والأصوات كحين يعالج
ظاهرة الاشتقاق أو ظاهرة التأليف مثلاً .
ومثل ذلك يقال عن الفارق بين البصريين
والكوفيين حين ننظر مثلاً إلى الأصل البصري
الذي يقول : « القليل لا يعتمد به » إذ نرى
الكوفيين يعتدون بالقليل فيدون بذلك من
الاعتداد بالمفردات من الظواهر وقد علمنا
أن العناية بمفردات الظواهر أشبه وفقه اللغة
منها بالنحو .

فإذا وضعنا هذه الحقائق السابقة نصب
أعيننا علمنا أن اللغة العربية التي وصفها
النحاة يمكن أن تظل على حالها التي تبدو
بها في تراثنا الأدبي ثابتة لا تتغير ثم
تحاول الأجيال المتعاقبة من الباحثين أن
تكشف عن نظامها بإنشاء النماذج المتعاقبة
لهذا النظام دون أن تتأثر هذه اللغة بذلك
الاختلاف في بناء النماذج . وسأحاول في
الصفحات التالية أن أعرض النموذج البصري
الذي أنشأه النحاة ولخصه كتاب سيبويه
ثم أعرض بعد ذلك نموذجي الذي تضمنته
كتاب « اللغة العربية » سنة ١٩٧٣ . لم أعرض
تطبيقاً لنموذج النحو التحويلي على اللغة العربية

مأخوذاً من كتاب Aspects لتشكوفسكى
سنة ١٩٦٥ . وبذلك أرجو أن أضرب المثل
لإعادة وصف اللغة العربية في ضوء علم
اللسانيات .

النموذج البصرى :

بنى النموذج البصرى على أسس منهجية
معينة يمكن تلخيصها على النحو التالى :

١ - الكلمة وحدة الجملة ومن ثم
كانت هى النواة التى دارت حولها الدراسات
الصرفية والمعجمية . أما فى الصرف فقد
حددت صيغها وأصولها وزوائدها وما يلحقها
من الظواهر المختلفة التى يشملها مصطلح
« التغير » كالإعلال والإبدال والنقل
والقلب والحذف إلخ وعنيت الدراسات
الصوتية بإمداد الصرف بكثير من الحقائق
التي استعان بها على دراسة الكلمة .
ولمّا وقع اختيار النحاة على الكلمة دون
الصوت المفرد ودون المقطع ودون المتلازمين
لأن الكلمة بحكم تعريفها لفظ مفرد وبحكم
دلالاتها تدل على معنى مفرد . وهكذا
يبدو أن فكرة الأفراد هى التى أعانت على
بناء الجملة على الكلمات دون غيرها من
وحدات التحليل . أضف إلى ذلك أنها
نواة صيغة مفردة وأن اللواحق والزوائد
تلتصق بها وأن ظاهرة الإعراب فى اللغة
الفصحى ارتبطت بالكلمة . فالإعراب
عندهم أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل

فى آخر الكلمة . وإذا كانت أواخر الكلمات
تختلف بحسب المعانى فلا شك أن الكلمة
تصاح لأن ينسب إليها استقلال فى بنية
اللغة لا يمكن أن ينسب مثله إلى الصوت
أو المقطع مثلاً ، بل لا يمكن أن ينسب
مثله إلى المتلازمين لأن الإعراب لا ينسب
إليهما معاً ومن لا يصلحان معاً - فى رأى
النحاة - أن يكونا وحدة تحليلية قائمة
بذاتها ثم إن الكلمة مع ذلك يمكن تقديمها
وتأخيرها ويمكن أن تضام الكلمات الأخرى
أو تنفصل عنها وبذلك كله يتحقق وجودها
النظري باعتبارها وحدة تحليلية :

٢ - والكلم أقسام ثلاثة : اسم وفعل
وحرف . وإن التقسيم مبنى على أساسين
أحدهما التمييز بحسب المعنى وثانيهما التمييز
بحسب المبنى . فأما من حيث المعنى فالاسم
مادل على مسمى والفعل مادل على حدث
وزمن والحرف مادل على معنى فى غيره
وأما من حيث المبنى ؛ فالأمر واضح من
قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وأل
ومسند الاسم تمييز حصل
بتما فعلت وأتت ويا افعلى
ونون أقبلان فعل . ينجلي
سواهما الحرف

ومع التسليم بأن مثل هذا التقسيم ينبغي أن يأخذ في اعتباره المعنى والمبنى معا على حد ما صنع النحاة ، يحسن أن نشير هنا إلى أن النحاة أحسنوا اختيار المبدأ ولكنهم قصرُوا بعض الشيء عند إجراء التطبيق ، لأن الاسم في تقسيمهم اشتمل على أمشاج من الكلم بينها اختلاف هام جدا من حيث المبنى إذ لا يدل كل اسم عندهم على مسمى لأن المصدر يدل على الحدث ، والوصف يدل على موصوف بالحدث ، والضمير يدل على مطلق حاضر أو غائب ، والمظرف يدل على اقتران حدثين وأسماء الأفعال تدل على استعمال إفصاحي لإنشائي للغة وهكذا نجد أن هناك طوائف من الأسماء لا تدل على مسميات أضف إلى ذلك أن الحرف لا يدل على معنى في غيره وإنما يدل على علاقة من العلاقات الرابطة لأوصال الجملة فله معنى وظيفي يعرف به ويساق له وينسب إليه . وحسبنا أن نعلم أن النحاة أنفسهم نسبوا المعاني إلى الحروف وحسبنا أن نقرأ قول ابن مالك :

على للاستعلا ومعنى في وعن

بعض تجاوزا عنى من قد قطن

الخ . والأمر من حيث المبنى يبدى لنا بعض المفارقات أيضا ، فالضمائر لا تقبل التنوين وبعضها لا يقبل النداء ولا تدخل عليها « أل » وإن دخل عليها حرف الجر

لم يظهر عليها وكذلك الحال في الظروف وأسماء الأفعال . ولقد عد النحاة النواسخ من بين الأفعال وهي ليست متصرفة تصرفا تاما في معظمها وبعضها يأبى علامات الأفعال . وهذا وغيره مما يمكن أن يطلع عليه في كتابي : اللغة العربية : معناها ومبناها ص ٨٢ - ١٣٢ .

٣ - حين لاحظ النحاة عدم اطراد صور الاستعمال أدركوا أن محاولة بناء القواعد على أمور غير مطردة أمر غير ممكن وغير مفيد . وكيف يتبادر إلى ذهن من لا يعرف العربية أن النون في « ينبغي » وهي تنطق بضم شفتين والنون في ينفع « وهي من الشفة السفلى والأسنان العليا » والنون في « ينظر » وهي تخرج في نطقها اللسان والنون في « ينقل » وهي تنطق في اللهة ؛ كل ذلك يؤدي وظيفة واحدة من حيث المعنى ؟ بل كيف يمكن أن يتصور المرء منذ الوهلة الأولى أن « استخرج » و « ع » و « ره » يمكن أن توضع تحت عنوان واحد ؟ بل كيف يمكن أن يضع المرء قاعدة واحدة مثل « زيد دنف » و « دنف » في جواب « كيف زيد » ؟ من هنا كان لابد للنحاة أن يعزفوا عن غير المطرد إلى المطرد فإن لم يجدوا المطرد في الاستعمال اخترعوه بالتجريد . وكذلك كانت الحال ؛ فقد اخترع النحاة (أصل الوضع) وبنوا النحو على هذا الأصل . فأما النونات

التي سبق الكلام عنها فأصل وضعها نون مجردة في الذهن تنسب إلى النطق في اللثة ، وتمثل عند نطق النون المفردة وهي ساكنة غير متحركة ولكل حرف من حروف العربية أصل مثلها للنون أصل . والذي يقرأ باب الإدغام في كتاب سيبويه يجد سيبويه يتكلم عن الأصول والفروع فيعد الأصول تسعة وعشرين ويجعل لها فروعاً تصلح في قراءة القرآن والشعر وفروعاً أخرى لا تصلح لذلك وهذه الأصول هي أصول وضع الحروف التي جردها النحاة :

ولكل كلمة أصل وضع كذلك وإنما يعدل بالكلمة عن أصل وضعها بالإعلال أو الإبدال أو النقل والقلب أو الحذف أو الزيادة «فقال» أصلها «قول» وقد عدل بها عن هذا الأصل بواسطة الإعلال إذا تحركت الواو (التي في الأصل المجرد في الذهن) وانفتح قبلها فصارت في الاستعمال ألفاً وهكذا أعلت عين الكلمة «وكساء» أصل وضعها كساو ، قد وقعت الواو متطرفة أثر ألف زائدة فأبدلت همزة . ويقوم أصلها يقوم بقاف ساكنة وواو مضومة وقد نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فسكنت الواو وحياض أصلها حواض وقد وقعت الواو عينا لجمع صحيح اللام قبلها كسرة فقلبت ياء و يجد أصلها يوجد بياء مفتوحة وواو ساكنة وجيم مكسورة وقد وقعت الواو فاء لمضارع فعل من نوع «المثال» فحذفت

إذ تحذف من مضارع هذا النوع في أمره ومصدره ومضغره . و «رجيل» المضغرة أصلها «رجل» زيدت فيها ياء ساكنة للتصغير . كل هذا من الناحية الصرفية . أما من الناحية الاشتقاقية فإن «استغفر» أصلها (غ ف ر) و «جاه» أصلها «وج ه» و «سمة» أصلها «وسم» و «اذكره» أصلها «ذك ر» وهلم جرا .

ولكل جملة أصل وضعها . وقد عرف الجزولي الكلام بأنه «اللفظ المركب المفيد بالوضع» فإذا عرفنا أن الجزولي كان يقصد تعريف «الجملة» عرفنا أن الجملة لها صورة مجردة في الذهن عند النحاة قد يطابقها الاستعمال وقد يختلف عنها ، وهذا الأصل هو :

الجملة الاسمية : مبتدأ + خبر
الجملة الفعلية : فعل + فاعل (أو نائب فاعل) .
الجملة الشرطية : أداة + شرط + جزاء

جملة الأمر : صيغة الأمر + فاعل
إما ضمير متصل ومستتر
جملة النهي : أداة + مضارع + فاعل
(إما ضمير متصل أو مستتر)

وهكذا يصبح أصل الوضع أمراً ثابتاً من عناصره الأظهار والذكر والاتصال

والترتبة على عكس مايجرى على الحمل الحقيقية في معمعة الاستعمال من إضمار أو حذف أو فصل أو تقديم وتأخير إلى غير ذلك من مظاهر « التغيير » وهذا الثبات الذى نسبته النحاة لأصل الوضع مكنهم من أن يبنوا قواعد مطردة صارمة بمعزل عن تطور اللغة من عصر جاهلى إلى آخر إسلامى وعن اختلاف القبائل فى استعمال اللغة من الحجاز إلى نجد فلما تم لهم ما أرادوا من بناء القواعد عمدوا إلى قواعدهم المبنية بتجريد الأصول فسلطوها على المسموع من الفصحاء وهو مبنى على السليقة دون التجريد فحين اختلف المسموع عن القاعدة كان بعض النحاة يطعن على العرب ويغلطهم ، وكان بعضهم الآخر يسلم لهم معترفا بما قاله الفرزدق لابن أبى إسحق « علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا » .

وهكذا نرى أن النحاة افترضوا « أصل الوضع » فإذا اتفق المستعمل معه فذلك ، وإلا ادعى النحاة أن هذا المستعمل قد عدل به عن الأصل . فإن كان المعدول به عن الأصل حرفا سمى العدول إدغاما أو إقلابا وإخفاء الخ وإن كان كلمة سمى العدول إعلالا أو إبدالا أو نقلا أو قلبا أو حذفاً أو زيادة أو عدلا وإن كان جملة سمى العدول إضمارا أو حذفاً أو فصلا أو زيادة أو تقديماً وتأخيراً . وكل عدول عندهم كان يتطلب الرد إلى الأصل وهذا

الرد إلى الأصل يتم فى ضوء قواعد صوتية أو صرفية أو نحوية ويسمى « التأويل » وإنما اختاروا هذا المصطلح ليدلوا به على قصدهم أن يعملوا على أن « يؤول » هذا المعدول به عن الأصل إلى أصله . فكأنهم أخذوا لفظ « التأويل » من الفعل « يؤول » .

٤ - وكذلك جعل النحاة للقاعدة أصلاً وسموه « أصل القاعدة » وجعلوه صالحاً لأن يعدل بالتركيب عنه إلى قواعد فرعية : فالقاعدة العامة للمبتدأ والخبر تخضع للأصل القائل « الأصل فى المبتدأ التعريف وفى الخبر التنكير » (ابن عقيل ١ / ٢١٦) ، ولكن هذه القاعدة الأصلية يعدل عنها إلى قاعدة أخرى فرعية تقول : « إذا أفادت النكرة فلا يمنع الابداء بها » (نفس المرجع) وكذلك يقول أصل القاعدة « لا يخبر بالزمان عن الحثة » ولكن هذه القاعدة قد يعدل عنها عند أمن اللبس إلى قاعدة فرعية تقول : « إذا كان الإخبار بالزمان عن الحثة لا يذهب بالفائدة جاز » والأمر كذلك بالنسبة للأصل القائل : « أى معربة » والفرع القائل : « تبنى أى إذا أضيفت وحذف صدر صلتها » . وهكذا إذا وقعنا على تركيب تصدق عليه القاعدة الفرعية أمكننا أن نرده إلى أصله (القاعدة الأصلية) بواسطة التأويل إذ نسبته إلى ذلك الأصل ونعترف به فى ظله ونعده استثناء منه ، وهذا هو تأويل القاعدة

أى الرجوع بها إلى أصلها المنسجم مع ظاهر النص أو الذى يتبادر من ظاهر النص . أما إذا كان تفسير بناء تركيب ما يتم فى ضوء أصل لا يتبادر إلى الذهن من ظاهر النص فيضطر النحوى إلى « إخراج » التركيب من الأصل القريب الذى ينسجم مع أول فهم للنص إلى آخر غير وارد عليه للوهلة الأولى فذلك نوع آخر من التأويل غير « الرد » يسمى « التخريج » من ذلك مثلا ما دار حول قوله تعالى : « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير » قرأ عيسى بن عمر بنصب الطير وقال إن « الطير » معطوف على محل المنادى أما النحاة الآخرون فمع اعترافهم بقراءة النصب قالوا إن هناك قراءة أخرى بالرفع وإن « الطير » المنصوبة لا يمكن عطفها على محل المنادى لنشابه أحكام المنادى — وأحكام تابعه والمعروف أن المنادى إذا اقترن بأل فإنه لا تسلط عليه « يا » وإنما تتوسط « أيها » بينهما . وحين رأى النحاة أن ظاهر النص يشهد بما رآه عيسى بن عمر بحثوا عن معنى آخر يمكن أن ينسجم مع أصل قاعدة أخرى وهى القاعدة العامة للعطف التى يعطف بحسبها غير المنادى فعثروا على ذلك المعنى بأن جعلوا الطير معطوفة على « فضلا » فكأن الله تعالى آتى داود فضلا وآتاه الطير ولكن يشهد لرأى عيسى قوله تعالى « وسخرنا مع داود الجبال

يسبحن والطير » أما هذا الصنيع من القائدين به فيعد « تخريجا » لا « تأويلا » وهكذا يمكن الرجوع إلى أصل الوضع بالرد فقط ، ويمكن الرجوع إلى أصل القاعدة به أو بالتخريج .

هـ - ولقد بنى النحاة نحوهم على قرينة واحدة من قرائن المعنى النحوى وهى العلامة الإعرابية وأقاموا عليها نموذجا متكاملا سموه « العمل النحوى » أو « العوامل النحوية » وقسموا العوامل إلى لفظية ومعنوية ، وقسموا الإعراب إلى ظاهر وتقديرى ومحلى وأخضعوا الظاهرة كلها لفكرة أصل الوضع . فالأصل فى الإعراب أن يكون بالحركة وأما الحرف فهو فرع عليها وعدول عن الأصل ، والأصل فى الإعراب أن يكون ظاهرا فإذا لم يظهر فذلك عدول عن الأصل يرد إليه بالتقدير ، فإذا كان مالم يظهر عليه الإعراب مقصورا أو منقوصا قدرت الحركة على آخره ، أما إذا كان مفردا مبنيا أو جملة فالمقدر هو المحل . والأصل فى النصب أن يكون بالفتحة وفى جمع المؤنث السالم عدول عن الأصل ، والأصل فى الجر أن يكون بالكسرة وفى الممنوع من الصرف عدول عن الأصل . والأصل فى الإعراب أن يكون للأسماء وفى إعراب المضارع عدول عن الأصل يتطلب التعليل بعللة الشبه كما أن فى بناء الأسماء عدولا عن الأصل بعللة الشبه أيضا لقد ظهر فى صفوف النحاة من ألقى

ابراهيم أنيس قد وقفوا في صف قطرب وأنكروا الصلة بين الإعراب والمعنى . ولو لم يرتبط الإعراب بالمعنى ما كان هناك فارق فيه بين عبارتي « هذا كاتب ساخر » و « هذا كاتب ساخرا » ومعنى هذا أن الإعراب قرينة من قرائن المعنى النحوى لامراء ، وأن الذى دعا قطربا إلى الوقوف هذا الموقف يمكن تفسيره على نحو آخر كما سنرى من بعد (انظر فكرة الترخص فى هذا البحث) .

٦ - ونظر النحاة فى الزمن النحوى فرأوا أن الأزمنة ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل . ولكن الزمن عندهم ارتبط بالصيغة المفردة ارتباطا تاما حتى قالوا : « إن الفعل دال على الحدث بلفظه ، على الزمن بصيغته » وكأن الماضى عندهم ارتبط بالبناء على الفتح وقبول ضمائر الرفع المتصلة ومن ثم رأيناهم ينسبون الماضى إلى « نعم وبئس » وما أفعله « و « هيات » لتحقيق البناء على الفتح فيها وينسبونه إلى « ليس » لهذا ولقبوها بضمائر الرفع المتصلة على الرغم مما يبدو فى معانى هذه الكلمات من بعد عن معنى الزمن فى أساسه ، وارتباط « العبارات » التى هى فيها بمعنى التو واللحظة ، فإذا وجدوا أن السياق ربما أدى إلى معنى زمنى غير الذى نسبوه إلى الصيغة ذهبوا ينسبون المعانى الزمنية إلى الأدوات

ضلال الشك على ظاهرة الإعراب وزعم قطرب أن ارتباط الإعراب بالمعنى لا يعدو أن يكون من تأصيلات النحاة وتجريداتهم وأعانه على ذلك ما لاحظته من توسع الشعراء والفصحاء فى ارتكاب الضرائر الشعرية مع عدم ذهاب المعنى ، فالقرآن والحديث والشعر وكلام العرب ملئ بالتوسع فى أمر العلامة الإعرابية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وحسبنا أن نذكر مثالا من كل نوع مما سبق .

فالله تعالى يقول : « إن هذان لساحران » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قعر جهنم لسبعين خريفا » والفرزدق يقول :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتا أو مجلف

والعرب تقول : « خرق الثوب المسمار » برقع الثوب ونصب المسمار . ومعنى هذا أن قطربا لم ينكر وجود الإعراب نفسه ولو أنكره لقام القرآن المتواتر بإعرابه والشعر الذى لا يستقيم وزنه إلا مع الإعراب شاهدين على خطئ رأيه ووضوح باطله . وإنما زعم قطرب أن هذا الإعراب الذى له سبيل إلى نفي وجوده لا يرتبط بالمعنى على نحو ما قرر النحاة . ولكن ذلك أيضا لا يسلم لقطرب وإن كان بعض المحدثين ومنهم المرحوم الدكتور

كنسبة « القلب » إلى « لم » ونسبة الدلالة على ما يستقبل من الزمان إلى « إذا » ونسبة شئ من معنى الحضور إلى « قد » وهكذا حبسوا الدلالة الزمنية للنحو العربى فى هذا النطاق الضيق بسبب انشغالهم بالمفردات وبناء النحو عليها كما سبق أن أشرنا وسنرى من بعد أن الزمن فى اللغة العربية أغنى بكثير مما تصوره النحاة .

نموذج كتاب اللغة العربية (١٩٧٣) :

إنما مثلى بالنسبة لهذا النموذج ومثل البصريين بالنسبة لنموذجهم كمثل رجلين أرادا أن يكشففا عن بنية ضاحية صغيرة من مدينة إذ تتكون هذه الضاحية من ثلاث مجموعات من المباني . فأما أحد الرجلين (والمثل هنا للبصريين) فقد ركب صائرة عمودية توقفت به فى الجو فوق هذه الضاحية بمسافة قليلة تمكنه من رؤية المباني المذكورة دون بقية المدينة فاطلع فرأى هذه المباني من ثلاث كتل (والمثل للاسم والفعل والحرف) فأقر بذلك ورضى به وجعل ذلك فى صلب معلوماته عن الضاحية . وأما الرجل الآخر (والمثل لشخصى المتواضع) فلم يركب الطائرة وإنما قصد إلى هذه الكتل ماشياً فدخلها واحدة بعد الأخرى فوجد كل كتلة منها مكونة من بنايات متلاصقة بحيث لا يدرك من يشرف عليها من الطائرة إلا أنها

كتلة واحدة . حين رأى تعدد البنايات فى كل كتلة ذهب يتفرس فى صورة كل منها والغرض الذى تستعمل من أجله ، فخرج من تجريته هذه بزعم أن ما رآه راكب الطائرة ثلاثة أقسام هو فى الحقيقة سبعة أقسام للمباني لثلاثة وهكذا وصل نموذجى الذى بنيته إلى جعل أقسام الكلم سبعة : الاسم - الفعل - الوصف - الضمير - الظرف - الخالفة - الأداة . فالنحاة البصريون أشرفوا على أقسام الكلم من أصولهم المجردة تجريدا عقليا بعد أن التزموا بعبارة قالها على ابن أبى طالب رضى الله عنه « الكلم اسم وفعل وحرف » وطلب إلى أبى الأسود أن ينحو هذا النحو . أما نموذجى فقد بدأ بالاستقراء المنهجى الوصفى المبني على أسس من المعنى وأسس من المبني وانتهى إلى هذا النموذج المستقل عن النحو البصرى مع بعض الانتفاع بالمدارس الغربية فوجد ما يلى :

١ - أن ما سماه النجاة : « الاسم » يشتمل فى الواقع على أمشاج من الكلم يختلف سلوك كل منها عن سلوك الآخر فإذا كانت الأسماء تعرف بأل فإن الأوصاف (اسم الفاعل والمفعول والتفضيل والمبالغة والصفة المشبهة) لاتفيدها « ال » تعريفا ولا تخصيصا وإذا كانت الأسماء لاتطلب مرفوعا ولا منصوبا فالأوصاف تفعل ذلك الخ . ثم إذا دلت الأسماء

على مسمى فالضمائر (الموصولية والإشارية
والشخصية) تدل على مطلق غائب أو حاضر
ولا تقبل بعض العلامات الشكلية كالأسماء
وتنتظم في جداول بحسب التكلم والخطاب
والغيبة والإفراد والتثنية والجمع والتذكير
والتأنيث على عكس الأسماء وتبدو أحيانا
في صورة مشبعة وأخرى في صورة مضعفة
فإذا أضعفت اتصلت بالكامة كما تتصل
باء الجر أو لا مثلا والظرف (انظر المقصود
بالظرف في الكتاب المذكور) لا يدل على
مسمى ولا تتصل به الـ ولا يقبل الجر والتثوين
والنداء وهكذا ..

٢ - إن ما سماه النحاة « الفعل » يبدو أيضا
في صورة تحتاج إلى كثير من العناية
والنظر . لقد اشتمل الفعل على النواسخ التي
لادلالة لها على الحدث كما اشتمل على التعجب
والمدح والذم ولا دلالة فيهما على الزمن
ورصدوا للفعل علامات يابها كثير مما عدوه
من قبيل الأفعال ، فقد نسبوا الفعل لما
إن التعدي ولما إلى اللزوم فيما سبق دلالة على
تعد أو لزوم وهلم جرا مما قد يرى بتفصيل
أتم في كتاب اللغة العربية : معناها ومبناها .

٣ - لم يدرك النحاة المعنى العام الذي تندرج
تحت الأدوات جميعا ، وهو معنى الربط
والدلالة على العلاقة فساقوا للحرف تعريفا
لا يكفي في حد الحرف بخاصة ولا الاداء
بعامة إذ قالوا : الحرف ما دل على معنى
في غيره دون أن يذكر طبيعة الغير ولا

طبيعته هذا المعنى . وهكذا حصلنا على تعريف غير
جامع ، لأن النواسخ (وسنعدا من الأدوات)
تدل على معنى في غيرها وهو النسخ ، وغير
مانع ، لأن الظروف الحاملة المبينة له هي
ليست من الأدوات) تدل على معنى في
غيرها وهو اقتران حدثين .

لذا قام نموذج كتاب اللغة العربية ١٩٧٣
على أساس تقسيم جديد فقسم الكلام إلى :
اسم - وصف - فعل - ضمير - خالفة
ظرف - أداة .

و فرق بين كل قسم من هذه الأقسام وبين
غيره على أساس مزدوج من المعنى والمبنى
وهذا التقسيم جزء لا يتجزأ من نظام اللغة
العربية كما يتصوره النموذج . والمعروف أن
النظام تجريد صامت ساكن غير متحرك وأن
هذا النظام إن كان الإطار الذي يرتبط
به الاستعمال فإن الفرق بينه وبين الاستعمال
فرق ما بين الحسى والمعنوى أو بين الساكن
والمتحرك أو بين القانون والسلوك الفردي
والمعروف أن الاستعمال اللغوى ، بحكم ماله من
دينامية وخضوع لظروف التكلم والمتكلم ،
لا يمكن أن ينطبق تمام الانطباق على أى
نموذج يمكن للباحث في اللغة أن يجرده تجريدا
ومن هنا ينبغى لصاحب النموذج بعد إنشاء
الإطار العام أن يفسر الظواهر المتعارضة
مع هذا التأطير . وهكذا وجدت أن ما يسمى

في النموذج اسماً ربما ورد في الاستعمال في
مواقع يرد فيها الوصف أو الفعل أو الظرف
وأن الوصف قد يرد مورد الاسم
وأن الفعل قد يرد علماً وأن الضمير قد
يورد مورد الظرف الخ فأنشأت فكرة النقل
أو بعبارة أدق انتفعت بما أشار إليه اللغويون
من فكرة النقل فلقم تكلم اللغويون عن
ظاهرة النقل بما لاحظوه من تحول الكلمة
عن معناها الذي كان لها بأصل الوضع
فقالوا إن هذه النقل قد يكون عن طريق
الحجاز اللغوي الذي علاقته المشابهة كالفصاحة
مثلاً نقلت عن صفاء اللبن وذهاب رغوته إلى
نقاء اللغة وقد يكون بنقل اللفظ من المعنى
الخاص إلى العام كالأس إذ كان يدل على
الحرب فنقل إلى الدلالة على الشدة من أي
نوع وقد يكون بنقل اللفظ من المعنى الكلي
إلى الجزئي مثل « الرث » وكانت تدل على
الحسيس بوجه عام فخصصت باللباس والفرش
وقد يكون بنقل اللفظ من المعنى اللغوي
إلى المعنى الاصطلاحي كالصلاة والزكاة والصوم
والحج والحال والتمييز الخ (فقه اللغة
للأستاذ علي وافي) هذا ما قاله اللغويون
والبيانون. وقد رأيت أن أضيف إلى ذلك
نوعاً آخر من النقل يشمل أمرين : نقل
المبنى من استعمال القسم الذي ينتسب إليه من
أقسام الكلام إلى استعمال قسم آخر والثاني نقل
نمط تركيب الجملة بلا تغيير فيه من أسلوب
إلى أسلوب آخر مثال الأول ما أشرنا إليه
منذ قليل من أن الاسم قد يستعمل وصفاً

كما في (زيد رجل) لأن النموذج يعرض
لحبر المبتدأ أن يكون وصفاً فإذا ورد الاسم
مورده تحول إلى وصف ، بل إن النحاة أنفسهم
أولوه بالوصف فقالوا : (أي متصف
بالرجولة) ومن هذا القبيل قولهم : هذا
رجل الساعة وهذا معاوية القرن العشرين
وقضية ولا أبا حسن لها . وفي هذا المقام
بتحول معاوية وأبو الحسن إلى نكرتين وقد
يورد الاسم مورد الفعل كما في ضرباً زبدا
مورد الفعل كما في ضرباً زبدا فيتعدى الاسم
إلى المفعول وقد يورد مورد الظرف كما في
لقيته ساعة الغروب فتحديث إليه بعض
الوقت وافرقتنا زهاء الثامنة مساءً وتواعدنا
أن نلتقي غداً .

وقد يرد الوصف مورد الاسم كما في
صالح وشاكر ومحمود وأحمد وخليل
وغيرها من أسماء الأعلام . كما قد يرد الفعل
هذا المورد كما في يزيد ويشكر ويعيش
ويموت يحيى وتغلب الخ وقد يرد الضمير
(وهو في هذا النموذج يشمل الإشارات
والموصولات أيضاً مورد الظرف كما في
هنا وثم والآن (إشارة إلى الحاضر) أما نقل
النمط التركيبي للجملة من أسلوب إلى أسلوب
فمنه نقل الإثبات إلى الدعاء كما في « بارك
الله فيك » والنفي إلى الدعاء كما في « لا فـ
فوك » والاستفهام إلى الإنكار نحو : « كيف
تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » وقد
التفت النحاة إلى هذا النوع الثاني (نقل

النمط التركيبي (وجعلوه جزءاً من نموذجهم
ولكنهم غفلوا عن النوع الأول فلم يلمحوا
به إلا إلماً متسرعاً في بابي اسم العلم
والتمييز (الأعلام المنقولة والتمييز المنقول) .

وهناك فكرة أخرى كان لابد أن يشتمل
عليها نموذج اللغة العربية ١٩٧٣ وهي
فكرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد
على نحو ما يتعدد المعنى المعجمي للكلمة
الواحدة . ولم يغفل النحاة عن هذه الفكرة
بل على العكس من ذلك نجد ما تمثل
العمود الفقري في نوع من أنواع الكتب
النحوية . مثل مغني اللبيب لابن هشام والجنى
الداني لابن أم قاسم ورصف المباني
لابن عبد النور الماتى ولكن النحاة مع ذلك
لم يعطوا هذه الفكرة ما تستحقه من
التنظير فلم يدخلوها في تجريداتهم وتأصيلاتهم
وينبغي أن يكون قد اتضح الآن ما أقصده
بتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد فقد
يكون المبنى (وهو يساوى ما يقصده
المحدثون بلفظ Morpheme) أداة فتتعدد
معانيها كما في صلاحية « ما » أن تكون
موصولة أو مصدرية أو نافية أو تعجبية
أو زائدة . وكما في صلاحية صيغة « فعل »
(بفتح فسكون) للمصادر والصفة المشبهة
وصيغة فاعل للمفعول والمصدر
وهلم جرا والفرق بين هذا وبين النقل
أن النقل تحول عن جسم إلى قسم فهو
مرتبط بأقسام الكلام ، أما هنا فالأمر مرتبط

بصورة المبنى الذي يتعدد معناه في داخل
قسم بعينه فيتناهى مع فكرة النقل ولكنه
قد يمتد على قسمين أو أكثر .

وفي رأى هذا النموذج أن أصل الاشتقاق
ليس المصدر كما زعم البصريون ولا الفعل
الماضي كما زعم الكوفيون . إنما هو الأصول
الثلاثة التي تستعمل في المعاجم على شرط
أن تكون مفرقة غير موضوعة في كلمة
وأعجب لعقري كالحليل بن أحمد ؛ إذ تراه
أبا المعجسين العرب وسيد النحاة جميعاً
والمستول المباشر عن كثير مما نعرفه الآن
باسم أصول النحو . كيف اضطرب تفكيره
بالنسبة لأصل الاشتقاق . لقد وضع الحليل
أصلاً للاشتقاق في الصرف في صورة
المصدر فقال وقال البصريون معه : إن المصدر
أصل الاشتقاق . وحين تصدى للغة في
كتاب العين فرع المشتقات لا من المصادر وإنما
من الأصول الثلاثة التي تعرفها اليوم باسم
أصول المادة فما الفرق بين المادة والاشتقاق ؟
ولماذا لا تكون أصول المادة هي أصول
الاشتقاق ؟ الحق أن الصرف لو اعترف
بهذه الأصول الثلاثة في التفرع الاشتقاقي
لكان أصداق مع نفسه لأن كل التحليلات
الصرفية تقوم على افتراض الأصول الثلاثة
أصلاً للاشتقاق وترعاها في كل التقسيمات
سواء في المحرد والمزيد وفي الصحيح السالم
والهموز والمثال والأجوف والناقص والنفيف

المفروق والمقرون في الميزان الصرفي وفي القول بالإعلال والإبدال والنقل والقلب والحدف وفي إسناد الضمائر إلى الأفعال وفي تثنية الكلمة وجمعها وتصغيرها والنسب إليها . بل إن الأصول الثلاثة معتبرة حتى في أمور تقع خارج نطاق الصرف كالإملاء الذي يفرق بين الألف الواووية والياءية في الكتابة وهلم جرا :

والنحو شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية التي قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق والقرائن المعنوية في هذا النموذج النحوي هي قرينة الإسناد (ولها صور) قرينة التخصيص (ولها صور أيضاً) وكذلك النسبة (ولها صورها) والتبعية (ولها صورها) والمخالفة (ولها صورها) (انظر كتاب اللغة العربية معناها ومبناها) وأما صور الإسناد فهي الجمل الاسمية والوصفية والفعالية والأولى والأخيرة معروفتان أما الوسطى فالمعروف أن الوصف قد يذكر له فاعل وقد يتعدى إلى مفعول به وقد يكون له مفعول مطلق فإذا تقدمه أداة نفي أو استفهام بدت الجملة الوصفية جملة أصلية بحيث نجد « أقائم زيداً » تقف جنباً إلى جنب مع « أيقوم زيداً » « وأزيد قائم » أما إذا تقدمتها مبتدأ أو موصوف فإنها تبدو في صورة الجملة الفرعية بحيث تبدو « أقائم أبوه » في

« زيد قائم أبوه » ولها نفس المظهر الذي لجملة « زيد يقوم أبوه » وهكذا يضيف النموذج جملة ثالثة إلى التراكيب العربية هي الجملة الوصفية وفروع التخصيص كلها علاقات للمنصوبات فالتعددية علاقة المفعول به وقرينته والغائية قرينة المفعول لأجاء والمعية قرينة المفعول معه والظرفية قرينة المفعول فيه والتأكيد قرينة المفعول المطلق المؤكد للفعل أي الصارف لمعناه عن احتمال الحجاز ، والتحديد قرينة المفعول المطلق المبين للنوع أو للعدد والملازمة قرينة الحال والإخراج قرينة المستثنى والتفسير قرينة التمييز وأما النسبة فهي قرينة الإضافة وهي المعنى الذي ينتظم الجر بالحرف وتعدد معاني هذه الحروف حتى تكاد تربو على الثلاثين (انظر باب حروف الجر في كتب النحو) وتكون الإضافة على معنى أي حرف منها وليست على معنى اللام ومن وفي ، لاحظ مثلاً معنى « عن » في عبارة « تجاوز الحد » ومعنى « على » في « ركوب الحصان » ومعنى « إلى » في « بلوغ المدينة » ومعنى « الباء » في « ضرب العصا » وهلم جرا وأما التبعية فقرينة قوامها الرابطة بين عنصرين من عناصر الجملة تجعلهما يقفان على نفس المستوى إزاء نواة الجملة ، والمقصود بالنواة العنصر الفعلي للجملة (الفعل أو الوصف أو المصدر المضاف أو المتعدي) وهذه القرينة تدل على النعت والتوكيد والبيان والنق والبال ولا ترتبط

بالإعراب معين وإن اعتمدت على المطابقة
في الإعراب .

والمخالفة قرينة إرادة معنى غير إسنادي
إليه نمط يخضع لقاعدة من قواعد الحمل
فحين يستعمل النمط نفسه لا على سبيل
الإسناد ، يختلف المعنى عما كان في الإسناد
وتشير اللغة إلى هذه المخالفة بالاختلاف
في الإعراب ، فتفرق بين عنصر من التركيب
في حالة الإسناد وبين هذا العنصر في غير
الإسناد بالضممة هنا والفتحة هناك ، قارن
لفظ « سلام » في قوله تعالى : « قالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون » وكذلك الأمثلة
الآتية :

ما أحسن زيد . ما أحسن زيدا

نحن العرب : نحن العرب نكرم الضيف

فصبر جميل : صبراً جميلاً

عليك خطوك . عليك نفسك

العمل العمل (مبتدأ وخبر)

العمل العمل (إنشاء)

سقي لك ورعى . سقياً لك ورعى

كم عمة لك يا جرير . كم عمة

ولقد جهد النحاة عظيم الجهد في محاولة
تخريج معظم الطائفة الثانية المنصوبة على
وجوب الخذف .

إنما كان الجزء الصرفي الذي قدمناه من
النموذج تمهيداً ضرورياً للكلام في الجزء

النحوي ، ذلك بأن الجانب الصرفي يقوم
للنحو قرينتي البيئة والربط (والمطابقة
داخلية في الربط) اللتين تؤديان مع غيرهما
إلى حراسة المعنى وأمن الالبس ، فالنموذج
يشتمل على القرائن الآتية :

١ - العلامة الإعرابية . وقد سبقت الإشارة
إلى موقف النحاة منها ، وهي تعد إسهاماً من
النظام الصوتي في بناء النظام النحوي .
ولكن يدخل فيها كذلك عند النحاة تجريد
ذهني لا يتصل بالأصوات وذلك ما أطلقوا
عليه الإعراب التقديري والإعراب المحلي .
وقد اتخذ نموذج اللغة العربية ١٩٧٣ ، الذي
نحن بصدد الكلام ، فيه موقفاً معيناً من هذا
النوع من التجريد الذهني الذي لا يتفق
مع المنهج الوصفي .

وسنشير إلى ذلك بعد قليل :

٢ - البنية الصرفية وهي قرينة يقام بها
الصرف إلى النحو وتبادو قيمتها في الكشف
عن المعنى عندما يكون الباب النحوي
مشروطاً بشروط بنائية خاصة ؛ كاشتراط
بناء الفعل للفاعل مع الفاعل والمفعول مع
نائبه واشتراط الحمد للتمييز والمصدرية
مع اتحاد الأصول الاشتقاقية للمفعول المطابق
ومع اختلافها للمفعول لأجله وهلم جرا
فهنا تكون البنية قرينة المعنى النحوي وهو
الفاعلية والمفعولية الخ .

٣ - الربط وهو يتم بطريقتين :

(أ) بغير المطابقة فيكون بالضمير نحو :
قابلت الرجل الذى كلمتك عنه . وإعادة
اللفظ نحو : واتقوا الله ويعلمكم الله .
أو « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها
من وعاء أخيه » أو الألف واللام نحو
« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم
هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى »
وبالإشارة نحو « ولباس التقوى ذلك خير »
وبإعادة المعنى نحو « شعارى لا إله إلا الله »
وبالحرف نحو « من عمل صالحا فلنفسه »
لأننا لو تصورنا الفاء غير موجودة لكان
الجار والمجرور صفة لما قبله وليس جوابا
للشرط وهلم جرا .

(ب) بالمطابقة فى الشخص « المتكلم
والخطاب والغيبة » أو فى العدد « الأفراد
والثنائية والجمع » أو فى النوع « التذكير
والتأنيث » أو فى التعيين « التعريف والتشكيك » .

ووسائل الربط كما نرى تعود إلى العناصر
الصرفية .

وهناك قرينتان تعودان إلى علاقة المبني
بالمبني فى السياق وهما :

٤ - الرتبة وهى إما محفوظة دائما فى
النظام والاستعمال فيعرف بها معنى الكلمة
ويرتفع بها اللبس وإما غير محفوظة . إذ
يقررهما النظام مبدأ ويتصرف فيها الاستعمال

أساوبا وهذا النوع من الرتبة هو مجال ما
يسميه البلاغيون : التقديم والتأخير أما النوع
الأول فلا يخلو احتمال تقديمها ولا تأخيرها . وهل
تتقدم الصلة على الموصول أو النعت على
المنعوت أو المضاف إليه على المضاف أو
المجرور على حرف الجر أو المعطوف على
حرف العطف ؟

٥ - التضام وهو يشمل التلازم والتنافى
والتوارد فأما التلازم فكلام النحاة عن المتلازمين
أشهر من أن يعرف به . وذلك حين لا تنفك
الكلمتان إحداهما عن الأخرى كالجار
والمجرور والعاطف والمعطوف والموصول
والصلة وهلم جرا . وأما التنافى فعكس ذلك
وهو أن تأبى الكلمة أن تضام الأخرى
فالضمير لا يضاف ولا ينعت وحروف
الجر تأبى الدخول على الأفعال كما تأبى
واو الحال أن تدخل على الماضى دون
توسط « قد » وهلم جرا .

أما التوارد فذلك نصيب العلاقات
المعجمية من تحديد المعنى النحوى وهو فى
اصطلاح هذا النموذج يعنى أن بعض الكلمات
يحدد لها الاستعمال مدخولها وإن أطلقه نظام
اللغة . فليس فى نظام اللغة ما يمنع إضافة لفظ
« جلالة » إلى أى مضاف إليه : ذى جلال ولكن
الاستعمال حدد ذلك بلفظ الملك فيقال « جلالة
الملك » كما يقال « حنان الأم » وكما يقال :
« الأم الرؤوم » و « العالم العلامة » . ولكلمة
« صاحب » عدد محدود من الكلمات يمكن أن
تضاف إليها عناء لإرادة التلقين مثل : صاحب

الحاللة - صاحب المعالي - صاحب الفخامة -
صاحب السعادة - صاحب الفضيلة - صاحب
النيافة الخ . نحب أن نشير إلى أن تشومسكى
قد كشف عن جانب هام في علاقات
التوارد لم أفطن إليه وذلك ما يمكن أن
نطلق عليه « قيود التوارد » ترجمة لعبارة
Selection restrictions وقد عاق
تشومسكى هذه الظاهرة بالمناسبة النحوية
لا بالصحة النحوية .

ولعل الرتبة والتضام من أوغل القرائن
في نظرية التوزيعيين ؛ لأن بيئة المبني وهي
مناطق التوزيع عندهم ، إنما تحددها الرتبة
وما يتعين بها من موقع (التضام) وما يستعين
به من معاقبة أو كما يسمونها Substitution
ويذكر للنحاة العرب أنهم كانوا على ذكر
من فائدة المعاقبة في الكشف عن المعنى
وكان من عباراتهم الشائعة قولهم : إن
هذا يعاقب ذلك أو لا يعاقبه . فالحرف
« قد » مثلاً يعاقب « سوف » ولا يعاقب
« أن » .

٦ - وهناك قرينة الأداة ، وكان يمكن
لها أن تحتسب فرعاً على قرينة البنية ، لأن
الأداة مبني على أى حال . لكن الأداة
كما تكون قرينة على معنى مدخولها المفرد
تكون قرينة على معنى الجملة وهنا
نأتي مرة أخرى إلى فكرة المعاقبة لنقول
مثلاً إن حرف الجر « في » لا يعاقب

« قد » لأن كلا منهما يدخل على مدخول
مختلف ويحل مواقع لا يحل فيها الآخر أو
بعبارة التوزيعيين : يختلف توزيعها عن صاحبها
وهناك جمل في العربية تتعين لها أدوات
فتكون الأداة قرينة الجملة . وإنه يبدو
أن تعين الجملة بالأداة هو الأغلب الأعم
في العربية ؛ لأننا لا نكاد نجد جملة (فيما
عدا الإثبات والأمر بالصيغة) تخلو من
أن تتقدمها الأداة ، فهناك أدوات تتقدم
جملة النفي وجملة التأكيد وجملة الاستفهام
والأمر باللام والنهي والتخصيص
والتعني والترجي والنداء والشرط الامتناعي
والشرط الإمكانى والقسم والتعجيب الخ
وقد يحدث أن تحذف الجملة كلها حين
يدل دليل عليها وتبقى الأداة وحدها نائبة عن
الجملة المحذوفة وقرينة عليها ، بحكم ما بينهما
من التضام . كما في نحو سلام وإلام ،
وكنحو : ولو وإن . . . الخ .

٧ - وهناك أيضاً قرينة النغمة في
الكلام المنطوق وهي قرينة هامة لم يقلل
من أهميتها عند النحاة إلا أنهم كانوا
يعرفون الفصحى في صورتها المكتوبة
الصامتة . ولكننا عندما نلجأ إلى الفصحى
ونتخذها وسيلة من وسائل التعبير الشعري
أو الخطابي أو المسرحي أو السينمائي تبدو
قيمة النغمة من جديد في أجلى صورها ،
فقد تحذف أداة الاستفهام فتحمل النغمة
عبء هذا المعنى ؛ كأن تحكى قصة تطاول

أحد الأشخاص على رجل سليم وتصل
منها إلى نقطة من نقاط تمام المعنى فيسأل
السامع متعجبا : ولم يغضب ؟ وهو يعنى :
« أو لم يغضب ؟ » فيحذف الهمزة ويعتمد
على النغمة في أداء المعنى . وقد جاء حذف
الهمزة في قوله تعالى باسان موسى « وتلك
نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل »
وقول الكميت :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب
ولا لعباً منى وذو الشيب ياعب

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : تعبها قلت بهرا
عدد النجم والحصي والتراب

٨ - وهناك قرينة السياق بكل ما يشتمل
عليه من اعتبارات الصناعة النحوية
والمقام البلاغي ثم ما سماه تشومسكى : قيود
التوارد . وتتضح قرينة السياق في تحديد
معنى « إن » من قول الشاعر :

أنا ابن أبة الضيم من آل مالك
وإن مالك كانت كرام المعادن

فإن تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد يجعل
الاحتمال هنا لأحد معنيين : النفي أو كون إن
مخففة من الثقيلة دالة على التأكيد . ولا
يتعين أحد المعنيين بطبيعة الحال إلا أن
يساعدنا السياق على تعيينه . وإذا نظرنا
إلى صدر البيت وجدنا الشاعر يفخر

بآبائه . وعشيرته ، فلو جملنا « إن » نافية
لوقعنا في التناقض بين الفخر بالقوم والدم لهم
فلم يبق إلا أن نعتبر « إن » مخففة من الثقيلة
دالة على التأكيد ليستقيم المعنى ، ولن يتسع
المقام لتفصيل القول في قرينة السياق لأنه
سيؤدى بنا خارج حدود النموذج النحوى :

إن الذى تقدم من كلام فى القرائن
الثمان إنما هو تمهيد لفكرة الرئيسية فى
هذا النموذج وهى فكرة تضافر القرائن :
لقد أعطى النحاة العرب لإحدى هذه القرائن
(وهى العلامة الإعرابية) نصيبا من العناية
عظيما أحمل ذكر القرائن الأخرى فبدأ
النحو العربى وكأنه إعراب خالص وقامت
على الإعراب فكرة العامل النحوى التى
رأى فيها النحاة قمة نظريتهم ويراها المنهج
الوصفى المعاصر أكبر خدعة جازت على
ذكاء النحاة العرب على مر العصور وملتخص
فكرة « التضافر » (التى تصلح عنوانا
للمنموذج الذى وضعته للنحو) أن المعنى
النحوى لا يستعين بقرينة واحدة مهما
كان خطرهما . وإنما تتعاون القرائن المختلفة
وتتضافر على بيان المعنى . فليس الفاعل
فاعلا لأنه مرفوع فقط وإنما هو كذلك
لأنه :

١ - اسم قرينة البنية

٢ - مرفوع قرينة الإعراب .

٣ - يقدمه فعل قرينة الرتبة

٤ - مبنى للمعلوم قرينة البنية مرة أخرى

٥ - ودل على من فعل الفعل أو قام بالفعل : قرينة معنوية هي قرينة الإسناد .
ولو أنك قرأت هذه القرائن بالترتيب لوجدتها التعريف الذى وضعه النحاة لباب الناعل ، ولكن الذى أقروا به عند التعريف نسوه عند التطبيق والتحليل وأنت ترى أن الفاعل هنا استبان بخمس قرائن ، إحداها قرينة الإعراب . وكذلك يتبين المبتدأ بأنه الاسم المرفوع المتقدم ، ولو تقديرنا ، الذى ينحبر عنه بمفرد أو جملة فى حكم المفرد وكل قيد من هذه القيود يكشف عن قرينة .
والحال وصف فضلة منتصب يدل على حالة وقوع الفعل . فهذه خمس قرائن أيضاً والتمييز الاسم النكرة الحامد المنصوب الرفع لإبهام مبهم سابق . فهذه ست قرائن تتضافر على بيان التمييز . والمفعول المطلق مصدر منصوب مشارك للفعل فى مادته دال على توكيد أو نوع أو عدد . فهذه أربع قرائن . والمفعول لأجله مصدر منصوب مغاير للفعل فى مادته دال على سبب حدوث الفعل ، وهذه أربع قرائن أيضاً تبين المفعول لأجله .

والتضافر يغنى عن القول بالعامل كما هو واضح لأننا إما أن نختص كل واحدة من هذه القرائن بنظرية كنظرية العامل النحوى وهو أمر لا يتفق والاقتصاد العلمى الذى أشرنا إليه سابقاً ولا يفيد عند النظر إلى المعنى أية فائدة بالإضافة إلى أنه يتنافى مع التفكير المستقيم ، وإما أن نجعل القرائن حزمة واحدة فيكون بيان المعنى راجعاً إلى اجتماعها وتضافرها فلا فضل لواحدة منها على الأخرى حيث تستحق تنظيراً إضافياً يحمل ذكر الأخرى مع الصمت المطبق عن الكلام فى هذه الأخرى إلا عند الضرورة القصوى كحين يتكلمون عن لزوم الرتبة فى « ضرب موسى عيسى » أو شذوذ الحذف (والقرينة هنا هى التضام) فى قول الشاعر .

نحن الأولى فاجمع جموع

عك ثم وجههم إلينا

وتأويل المطابقة فى نحو :

فمن يك أضحى بالمدينة رحله

فإنى وديارها لغريب

وشذوذ حذف الرابط فى :

من يفعل الحسنات الله يشكرها

وهلم جزا . ولكنهم لم يتصوروا تضافر
القرائن على بيان المعنى . ولم يجعلوه جزءا من
نمؤذجهم .

ويشترع على القول بالتضافر مبدأ آخر
يذهب بكل ما جاء به النحاة من طعن على
العرب الفصحاء ويرد للقراءات الموسومة
بالشاذة اعتبارها وذلك هو مبدأ « الترخص »
الذى ربما ورد فى التراث تحت عنوان
« التوسع » أو الضرورة أو « التوهم » أو غير
ذلك من المصطلحات التى تجتمع تحت عنوان
« الرخصة » أو الترخص وقبل أن نشرح
المقصود بهذا المبدأ ينبغى أن نجعله مقصورا
على الفصحاء دون غيرهم ، وهو إذا طبقه
المعاصرون منا دخل فى مجال الخطأ .

فالمقصود بهذا المبدأ تفسير ماخالف
القاعدة من نصوص التراث وليس دعوة
للمعاصرين إلى التوسع فى الاستعمال .

يقول أبو هلال العسكري فى ص ٢٦
من كتابه (الفروق فى اللغة) « والتوسع يازم
موضعه المستعمل فيه ولم يتعداه » .

والمقصود بالترخص فى القرينة إهدارها
عند أمن اللبس اتكالا على أن المعنى مفهوم
بدونها فالمعنى يقتضيها فتكون مميزة بدلا من
أن تكون هى التى تقتضى المعنى وتميزه ، ومن
هنا تصبح فائضة وتدخل ضمن مفهوم
قول ابن مالك : « وحذف ما يعلم جائز »
ونحن نظفر بالترخص فى النص القرآنى وفى
الحديث وفى الشعر العربى وفى كلام العرب

وحين نظفر به نجده يتناول كل القرائن
فلا تستعصم واحدة منها دونه . فمن الترخص
فى العلامة الإعرابية : قراءة « إنما يخشى
الله من عباده العلماء » برفع لفظ الجلالة
ونصب العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم
« إن مقر جهنم سبعين خريفا » بنصب
خبر إن وقول امرئ القيس :

كأن ثبرا فى عرائن وبله

كبير أناس فى بجاد مزمل

وقول العرب : « جحر ضب خرب »
جحر لفظ خرب وهو صفة لمرفوع . ومن
الترخص فى البنية الصرفية قوله تعالى :

« والتين والزيتون وطور سينين » أى سيناء
وقوله : « سلام على إلياسين » أى إلياس
وقواه تعالى « وإبراهيم وميكال » أى ميكائيل
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جلس
إحدى عشرة نسوة » أى امرأة وقول الراجز
« الحمد لله العلى الأجلل » أى الأجل ومن
الترخص فى المطابقة قوله تعالى : « السماء
منقطر به » أى منقطرة وقوله : « والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت » أى الطواغيت
وقوله تعالى : « بل أنتم قوم تجهلون » أى
يجهلون وقوله جل شأنه : « فضلت أعناقهم
لها خاضعين » أى خاضعة وقوله صلى الله
عليه وسلم « ثم أتبعه ستا من شوال » أى ستة
وقول النابغة :

كأنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منها كوكب

فجمع التكسير وهو «كواكب» يعامل
معاملة المؤنث المفرد لا الجمع . ومن الترخص
في الربط قوله تعالى : « وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » فحذف
الضمير (أى منهم) ويتحتم هذا لأن صاحب
الحال هو الضمير في قلوبهم وليس يوجد
غيره مما يصلح أن يكون صاحب الحال :
وقوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويندرون
أزواجا يتربصن . . . » أى بعدهم ومن
حذف الفاء اللازمة لجواب الشرط قوله
عز من قائل : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
ما كان حاجتهم . . . » ، « والذين إذا
أصابتهم البغي هم ينتصرون » ، وإذا
ما غضبوا هم يغفرون . . . » ، « وإن
أطعتموهم أنكم مشركون » ، « ولئن اتبعت
أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مآلك من
الله من ولى . . . » وقول الشاعر : « من
يفعل الحسنات الله يشكرها » . ومن
الترخص في الرتبة كل ما يعرفه النحوي مما
يسمى « رتبة غير محفوفة » وكذلك بعض
الرتب المحفوفة كما في قول الشاعر :

ألا يا نخلة في ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

وقوله :

لعن الإله وزوجها معها

هند الهنود طوية ال . . .

وقوله :

ومالى إلا آل أحمد شبيعة

ومالى إلا مذهب الحق مذهب

والترخص بالتضام إنما يكون بالفصل
بين المتلازمين أو بحذف أحدهما أو الجمع
بين المتناقضين ومن ذلك قوله تعالى : « وإن
كلا لما ليوفيتهم ربك أعمالهم » فبعد لما مضارع
تقديره عندهم « ينقص » وقوله صلى الله
عليه وسلم : « إن مما ينبت الربيع يقتل أو
يلم » بحذف ما الموصولية وقول الشاعر :

كم بجود مقرف نال الغنى

فنفصل بين كم الخبرية وتمييزها « مقرف »
الذى ما يزال مجزورا بفواصل أجنبي هو الجار
والمحجور (بجود) المتعلق بالفعل « نال »
وقوله : « ما أنت بالحكم الترضى حكومتها »
فجمع بين المتنافيين وهما أل والفعل المضارع
وأما الترخص في الأداة فنحو قوله تعالى :
« قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » أى لا تفتأ
وقوله تعالى « فلما رأى الشمس بازغة قال
هذا ربى » أى أهذا ربى ؟ وقوله جل شأنه
« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من
وراء حجاب أو يرسل رسولا » فحذفت
« أن » المصدرية دون أن يسبق ذكرها ولكن
دل عليها نصب المضارع ومعنى المصدر
المفهوم من الكلام السابق عليها (وحيا أو من
وراء حجاب) . وقول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى أبرح . وأما قول عنبرة :

« ونحلا الذباب بها فليس ببارح عردا »
فالنبي متحقق بذكر ليس قبل الناسخ الذى
هو اسم الفاعل من « برح » وأما فى الآية
الكرامة « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا . . . »
فالمحذوف هو فاء العطف أما فى حيز الشرط
فيكون المعنى : ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم فقلت لا أجد ما أحملكم عليه
تولوا . . . وأما فى حيز الجواب فيكون
المعنى : ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
قلت لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا . . .
فالترخيص واقع على إحدى الحالتين إذ أن
جواب الشرط لا يتعدد هكذا . وأما فى
قوله تعالى : « وألقى فى الأرض رواسى
أن تميد بكم » فقد وقع الترخيص بحذف
حرفين هما اللام قبل « أن » ولا النافية بعدها
أى : « لا تميد بكم ومثله فيما يبدو : « إني
أعظك أن تكون من الجاهلين » وعكس
الحذف الزيادة فى قوله تعالى : « حتى إذا
جاءها وفتحت أبوابها » وقوله : « لا أقسم
بهذا البلد » وأما الترخيص فى النغمة فيقع
بالقراءة مع العسمة وبالتأحين فى الغناء
إذ تحول نغمة الغناء دون تحقق نغمة الكلام .

وفى كل حالة من حالات الترخيص
السابقة تقوم بقيمة القرائن المتضافرة بوظيفة
حفظ المعنى من اللبس . فلا يضير الترخيص
شيئا ومما يدل على ذلك أنك قد تستمع إلى
التلميذ يقرأ نصا فيخطئ فى النص إعرابا

أو بنية المخ . وقد تستمع إلى المذيع يفعل
الشيء نفسه ، ولكنك مع ذلك تفهم ما يقوله
هذا ذلك فلو كان الخطأ الذى ارتكبه كل
منهما بإهدار القرينة يذهب بالمعنى ما فهم
كلامه ولو اعتمد المعنى على هذه القرينة التى
أهدرها لحنى المعنى ولوقع الكلام فى حدود
اللبس . والذى يبدو لى أن القراءات الشاذة
فى جملتها يمكن أن تفسر على أساس الترخيص
وعندئذ لا تكون شاذة لأنها تبدو فى مظهر
مألوف درج الكلام الفصيح على الظهور به
ولأن الترخيص من الكثرة والشيوع فى كلام
العرب بحيث لا ينبغى أن يعد شذوذا ثم لأنه
مشروط فى كل حالة بأمن اللبس ومن هنا
هنا كان يحسن أن يحتل مكانه المشروع من
النظرية النحوية وألا تنقطع الأسباب بينه
وبين قواعد النحو . ومن أصول النحاة أن
« الشذوذ لا ينافى الفصاحة » .

أشرنا عند الكلام عن النموذج البصرى إلى أن
النحاة نسبوا الزمن النحوى إلى الصيغ المفردة
فجعلوا الزمن وظيفته الصيغة وقالوا « إن الفعل
يدل على الحدث بلفظه وعلى الزمان بصيغته »
ولما كانت صيغ الفعل ثلاثا عند البصريين
جعلوا الأزمنة ثلاثة وأعانهم على ذلك اتفاق
تقسيمهم مع الفهم الفلسفى لمقولة الزمان .
ومن هنا جعلوا الزمن النحوى إما ماضيا أو
حاضرا أو مستقبلا ، وجعلوا للأول صيغة
فعل ولثانى والثالث صيغتي يفعل وافعل
ولم يتكلموا عن الزمن بالنسبة للمصدر أو
للصفات الخمس (اسم الفاعل واسم المفعول

والصفة المشبهة وصيغة المبالغة وأفعال التفضيل) إلا في مجرى القول عن إعمال اسم الفاعل وربما أشاروا في معرض الصفة المشبهة إلى الدوام والثبوت دون تحديد الزمن .

أما في نموذج اللغة العربية ١٩٧٣ فقد أتى بين الزمن والجهة ونخرج من ذلك بنظام زمني غني تباهى به اللغة العربية غيرها من اللغات وربما حسن عند هذا أن أوضح المقصود بلفظ الجهة أنها في الأصل فكرة مما تشتمل عليه الدراسات اللغوية الحديثة تحت اسم Aspect ولكنني عندما نظرت إليها في ضوء تركيب النظام النحوي العربي خرجت بفهم لها غير مطابق لفهمه الغربيون منها إذا وجدت الجهة في لغتنا تقوم بوظيفة تخصيص المعنى كما وجدت أن المعنى الذي تخصصه الجهة إما أن يكون « الحدث » وأما أن يكون الزمن فأما مخصصات الحدث فهي المنصوبات (التي جعلنا قرينتها الشاملة منذ قليل قرينة التخصيص) والمحرورات . ومعنى ذلك أنك إذا قلت : « قرأت » أسندت حدث القراءة إلى نفسك على وجه عام يشمل كل مقروء وكل سبب للقراءة وكل مصاحب لها وكل مكان .

كما يشمل المعنى الحقيقي للقراءة والحجازي لها ونوعها ولا يحدد ملايسة الخ فإذا قلت « قرأت الكتاب » فقد خصصت القراءة بالكتاب رتبت الصحيفة والجهة الخ . وإذا قلت (قرأت كتاباً لمتبعة) فقد خصصت القراءة

بسبب ونقبت بقية الأسباب وكذلك الحال في « قرأت وضوء المصباح » « قرأت قراءة متأنية » و « قرأت جالسا » و « قرأت في الحجرة » الخ . وأما مخصصات الزمن فهي أفكار مثل التجدد والانقطاع والثبوت والدوام والاستمرار والبساطة والمقاربة والشروع والقرب والبعد والتعود ويعبر عن هذه الأفكار بالنواسخ الفعلية (كان وأخواتها وكاد وأخواتها وبعض الحروف مثل قد ولم والسين وسوف إلخ) وبهذه المزاوجة بين الزمن والجهة يصبح الزمن وظيفة السياق بعد أن جعله النحاة وظيفة الصيغة وهكذا نستطيع التفريق بالزمن بين تراكيب مثل كان فعل وكان قد فعل وكان يفعل وقد فعل وما زال يفعل وظل يفعل وفعل وكاد يفعل وطفق يفعل ويفعل وسيفعل وسوف يفعل وسيظل يفعل الخ .

والدليل على أن الزمن النحوي وظيفة السياق أن الأوصاف الخمسة والمصدر لا ينسب إليها الزمن حالة الأفراد ولكنها إذا دخلت معمعة السياق استعانت بقرائن مختلفة على الانتساب إلى زمن بعينه أو من قرأ باب إعمال اسم الفاعل أو إعمال المصدر وإعمال الصفة المشبهة في كتب النحاة وتأمل التراكيب السياقية التي ترد بها هذه المباني أدرك اختلاف الأزمنة بين بعض صورها والبعض الآخر وعرف أن مرجع الدلالة الزمنية في هذه التراكيب إنما هو قرائن السياق لا معنى الصيغة ذاتها .

النموذج التحويلي :

رأينا كيف اختلف النموذجان السابقان في تصورهما نظام اللغة العربية الفصحى دون أن تتغير اللغة نفسها مما يدل على أن النموذج النحوي هو تصور لنظام اللغة يختلف باختلاف الباحثين في اللغة وليس هو اللغة نفسها أوحى بها إلى نبي نحوي وإذا رجعنا إلى المثل الذي ضربناه للفرق بين البصريين الذين نظروا إلى الضاحية من الطائرة العمودية وبينى إذ سعت إليها ودخلت بيوتها وحجراتها أمكننا أن نقول أن النحو التحويلي كما يراه تشومسكى والمتفهمون حوله لم يدخل بيوت الضاحية ولم يكتف بالطائرة العمودية ليخلق فوق الضاحية من قرب بحيث يراها ولا يرى الضواحي الأخرى وبقية المدينة وإنما حاق تشومسكى في أجواء الفضاء ليرى المدينة كلها بضواحيها المختلفة (والمثل هنا اللغات الإنسانية جميعاً) وليصفها بما استنبطه من الصفات المشتركة بين الضواحي جميعاً، والمدينة هنا في جملتها هي اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية أو كما يسميها دي سوسور Le langage والضواحي هي اللغات المختلفة كالعربية والفارسية والتركية. وقد حاول التحويليون أن يوجدوا نحواً عاماً لهذه اللغات الإنسانية جميعاً به تتضح كيفية اكتسابها واختزانها وتحويل المخزن إلى الاستعمال . والعلامة تشومسكى تلميذ هاريس الذي هو تلميذ لهارمفيلد منشئ علم اللغويات التوزيعية في أمريكا

ومن هنا يعتبر النحو التحويلي حفيداً إن لم يكن ابناً مباشراً للنحو التوزيعي. ولكن تشومسكى آخى بين تعاليم بلومفيلد وتعاليم خمبولدت ووصفية دي سوسور ومنطقية بور روابال وانتفع مع كل ذلك بالمنطق الرمزي وعلم النفس وأقر على نفسه بالعقلانية في فهم اللغة .

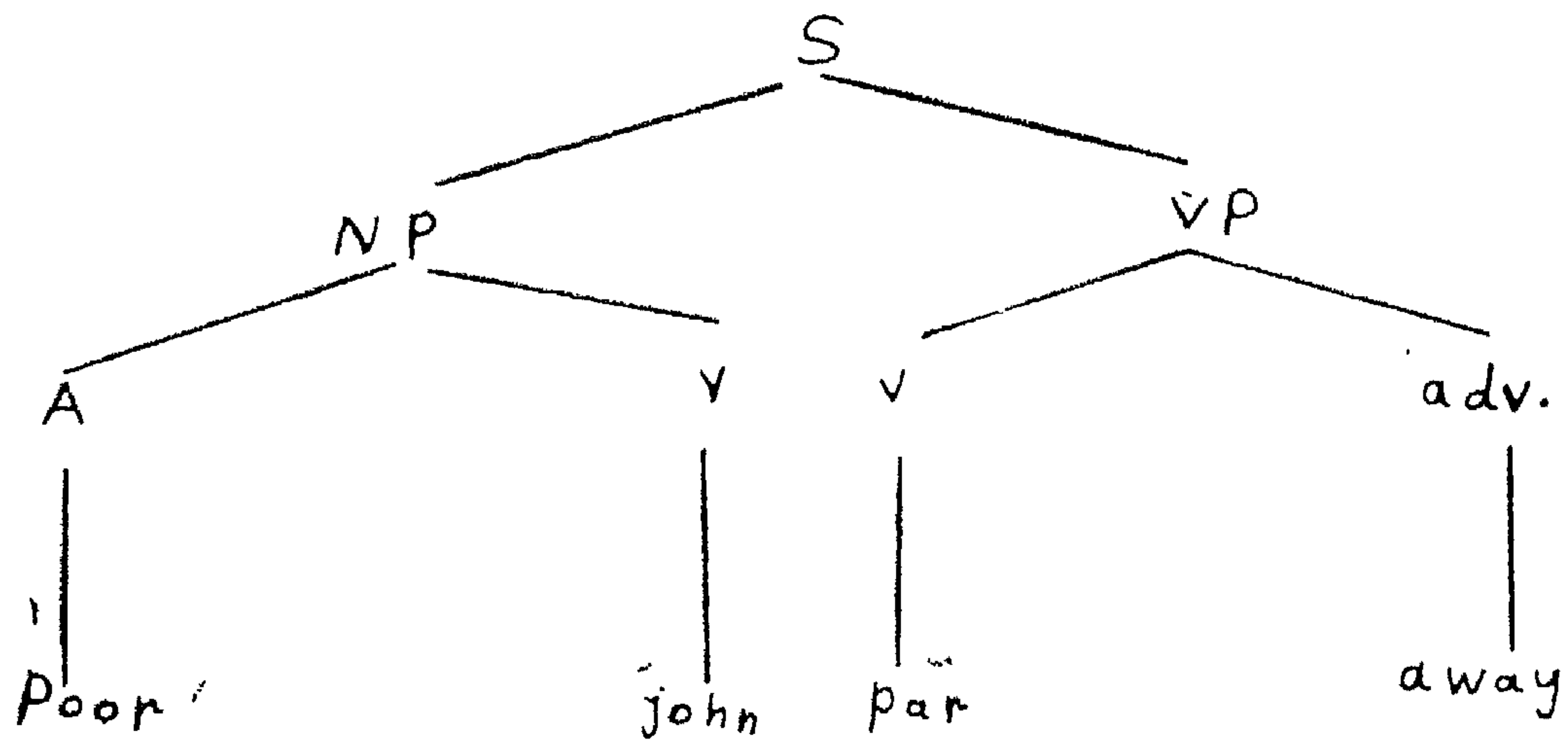
لقد قال بلومفيلد في كتابه « اللغة » ١٩٣٣ « كل متكلم يعنى بالتأمل فيما يقول لابد أن يخبرنا » .

إن Poor John ran away مركبة من مكونين مباشرين هما Poor John و ran away وأن كلا من هذين بدور صورة مركبة ، وأن المكونات المباشرة لعبارة Poor John هي John و Poor وأن مكونات ran away هي ran و away وهكذا وقع بلومفيلد لأول مرة على مصطلح قدر له أن يؤدي دوراً كبيراً على مسرح الدراسات اللغوية الأمريكية هو مصطلح « المكونات المباشرة » :

Immediate Constituents لكنه ترك لتلاميذه من بعده أن ينسوا هذه الفكرة ويصاوا بها إلى نتائجها الطبيعية في اتجاه الكشف عن التركيب النحوية المباشرة وغير المباشرة ومن خلال اعتماد بلومفيلد وتلاميذه، في التحليل النحوي، على ظواهر المرتبة والتضام والمعاقبة والموقع جعلوا التوزيع مذهباً لهم وعرفوا به وسمى

وعرضوا هذا التحليل في صور بيانية مختلفة أشهرها الشجرة التي تبدو على النحو التالي :

تلاميذ بلومفيلد يحملهم باسم immediate constituent analysis أو تحليل المكونات المباشرة.



قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » إذ يمكن أن يرد على الآية المعاني التالية :

ذلك الكتاب * لا ريب فيه * هدى للمتقين
 ذلك الكتاب لا ريب * فيه هدى للمتقين *
 ذلك الكتاب * لا ريب * فيه هدى للمتقين *
 ذلك الكتاب (لا ريب فيه) هدى للمتقين *

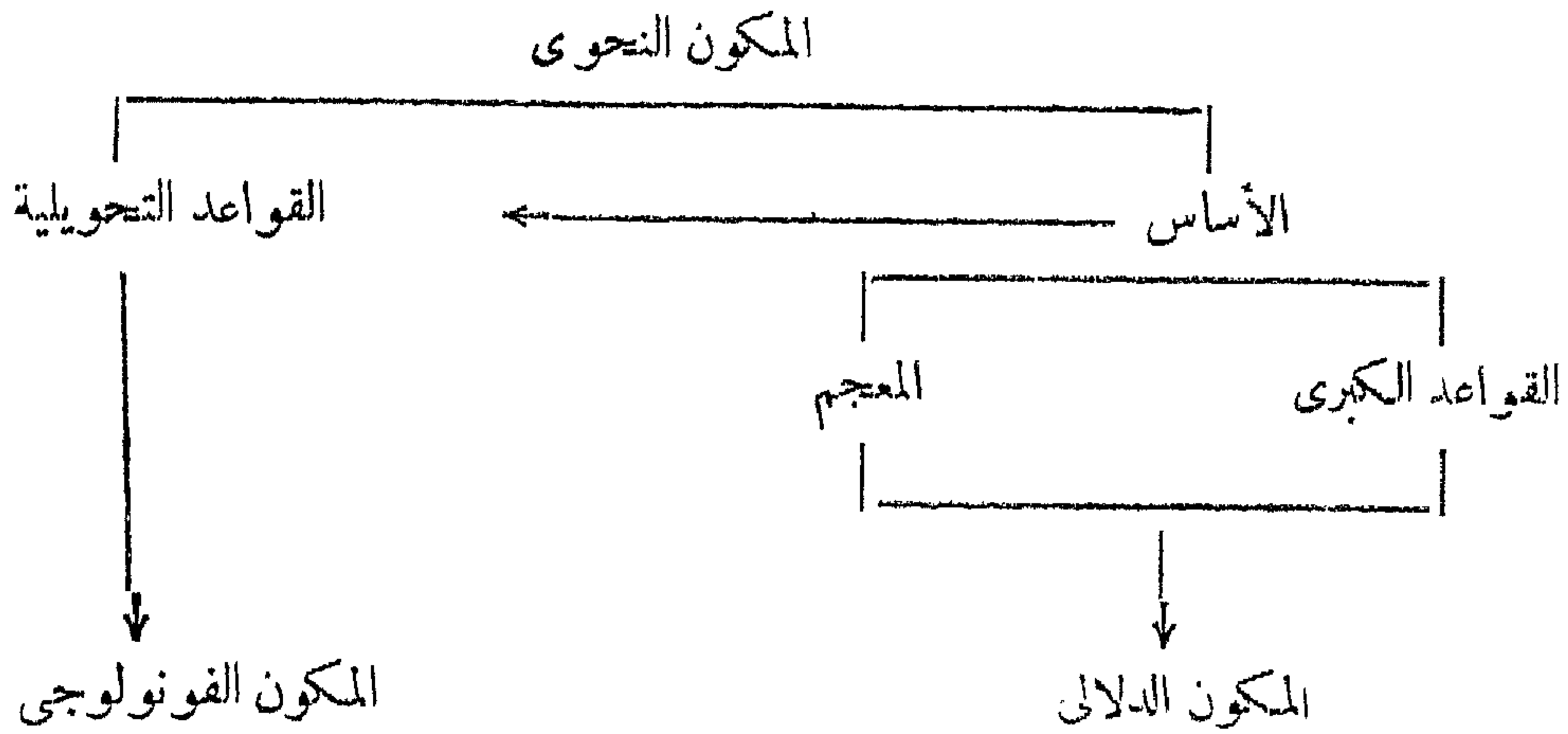
كما يمكننا من أن ندعى معنيين على الأقل لعبارات مثل : « زيارة الأصدقاء سارة » و « دار الكتب المصرية » و « لقد رجا التلميذ المعلم أن يقرأ النص » إذ يأتي اللبس من إضافة المصدر وتحديد المنعوت وتعيين مرجع الضمير على الترتيب فإذا حملنا هذه الجمل بواسطة الشجرة السابقة فربما أدركنا إلام أضيف المصدر وإلام رجع

انتفع التحويليون بهذه الطريقة من طرق العرض ولكنهم لم يستخدموها على علاقاتها وإنما طوروا الإفادة منها بحسب المطالب العلمية بأنهم . لقد قيل إن إحدى مميزات النحو التحويلي أنه يمكننا إن نسمح القراءة بين جمل متميزة من حيث بنيتها السطحية كما نسمح الاختلاف بين جمل متطابقة من حيث هذه البنية السطحية . وهكذا يمكننا أن نغير بالتحليل النحوي عن طبيعة القراءة بين أزواج من الجمل مثل :

ضرب	زيد	عمرا	ضرب	عمرو
علمت	زيدا	تعلم	زيد	
قام	زيد	زيد	قام	

كما يمكننا أن نستخرج بنيات عميقة متقدمة بالوقوف على أماكن مختلفة من

النح . غير أن التحويل لا يتم من بنية سطحية إلى بنية سطحية أخرى، وإنما يتولد من البنية العميقة التي يمكن التعبير عنها بطرق مختلفة من خلال أنواع من القواعد التي شرحها تشومسكي بصورة يمكن عرضها بالشكل البياني التالي:



الضمير وما المنعوت الذي وصفه النعت . وأكثر من ذلك أننا نستطيع من خلال هذه الشجرة أن نولد من معنى الجملة بنيات سطحية أخرى تعبر عن المعنى نفسه مثل : « من السار أن يزورك الأصدقاء » و « دار مصرية للكتب » و « رجاء التلميذ أن يعيد المعلم قراءة النص » ..

تتصف بها أو توصف من خلالها مداخل المعجم كأن نقول إن لفظ « الرجل » يتسم بأنه اسم معدود (حي - إنسان) فإذا أردنا الجنس أبدلنا « معدود » بعبارة « لا معدود » وفائدة هذه السمات أننا سنرى بعض الأفعال تتخذ فاعلها ومفعولها بشروط خاصة تحددها هذه السمات، فمثلا الفعل « صلى » لا يتخذ فاعلا من النبات أو الحمار أو الحيوان والفعل « بكى » لا يكون فاعله إلا من يصح منه البكاء . فإذا اكتفينا بالقواعد الكبرى والسمات المعجمية فلنتمكن من الكلمات بنائاتها لأنها ليست أكثر من

أما القواعد الكبرى فلنأخذ تخطيط البنية العميقة للجملة على النحو التالي :

NP → VP أي الجملة ضمنية اسمة وضمنية فعالية

NP → Det N « الضمنية الاسمية » أداة واسم

VP → Aux V « الضمنية الفعلية » مساعد وفعل

ويقرأ السهم كما تقرأ « أي » التفسيرية في اللغة العربية . هذا هو الجانب الأول من جانبي الأساس، أما الجانب الثاني وهو المعجم فإنه يحدد علامات من السمات المعجمية التي

مجموعة من القواعد والمطالب المجردة ومن ثم تحتاج إلى عنصر دلالي يعيننا على أن نختار المعاني المنسوبة إلى البنية السطحية : وفي الوقت ذاته تعمل مجموعة أخرى من القواعد التحويلية على أن تستعين بالعنصر الفونولوجي من هذا النموذج لتصوغ البنية السطحية المعبرة عن تلك البنية العميقة . وقد تطلب هذا المنهج أن تحدد الضمائم التي تعبر عنها هذه القواعد تحديداً مجرداً مثل (NP VP) وأن تصاغ قواعد لاستبدال الضمائر بالأسماء وقواعد لإدماج الجمل الفرعية في تكوين الجمل الأصليه .

لقد جعلنا الغاية التي نسعى إليها من عرض هذا النموذج أن نرى كيف يمكن أن توصف اللغة العربية الفصحى من خلاله : والذي ينبغي لنا أن نفعله ، لنمهد به الطريق إلى هذا النوع من التطبيق ، هو أن نحدد الضمائم في لغتنا العربية لنعرف ماذا يقصد بالضميمة الاسمية وماذا يراد بالضميمة الفعلية . وأول شيء أن المقصود بالضميمة الاسمية قد يكون واحداً من الأمور الآتية :

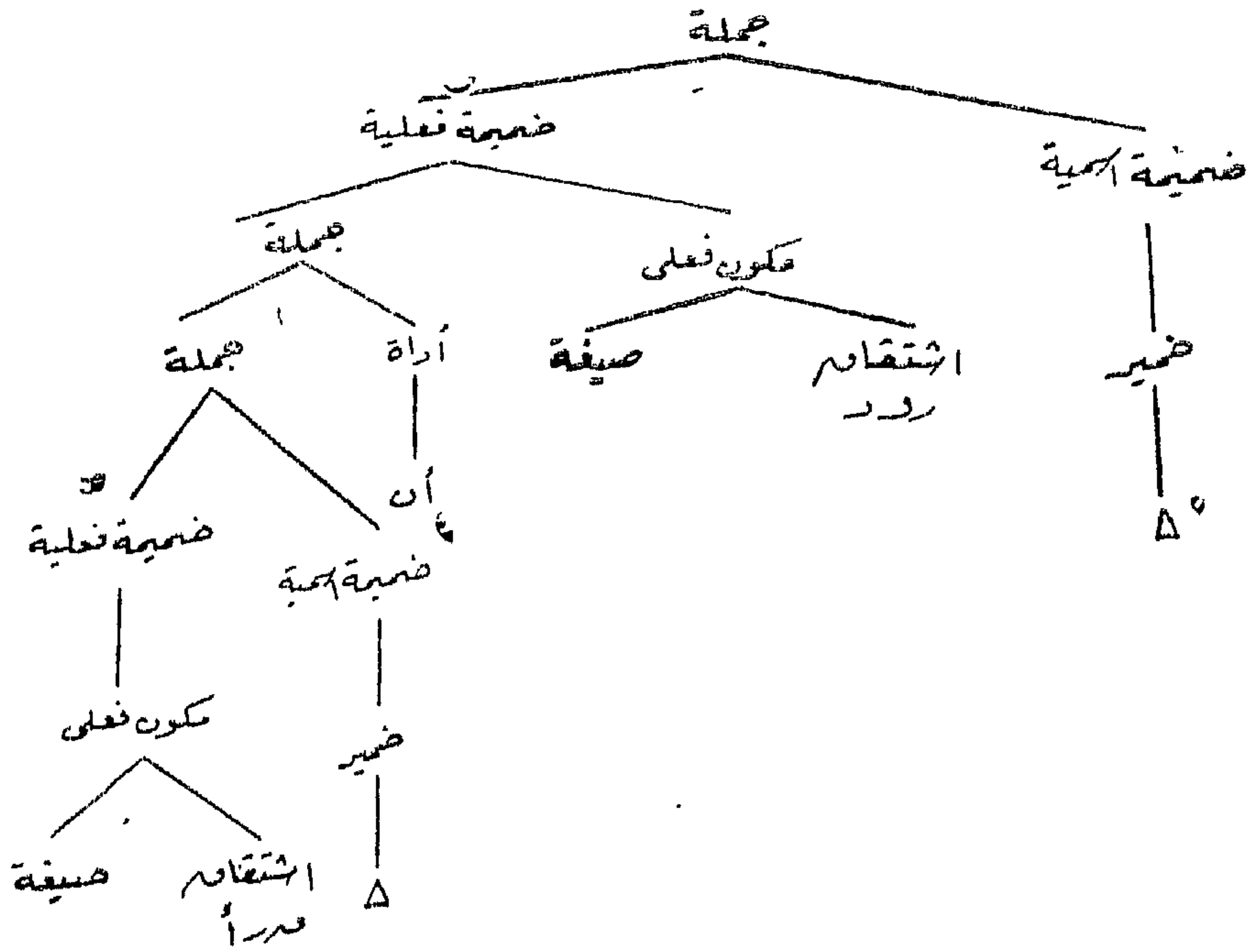
الاسم المفرد - الضمير - الاسم الموصوف - المتضامنين - الموصول وصلته - الموصوف وصفته .

أما المقصود بالضميمة الفعلية فهو :

المكون الفعلي (وهو الفعل أو الوصف أو المصدر وما في حيزه) - المركب الفعلي من ناسخ ومكون فعلي .

أما الجملة الفرعية فقد تقدم لها أن أن أو ما المصدرية أو غيرها من الأدوات المصدرية أو الموصول وقد تكون الجملة بدون مقدمة ولكنها حالة محل المفرد من نوع ما يسميه النحاة : الجمل ذوات المحل ونحب أن نشير إلى أن المصدر الصريح سيعامل معاملة خاصة ، فإذا وقع المصدر الصريح دون مطلق أو إضافة عومل كما يعامل الاسم المفرد وإن وقع مضافاً أو ممتولاً (ذا فاعل أو منفعول) عومل معاملة المصدر المؤول من حرف وجملة . أما الضمير فشرط استبداله من الاسم أن يتحد الاسم الذي حل محله الضمير في الصورة مع مرجع الضمير وهذا ما يسمى بالتطابق المعجمي Lexical identity ثم أن يشير إلى ما يشير إليه المرجع وذلك هو التطابق الإشاري [referential identity]

وسنحاول فيما يلي أن نعرض عدداً من الجمل بهذا النوع من التحليل ونضيف من خلاله مزيداً من الشرح لتطبيق هذا المنهج على اللغة الفصحى ؛ لاختيار صلاحية هذا المنهج أن يعاد وصف العربية من خلاله :



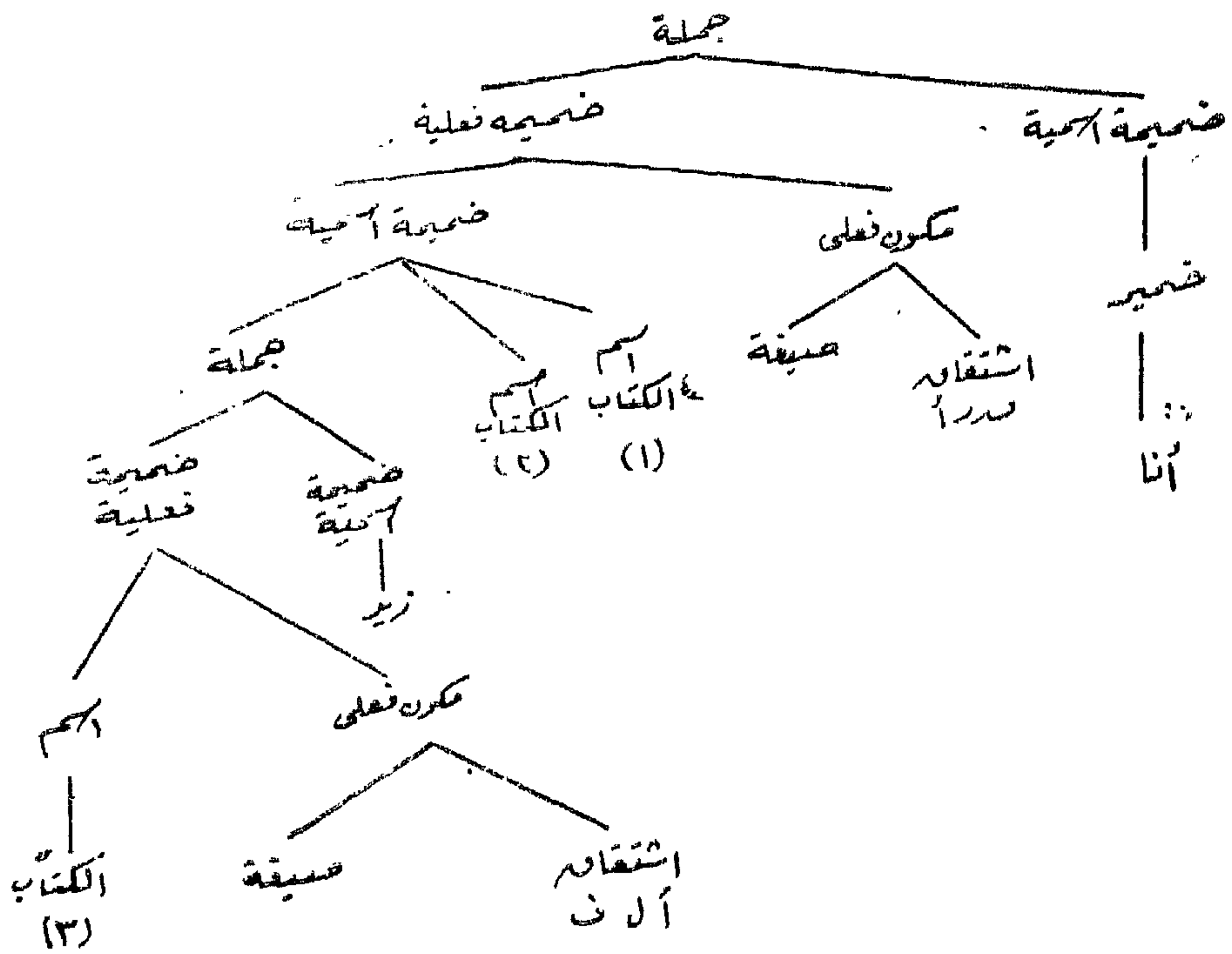
ولما رأينا أن الجملة الفرعية تتقدمها أداة
أفردنا للأداة فرعاً خاصاً قبل كلمة « جملة »
وبهذا يمكننا أن نعبر عن هذه الجملة بالبنيات
السطحية الآتية :

أريد أن أقرأ أريد القراءة
أنا مرید أن أقرأ أنا مرید القراءة
أردت أن أقرأ إرادتی أن أقرأ

وهلم جرا مما يمكن إرجاعه جميعه
إلى التخطيط السابق فإذا غيرنا الاشتقاق
في المكون الفعلي الأول إلى (ن و ی)
وفي الثاني إلى (ص ل و) فقد نهصل إلى جملة
« نويت أن أصلي »

ففي هذه الجملة نجد أننا قدبنا الضمير
وجعلنا مستترا (Δ) قبل الفعل لأن الرتبة
في حساب هذا النموذج إنما هي ظاهرة
سطحية أسلوبية فقولاك « قام زيد » هي
من وجهة نظر النموذج المطروح « زيد قام »
والفارق أسلوبى يتعلق بالتقديم والتأخير
والأسلوب غير النحو، أما عبارة « المكون
الفعلى » فنأثدتها أنها تمكينا من أن نضع
تحتها فعلا أو وصفا أو مصدرا مضافا
أو ممطولا ، ولذلك رصدنا تحتها الاشتقاق
لأنه لا يتعدد ويمكن تركه أيضا لإفساح
المجال لمختلف المواد الاشتقاقية وتركنا
الصيغة غير محددة لتنويع البنية السطحية

٢ - قرأت الكتاب الذي ألفه زيد :



الكتاب (٣) تتحول إلى ضمير متصل
للسبب نفسه بينه وبين الكتاب (٢)

زيد ألف الكتاب تتحول إلى ألفه
زيد بعد وضع الضمير الموصول موضعه

وهذا هو المقصود بالتحويل الذي سمي
النموذج باسمه .

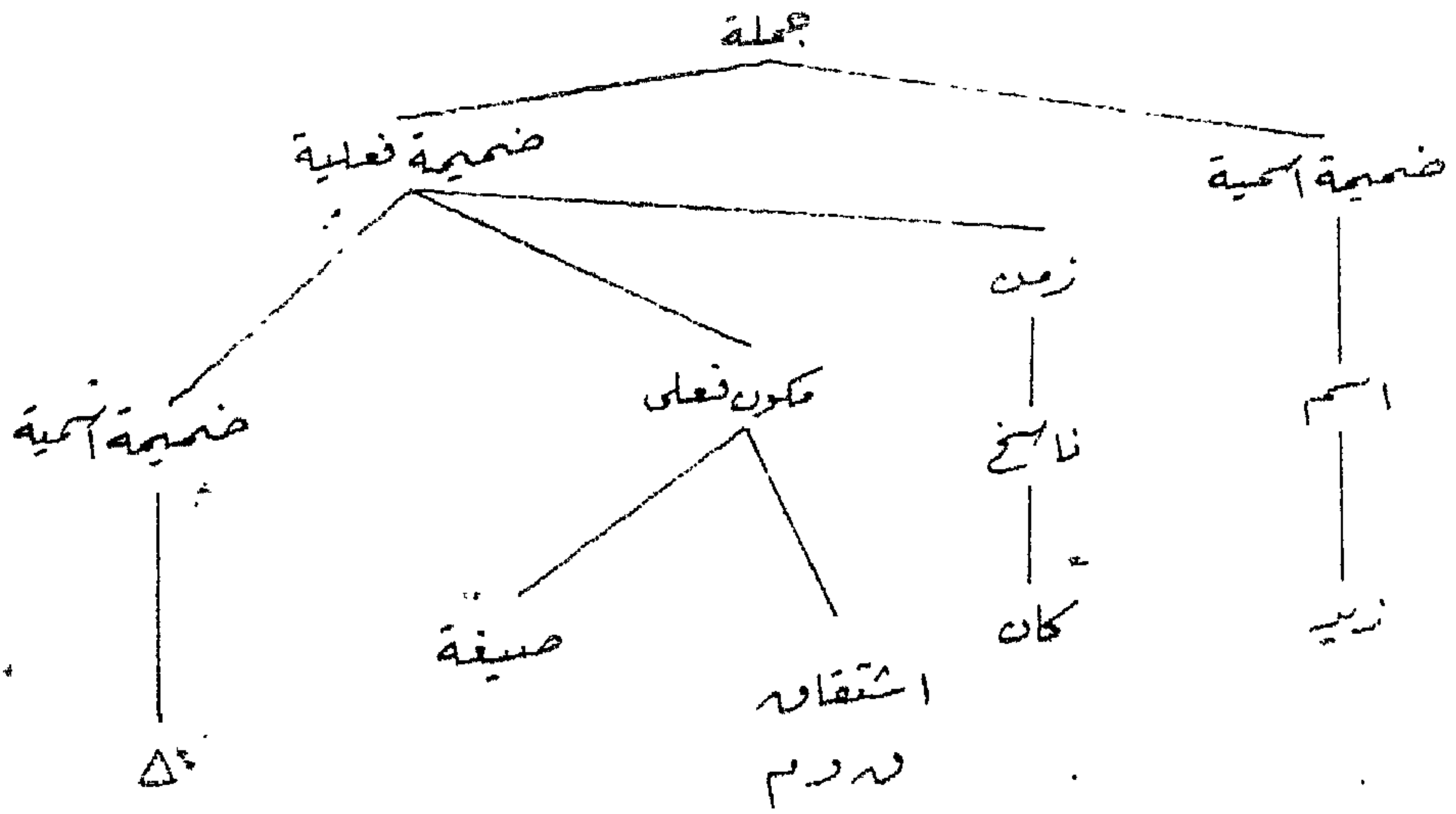
ويتضح من هذا المنشور التحليلي للبنية
العميقة أن العناصر النهائية بالترتيب هي :

أنا + قرأ + الكتاب ١ + الكتاب ٢ +
زيد + ألف + الكتاب ٣ .

وبقواعد التحويل نصل إلى ما يأتي :

أنا + قرأ تتحول إلى قرأت

الكتاب ٢ تتحول إلى الذي لمراعاة
التطابق المعجمي والإشاري بينه وبين الكتاب (١)



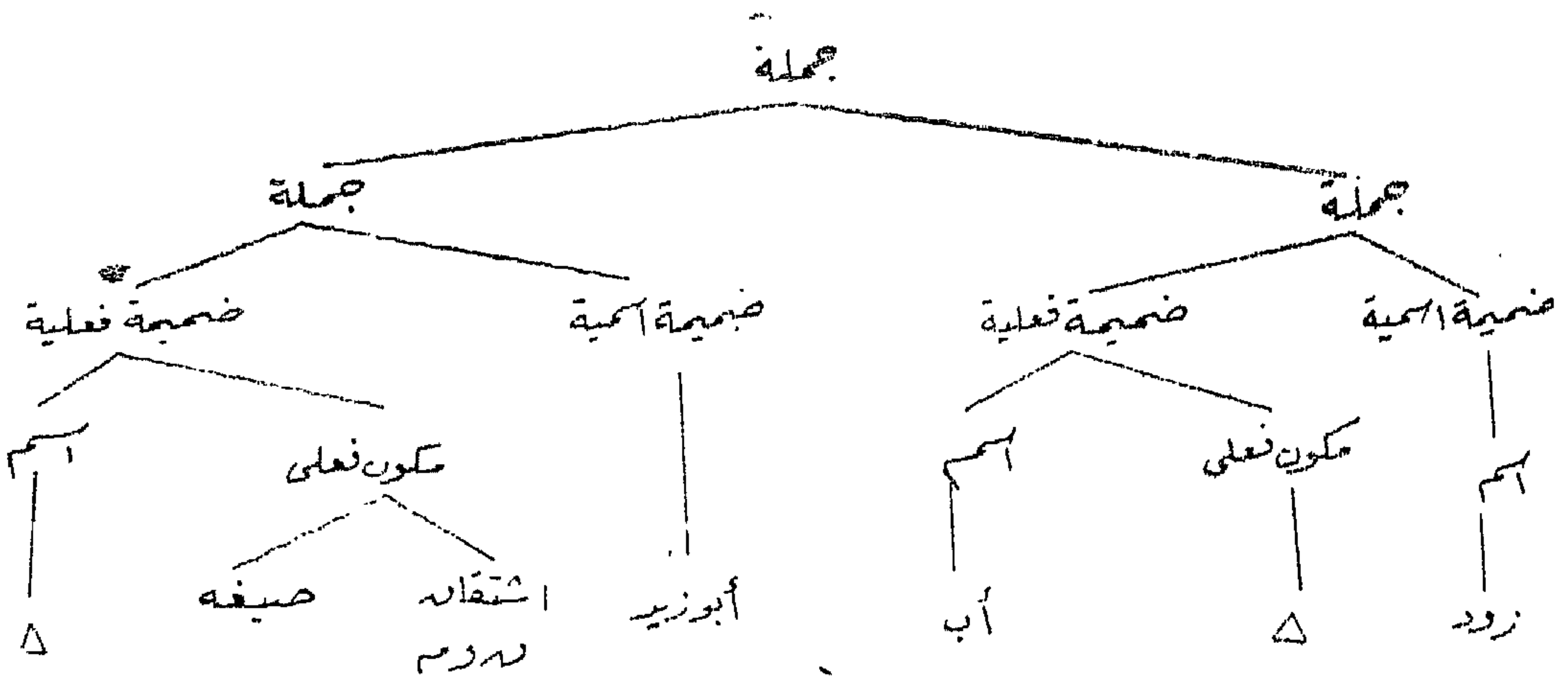
ويلاحظ :

١- أن المركب الفعلى مكون من الناسخ وخبره
مفعوله محذوف كما في : كان زيد ضاربا
عمره .

٢- أن الخبر يصورته الحاضرة قد يكون لازما كما في المثال الذى لدينا وقد يكون

زيد أبوه قائم :

زيد أبوه قائم :
زيد أبوه قائم :
زيد أبوه قائم :



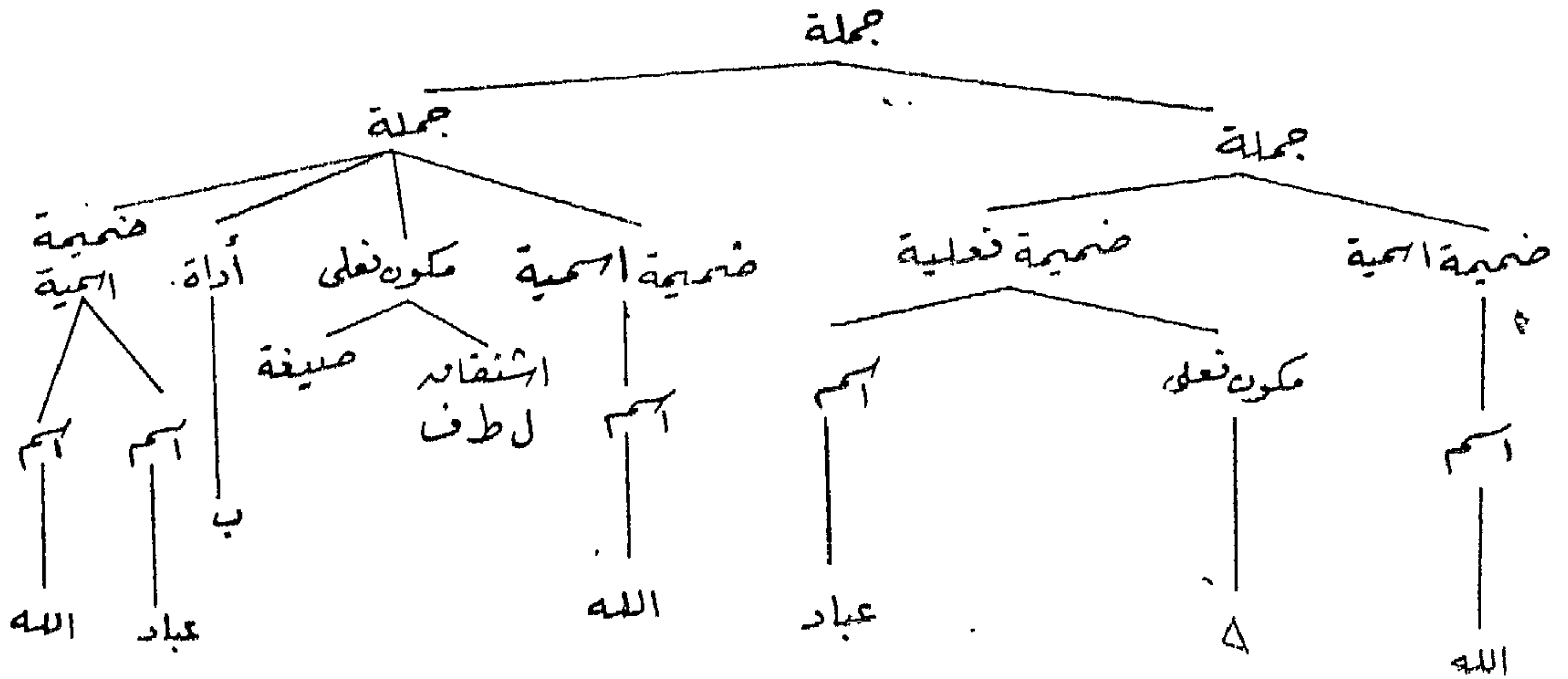
ومعنى هذا التخطيط أن البنية العميقة
مكونة من شقين :

(أ) زيد له أب (حيث ترجحت
الملكية التي دلت عليها « له »

الله لطيف بعباده :

إلى سكون فعلى = يجوز أو
يتخذ ، أو نحوها) .

(ب) أبو زيد قائم .



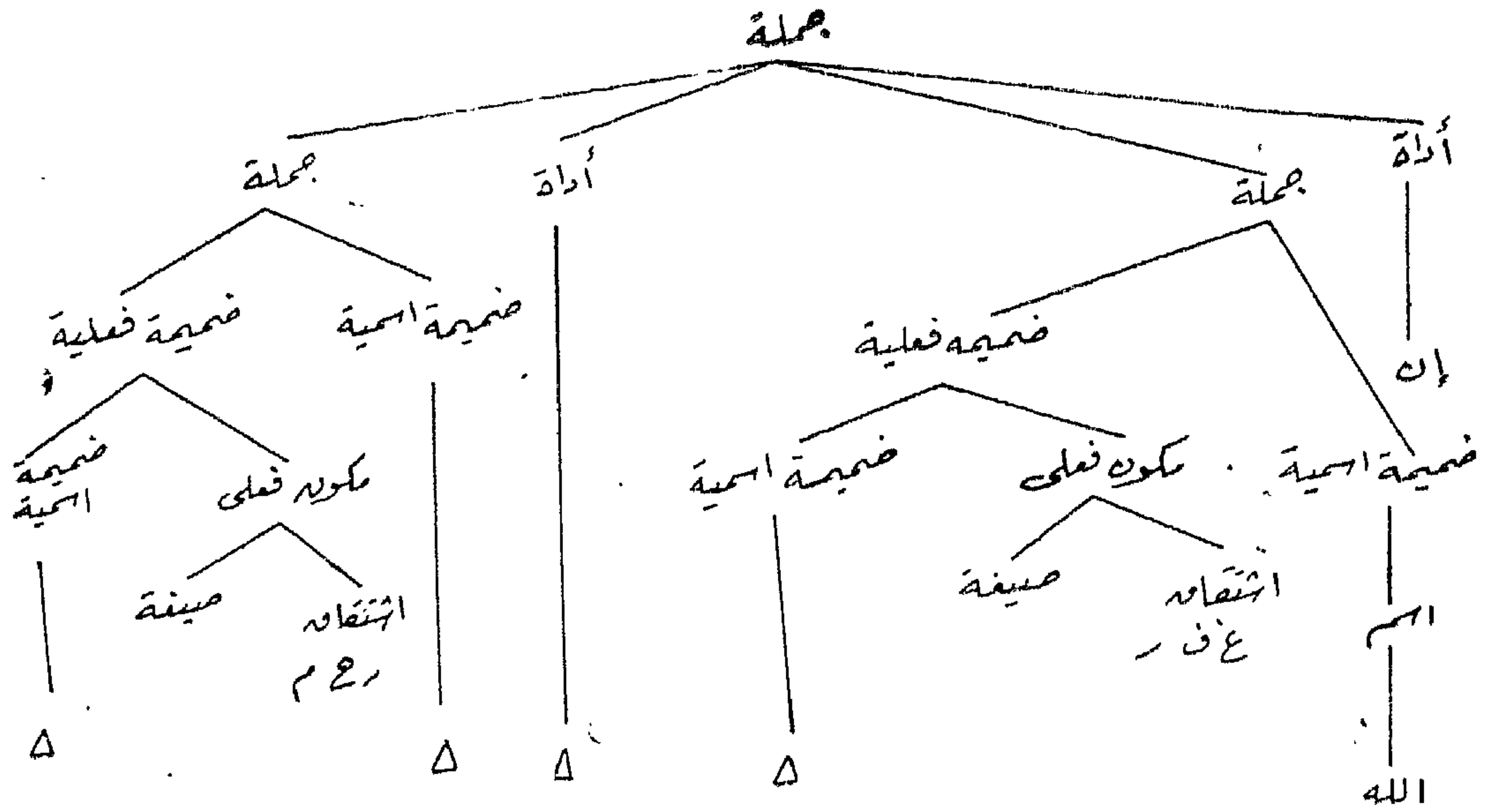
يلاحظ هنا :

(أ) أن الضميمة الاسمية مكونة من
اسمين مما يدل على الإضافة .

(ج) مرة أخرى تركنا الصيغة خالية
لنستطيع أن نضع فيها ما يمكن من
الأفعال والأوصاف والمصادر .

(ب) أن الاسم الثانى (الله) يتطابق
معجميا وإشاريا مع اسم سابق
فيتحول إلى ضمير يعود على
السابق .

(د) هنا إذا تكررت الإضافة تعددت
الأسماء تحت الضميمة الاسمية
كما فى : « الله يغفر ذنوب
عباده » .



يلاحظ هنا :

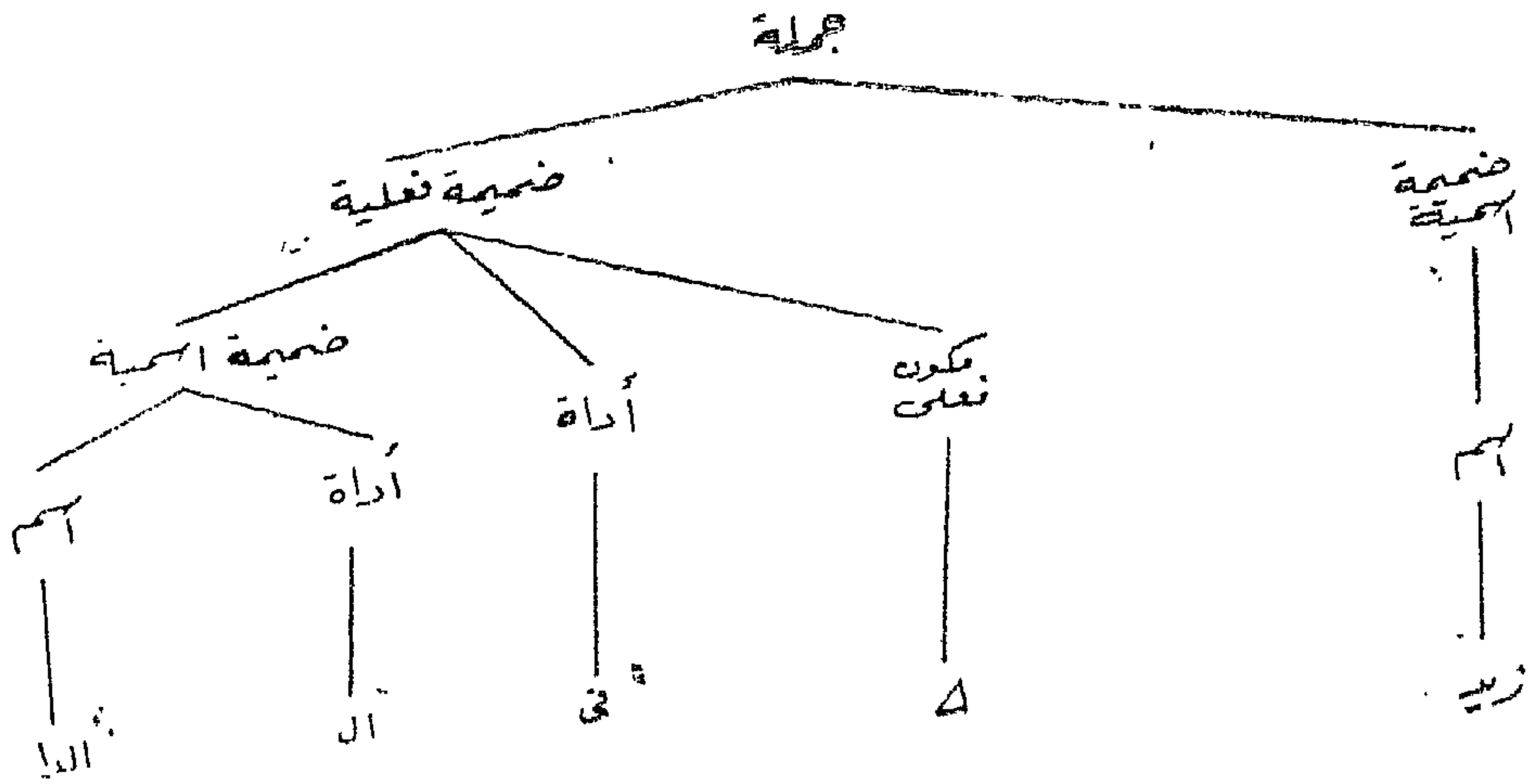
(أ) أن المكونين الفعلين من أصل اشتقاق متعدد ولكن المفعول لم يذكر (انظر ظننت زيدا قائما) .

(ب) أن البنية السطحية لهذه الجملة من قبيل تعدد الخبر ولكن البنية العميقة جعلت ذاك من قبيل تعدد الجملة أى أن تعدد الخبر عولج بتقدير تعدد المبتدأ أى تعدد الجملة .

(ج) أن الأداة التي لم تذكر (Δ) هي واو عطف مقصورة في البنية العميقة .

(د) أن الضميمة الاسمية الأولى في الجملة الثانية هي لفظ الجلالة أو ضميره وإن لم يذكر .

(هـ) نستطيع أن نغير الأصل الاشتقاقى للمكونين الفعلين فنحصل على بنىات أخرى عميقة لحمل سطحية مثل : إن الله لطيف خبير
إن الله قوى قدير
إن الله رحمن رحيم

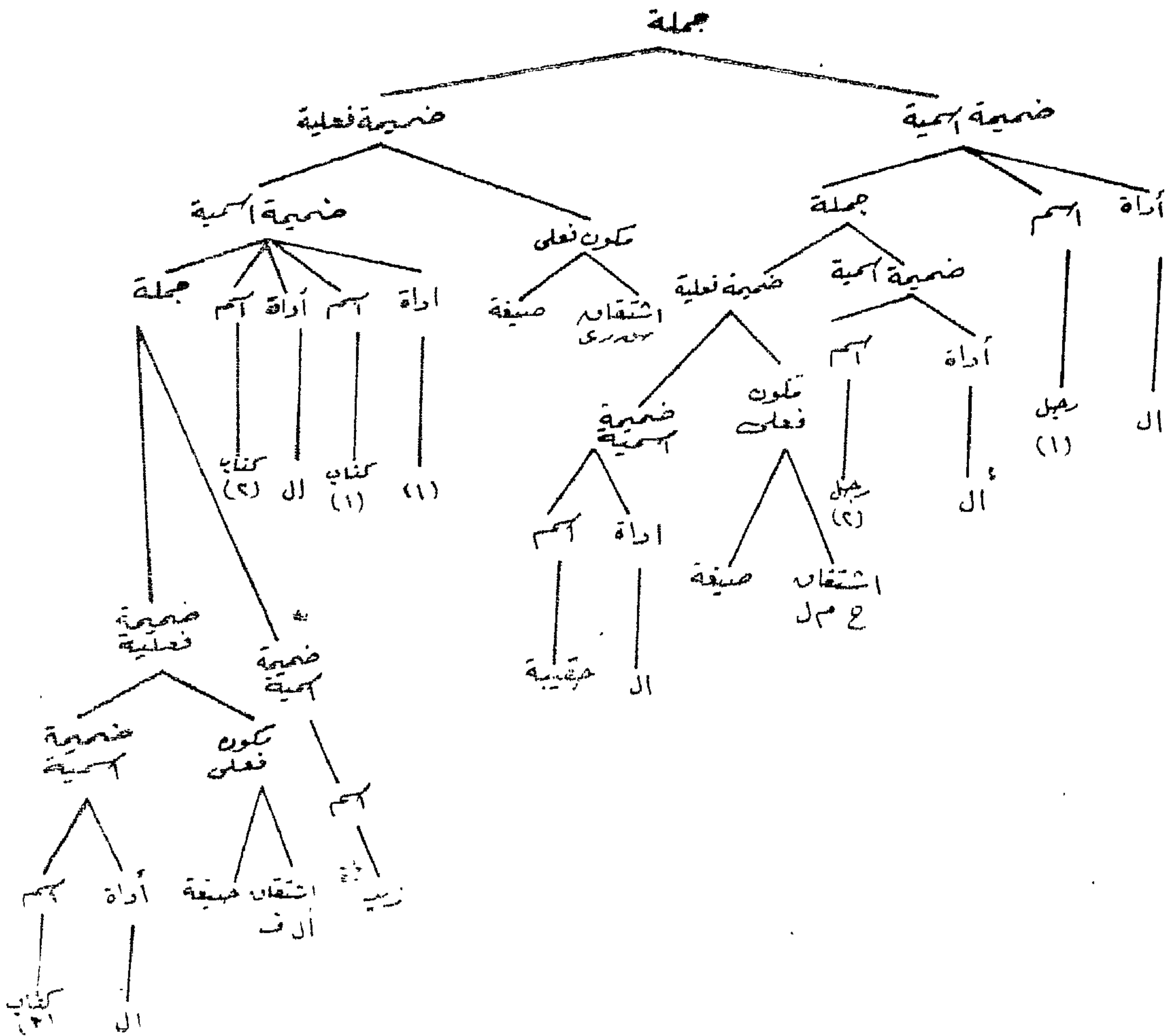


ويلاحظ هنا أن إدخال المكون النعلى في الشجرة مع عدم ذكره في البنية السطحية للجملة يربط الوشائج العيقة بين هذه الجملة وجملة سطحية أخرى مثل :

استقر زيد في الدار زيد يقرأ في الدار
زيد مستقر في الدار ينام زيد في الدار إلخ

وقد أحسن النحاة العرب صنعا من وجهة نظر هذا النموذج أن قدروا هذا المتعلق على عدم ذكره واعتبروه محذوفا جوازا وقسموه إلى كون عام وكون خاص .

٧ - الرجل الذي يحمل الحقبة اشترى الكتاب الذي ألفه زيد :



ونلاحظ :

وأن هذا التحويل يخضع لقاعدة التطابق الدقيق الذي يشمل التطابق المعجمي والإشاري.

وينبغي أن نعود هنا إلى الإشارة إلى أن التحليل العميق ينتهي بذكر أقسام الكلام من أداة واسم إلخ وأن نخصص الأداة

أن الرجل (٢) تحول إلى الضمير
الموصول وأن الكتاب (٢) تحول إلى
موصول أيضا والكتاب (٣) تحول إلى
ضمير المفعول .

أو الاسم أو المكون الفعلى يعتمد على تطبيق قيود التوارد المعجمية التي أشرنا إليها عند قولنا ليسند الفعل يبكى إلى من يصح منه البكاء ثم العنصر الدلالى الذى يمدنا بالمعاني الضرورية للبنية السطحية ثم قواعد التحويل ، ثم العنصر الفونولوجى والذى يعبر بالألفاظ عن هذه المعانى .

والعنصر الذى تحكمه الشروط النحوية (كالتعدى واللزوم الخ) أو القيود المعجمية (كالإنسان والمعدود الخ) يعتبر عنصرا مركبا مكونا من عدد من الخصائص التى تتطلب أن تراعى وتعتبر هذه الخصائص من القرائن النحوية . وتتدرج هذه الخصائص فى الأهمية بحسب ضرورتها للمعنى فالشروط النحوية إذا لم تراعى خرج التركيب عن حدود الصحة أما الشروط المعجمية فإنها إذا لم تراعى يظل التعبير قابلا للصحة إذا أمكن تفسيره فى ظال الحجاز ، مثال ذلك :

١ - ضرب زيد عمرا . تعبير صحيح ومناسب .

٢ - قد زيد عمرا . تعبير خطأ للجمع بين المتنافيين (قد والاسم)

٣ - جلس زيد عمرا الخطأ أيسر ولكنه قائم بسبب لزوم الفعل مع وجود مفعول .

٤ - أكل زيد عمرا التركيب صحيح نحويا ولكنه مخالف لقيود التوارد المعجمية ويصح تفسيره بالحجاز إذ يمكن للمعنى أن يكون غمطه حقه » .

وهكذا يبدو أن النموذج التحويلي يمكن أن يطبق على اللغة العربية ، ويمكن للغة العربية أن يعاد وصفها لسانيا من خلاله . وقد حرصت على أن أشجر الحمل التى اخترتها لبيان بنيتها العميقة ، ولم أثقل على القارئ أو السامع بإيراد تفاصيل القواعد التى يمكن التعبير بها عن كل جملة وبخاصة لأن بعضها رموز منطقية إن سهلت قراءتها فمن الصعب إبرازها فى الكلام هذا من جهة ومن جهة أخرى كان يلزمنى أن أعرب هذه الرموز ، وهذا التعريب يتطلب الأناة والروية .

تمام حسان

عضو المجمع



معارف كلمات من التوراة والإنجيل

للككتور عمر فروخ

بدا

الاستشراق منذ زمن

بعيد - بعد الحروب

الصليبية - وكانت الغاية من هذه

الحركة درس اللغات الشرقية والثقافة

العربية الإسلامية . ولقد كان ذلك في سبيل

أن يفهم الأوروبيون أحوال البلاد الإسلامية

خاصة وأن يدرّكوا مناهج حياة المسلمين

للتوصل بسهولة إلى استغلال خيرات الشرق

عامة وإلى حكم البلاد الشرقية إذا كان

استغلال مواردها الطبيعية لا يتأتى إلا بعد

حكمها حكماً مباشراً أو حكماً شبيهاً بالمباشر .

ولا شك في أن نفراً كثيرين من

المستشرقين كانوا أمثال الرسالة التي نذبوا

لها أنفسهم فظلوا في نطاق الاستشراق

العلمي فلم يغمسوا أقلامهم ولا مدّوا أيديهم

إلى ميدان السياسة والحرب . وفي المستشرقين

نفراً لا يغيب عن بال اللاحظ أن الاستشراقهم

حمائم على حب اللغة العربية ، والثقافة

الإسلامية حباً جماً صحيحاً . غير أن ذلك

لم يكن القاعدة .

وهناك نفر من المستشرقين أعلنوا

عدائهم للغة العربية وللثقافة الإسلامية

والإسلام نفسه . ثمّ مدّوا أعناقهم إلى

التطاول على الشخصيات الإسلامية بدءاً

بمحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وجردوا أقلامهم للطعن على الدين وعلى

القرآن الكريم بما لا يدل على شيء من العلم

ولا من الإنصاف الإنساني .

ومن رؤوس المستشرقين المنصفين

تيودور نولدكه ، ومع ذلك فإن آراءه

لم تخل من آخذ ترجع إلى أن الغريب عن

لغة - مهما يتقن تلك اللغة - لا يستطيع

أن يحس عند قراءتها ما يحس به ابن اللغة

التي نشأ بين أهلها . فقد ذكر نولدكه ،
مثلاً ، أن القرآن يجعل اعتماد مصر على
الغيث (المطر) ، فهم ذلك من قوله تعالى :
« ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ
النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ » . (سورة يوسف
١٢ : ٤٩) . غير أن الفعل المجهول هنا
« يُغَاثُ » ليس من المجرد « غاث » اليائي
في قولنا : « غاث الله البلاد » : سقاها
المطر . ولكن الصيغة الواردة في القرآن
الكريم مزيدة بالهمزة من أغاث يغيث--
الواوى بمعنى : ساعد ، أنقذ .

هذه المقدمة القصيرة ضرورية هنا
للدخول في هذا الموضوع الجديد : ثلاث
كلمات في التوراة والإنجيل تحمل غير
معانيها اللغوية . وأنا هنا :

-- لن أعرض لغير الوجه اللغوي البحت ،
-- وإن أعلق على ذلك بشيء من عندي
أخرج به عن مقتضى العلم .

* * *

أريد أن أبدأ بالكلمة الواردة في الإنجيل
لأن الطريق إليها أيسر مسلكاً . وسأعتمد
إنجيل متى لأنه أقدم الأناجيل الأربعة
القانونية التي أجازتها الكنيسة من نسخ
الأناجيل الأربعمئة التي كان نفر من حواربي
المسيح عيسى ابن مريم ، ونفر آخرون
غيرهم ، قد وضعوها لسرد تاريخ حياة المسيح
ولحكاية جانب من أعماله كما تخيلوا هم
ذلك أو كما أحبوا هم أن يكون تاريخ
حياته وأن تكون حكاية أعماله ، نعرف
ذلك من أن كل واضح لإنجيل من هذه

(راجع تاج العروس الكويت ٥ : ٢١٤)

العمود الثاني ، السطر الرابع وما بعد) .

هذا المعنى الثاني ملموح في القرآن الكريم
من غير حاجة إلى الرجوع إلى القاموس .
لقد نزلت تلك الآية في معرض الكلام على
القحط في مصر من القصور في فيض نهر
النيل . فالإغاثة هنا (مصدر يغاث المجهول)
هي رجوع الخصب إلى أرض مصر بـ رجوع
نهر النيل إلى الفيضان الطبيعي بعد سنوات
القحط .

الأناجيل الأربعة قد أكد جانباً معيناً من حياة المسيح .

ثمَّ إنَّ متى كان قد وضع إنجيله باللغة الآرامية المتأخّرة ، تلك اللغة التي كان - المسيح نفسه يتكلّمها ، أو على الأصح : كان المسيح عيسى ابن مريم يتكلّم لهجة عبرية قد تأثّرت بتلك اللهجة الآرامية . وهنا يغمض طريق الباحث قليلاً أو كثيراً ذلك لأنَّ الأصل الذي كان متى قد وضعه باللغة الآرامية قد ضاع . وإنجيل متى الموجود بأيدي الناس اليوم رواية باللغة اليونانية لذلك الأصل الآرامي .

أما الكلمة المأخوذة من الإنجيل والتي هي موضوع البحث هنا فهي كلمة « رب »

إذا كان عيسى ابن مريم قد نشأ بين قوم يتكلّمون لغة معينة وأنّه قد دعاهم إلى اتّباع دين قد جاء به إليهم ، فإنَّ المنطق يقضى بأنّه كان يتكلّم لغة أولئك القوم وأنه كان يدعو أولئك القوم باللغة التي كانت مألوفاً عندهم . والحكم في تلك اللغة

القاموس العبري والقاموس الآرامي . فما معنى كلمة « رب » في ذينك القاموسين وكيف استعملت تلك الكلمة في ذينك القاموسين وكيف استقرّت في الأناجيل الأربعة عامة وفي إنجيل متى خاصّة ؟

أولاً - في القاموس العبري :

إنَّ الجذر « رب » في القاموس العبري وبحسب الصيغ المختلفة المشتقة منه يدل على العدد الكثير والمقدار الكبير وعلى القوة وعلى التقدّم في السن وعلى الرئيس في قومه والقائد وعلى العالم والبارع في صناعته وعلى المعلم والشيخ الفقيه . ولقد وردت هذه المعاني في العهد القديم في أماكن كثيرة مختلفة ومفرّقة في الإصحاحات (الأبواب ، الفصول) .

ثانياً - في القاموس الآرامي :

وهذا الجذر نفسه « رب » في القاموس الآرامي لا يبعد كثيراً عمّا جاء في القاموس العبري . إنّها هنا تدلُّ على الكبير

يوسف (مرتين في المعنيين الدالين على
الملك وعلى الله تعالى :

« وَقَالَ الْمَلِكُ : ائْتُونِي بِهِ . فَلَمَّا جَاءَهُ
الرَّسُولُ قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ :
مَا بِالنُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي
بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ » .

وجاءت في آية سابقة من سورة يوسف
(١٢ : ٤٢) مرتين بمعنى الملك فقط :

« وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا :
اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ
رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ » .

« وَرَأَوْدَتُهُ لَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ
وَوَلَّغَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ قَالَ :
مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ » .

وكلمة « رب » هذه بمعنى صاحب أو مالك

لأتأتى ، حتى حينما يراد بها الله تعالى ،
إلا مضافة إلى ضمير - أو إلى اسم ظاهر

والعظيم الجليل والزعيم والرئيس والسيد .
والرب أيضًا هو الأستاذ والإمام . وهناك
في القاموس الآرامى ، « الرب » (مونث
الرب) : الرئيسة والسيدة . ورباني ،
(بتفخيم الألف أو بإمالتها نحو الواو)
كلمة من العبرية معناها معلمى .

ثالثا - في القاموس العربى :

واللغة العربية المصيرية أخت شقيقة
للغة العبرية وللغة الآرامية (أو هى - على
الأصح - خاتمتها) لا تبعد فى معنى الجذر
« رب » عما جاء فىهما . فالكلمة « رب »
تطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدير
والمربى والمتمم . وقالوا فى الجاهلية « الرب »
للملك . قال الحارث بن حلزة فى معلقته :
وهو الرب والشهيد على يو

ثم الحيارين والبلاء بلاء

وكذلك جاءت كلمة « رب » فى القرآن
الكريم للدلالة على الملك (١٢ : ٥٠ ، سورة

عام الدلالة مطلقاً - في اللغات الثلاث

المقصودة هنا :

* ففي القرآن الكريم :

« رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ » .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

« قُلْ : أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا ؟ وَهُوَ رَبُّ

كُلِّ شَيْءٍ » . (٦ : ١٦٤ سورة الأنعام) .

« رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا »

« ٢٧ : ٣٧ ، سورة النبأ » .

* وفي المنادي تأتي كلمة « رب » مجردة

وتكون مبنية على الكسر و على الضم ،

أو على الفتح : ياربُّ ، ياربُّ ، ياربُّ ،

ذلك لأنَّ التوجه بذلك إلى الله وحده يقوم

لها مقام الإضافة إلى ضمير المتكلم .

* وأما إذا كان الاسم الظاهر قاصراً ،

ومحدوداً ، في نطاق المكان والزمان ، فكلمة

« رب » تدلُّ حينئذ على الإنسان :

ربُّ الدَّابة ، ربُّ الدَّار ، ربُّ البيت ،

ربَّة البيت ، ربَّات الحجال .

ربُّ العمل ، أرباب السياسة .

* والرباني (في اللغة العربية أيضاً)

تدل على العالم المعلم .

وقد خطب عيسى المسيح بالقول :

« يامعلم » (متى ٨ : ١٩ ، ١٢ : ٢٨ ،

٢٢ : ١٦ ، ٢٤ ، ٣٦) ، كما قال عن

نفسه : « المعلم » (٢٦ : ١٨) . وهنالك

تعبير أخرى خطب بها لاجابة إلى الاستشهاد

بها لأنني قد اقتصر في هذا البحث على

لفظ واحد . من أجل ذلك كان نقل كلمة

« رب » عن معناها اللغوي إلى معنى يدل

على « الألوهية » تصرف في النقل (الترجمة)

ولنضيف إلى ذلك أن التوراة والإنجيل قد

دخل عليهما تحرير مرّات كثيرة . وفي المدة

الأخيرة (منذ نحو عشرين سنة أو تقل

قليلاً) دخل عليهما تحريران : تحرير قام

به اليسوعيون وعمل فيه الصديق بطرس

البستاني (ت ١٩٦٩ م) ، ثم تحرير

آخر قام به المرسلون الأمريكيون وشارك

فيه صديقي جبرائيل جبور (وهو لا يزال

على قيد الحياة) . ثم إنَّ النسخ التي طبعت^{١٧}

منها التوراة والتي طبعت منها الأنجيل

لا ترقى إلى أبعد من القرن السابع للميلاد .

أما الكلمتان الباقيتان فهما من التوراة ،
والكلام فيهما أكثر إيجازاً .

٢- جاء في التوراة (الملوك الأول ،
الإصحاح ١٧ ، العدد ٦) :

... وكانت الغربان (بالغين المنقوطة
والمكسورة) تأتي إليه (إلى إيليا التشبي)
بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساء .

وبالرجوع إلى النص العبري نجد كلمة
« عربيم » (بإمالة الياء بعد العين المهمة
بلا نقطة) بمعنى الغربان . ونحن نعلم من
تاريخ التوراة خاصة أن النص الذي طبعت
منه التوراة التي بأيدي الناس ، والذي
لا يرقى إلى أبعد من أواخر القرن السابع
للميلاد ، كان غير منقوط ، ولم تكن
كلماته مفصولة بعضها من بعض في الخط .
ولا شك في أن الشكل الحاضر في التوراة
كان من اجتهاد أحبار اليهود .

ولقد كان بإمكان أولئك الأحبار أن
يضبطوا كلمة « عربيم » بفتح العين ،
فتصبح العربان بمعنى الأعراب فيصح المنطق
حينئذ ، فإن الطيور (سواءً أكانت الغربان

أم غير الغربان) لا تستطيع أن تحمل شيئاً
إلى أحد ولا تعقل فعله . أما العربان
أو الأعراب ، أي البدو ، فيمكن أن يفعلوا
ذلك قدرة وإرادة وعقلاً . ومع أن الصيغة
« عربان » ليست في القاموس ، فإنها
- على كل حال - مسموعة ، وقد وردت
فيما أذكر في الشعر : « من عجم وعربان » .

٣- جاء في التوراة (صموئيل الأول ،
الإصحاح السادس ، العدد الخامس) :

« واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل
فيرانكم التي تفسد الأرض ، وأعطوا إله
إسرائيل مجداً لعلّه يُخَفِّفُ يده عنكم وعن
آلهتكم وعن أرضكم » .

والشاهد هنا في « بواسيركم » ،
والباسور والبواسير مرض يحدث من تمدد
وریدی في الشرج (بفتح ففتح : باب
البدن) ويُنزَف (بالبناء للمجهول : يسيل
منه دم) .

وبالرجوع إلى النص العبري وإلى النص
اليوناني تبين أن الكلمة هنالك تعني
البواسير (المرض الذي يسبب نزيفاً

دموياً (. وهذا أيضاً موجود في النصوص
المختلفة من عربية وغير عربية .

ورجعت إلى تفسير للكتاب المقدس^(١) ،
وهو في أجزاء كثيرة ، فوجدته (الجزء
الثاني ، الصفحة ٩٠٦) قد فسر « وأعطوا
إله إسرائيل مجداً » ، وسكت عن لفظة
البواسير .

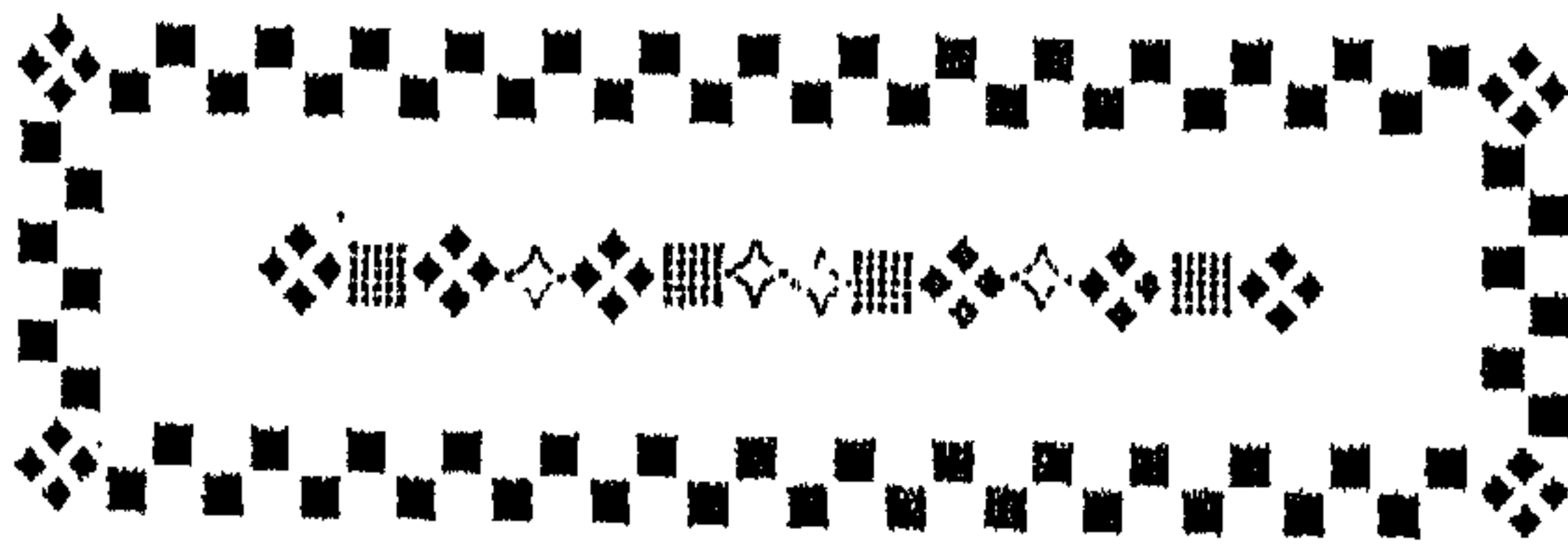
لقد كان بالإمكان أن أمضى في القاموس
العبري والقاموس اليوناني لأرى فيهما
كلمات تقرب في لفظها أو شكلها من كلمة
« بواسير » عندهم (وفي اليونانية ، مثلاً
كلمة تقرب من ذلك وتدل على « حبة

يسبب عضها نزيهاً ») . ولكن معرفتي
بالعبرية وباللغوية لا تزيد على تمييز بعض
حروف أبجديتهما من بعض . فوقفت عند
حد علمي .

لعل الذين يعرفون التوراة والإنجيل
أكثر مني أو الذين يعلمون من اللغات
الآرامية والعبرية واليونانية علماء صحيحاً
يولون هذا الجانب من البحث اهتماماً وافياً
ولعلهم قد أخطأت في عرض عدد من
الحقائق ، وعذري في ذلك قلّة علمي ،
بالموضوع مع سكوت العلماء عن الكلام فيه .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان



(1) The Interpreter's Bible, N.Y. copyright 1953.

نظريّة النحو لقرآني نشأتها وتطورها وتكوينها للدكتور أحمد مكي الانصاري

أباد

فأقول : إنني لست

أول من دعا إلى هذه

النظرية ، فقد سبقني إليها علماء أجلاء

منذ مئات السنين . فهي قديمة قدم المدافعين

عن كتاب الله ضد الطاعنين في القرآن

الكريم متمثلا في قراءاته المتواترة الموثوق بها

كل الثقة وذلك حين تصطدم القواعد النحوية

بالآيات القرآنية المحكمة .

آخر أو فرق كبير بين مجرد الدعوة والتفكير

وبين^(١) العمل والمعالجة والتنفيذ وقد هديني

الله تعالى - بفضلِه ومنة وكرامة - إلى تخطيط

لهذه النظرية وتصور تام لأبعادها وتكوين

كامل لها متمثلا في عناصرها الأربعة وهي :

١ - الإطار العام .

٢ - والمحور .

٣ - والعمود الفقري .

٤ - والمقومات الأساسية .

غير أن الدعوة إلى هذه النظرية شيء

ومحاولة إخراجها إلى حيز الوجود شيء

(١) تكرار (بين) مع الاسمين الظاهرين جائز على مذهب الكوفيين ، خلافا للحريري في درة النواص ، ذلك الذي رفض هذا التكرار استنادا إلى ما استنبطه استنباطا من مذهب البصريين دون اعتماد على نص صريح في ذلك من النحاة السابقين على أن هناك نصوصا مسموعة جاء فيها التكرار ، من ذلك قول الشاعر العربي المطبوع (عمرو الكلابي) :

ماذا لقينا من المستعمر بين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

ثم قال :

وحرصوا بين عبد الله من حمق وبين زيد فطال الضرب والوجع

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على أعراهم طبعوا

إلى آخر مقالته ... وانظر شرح ديوان المتنبي ج ١ ص (س - ب) من المقدمة ، ومعجم الأدباء ١٢ / ١٠٢ ط دار المأمون (ترجمة ابن جني) وانظر سيبويه والقراءات للمؤلف ص ٢٣٤ فإبعدها ، وإنباه الرواة للقفطي (ترجمة الأخفش) وهناك رواية (عمار بدل عمرو) في بعض المراجع .

وقبل أن أخوض في الحديث المستفيض عن كل ذلك يجدر بنا أن نلم إلمامة سريعة بالنشأة الأولى لهذه النظرية ثم نقفز قفزات متعددة في طريق التطور إلى أن نصل إلى عصرنا الحاضر لنرى أنها كانت في جميع القرون الغابرة مجرد فكرة أو خاطرة تجيش بها نفوس الذين يغارون على النحو القرآني ، فتنتطلق ألسنتهم بالدعوة إليه وإلى اعتماد القرآن الكريم أساسا لكل تقعيد .

صحيح أن التعبير عن هذه الدعوة يختلف من شخص إلى آخر ولكن المضمون واحد متحد لا يكاد يختلف ويتلخص في أن القرآن أولى مما سواه عند تقعيد القواعد .

وأول من نادى بهذه النظرية — فيما أعلم — هو أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) وكان لزاما عليه أن يدافع عن كتاب الله في زمن كثرت فيه النحل والفتن والأهواء واشتدت فيه العصبية المذهبية واشتطت في طعنها على القرآن الكريم إلى درجة إخراجها فيها عن المعقول، حين قال قائلهم إن القرآن الكريم جسم يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيواناً^(١)

وتبعاً لسنة الحياة والأحياء تأثر النحو بهذه الأجواء ، فاختلف النحاة في بعض الآيات اختلافا كبيرا وتملكتهم العصبية المذهبية فتعصبوا للقواعد النحوية ضد القراءات القرآنية فوصفوا اللغة التي جاءت بها هذه القراءات بالرذالة^(٢) والقبح^(٣) وما إلى ذلك من الصفات التي لا تناسب القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خافه تنزيل من حكيم حميد .

في مثل هذه الأجواء التي اشتدت فيها العواصف الهرج ، وقف الفراء يكافح وينافح وينافح ، ويدافع عن كتاب الله ، فقال قوله المشهورة الخالدة : إن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق^(٤) كما قال في موطن آخر : الكتاب أعرب وأقوى في الحججة من الشعر^(٥) .

وكان خالقه بالفراء أن يقف مثل هذا الموقف القوى وهو العالم التقى الورع ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن : هل كان الفراء على درجة عالية من الذكاء تتيح له أن يلمح هذه النظرية في عهدها المبكر جدا قبل أن تولد بمئات السنين؟

(١) قالها بالمحظ كما جاء في كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني ١ / ٨١ ط . مطبعة الأزهر ، وانظر أيضا كتاب (أبو زكريا الفراء) للمؤلف ص ٩٠ — الطبعة الأولى .

(٢) الكتاب ١ / ٢٣٣ ط . بولاق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر كتاب العربية — يوهان فك — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٥ وانظر ص ٢ من سيبويه والقراءات — للمؤلف وانظر ص ١٢٥ من كتاب (أبو زكريا الفراء) للمؤلف .

(٥) معاني القرآن للفراء ١ — ١٤ .

والجواب نجد عند القدامى والمحدثين على السواء أولئك الذين شهدوا له بالذكاء الخارق والعبقرية النادرة . استمع إلى الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة النعمان يقول له : ما ظننت آدميا يلد مثلك^(١) وانظر إلى تقدير الخليفة المأمون للفراء^(٢) واقراً معي ما سطره القدماء من إجلال وإكبار يفوق كل تصور حين بالغوا فجعلوه هو الأساس في اللغة العربية بوجه عام وقالوا فيه :

لولا الفراء ما كانت اللغة^(٣) ولا كانت العربية^(٤) لأنه حصلها^(٥) وخلصها^(٦) وهذبها^(٧) وضبطها^(٨) لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقراءاتهم فتذهب^(٩) ولولاه

لضاعت لغة الضاد ، لغة القرآن الكريم فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

من أجل هذا وذلك نصبوه سيداً عليهم ، فقال فيه سعيد بن سالم لأصحابه من العلماء حينما دخل عليهم الفراء : قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية^(١٠) وأكبر من هذا أنهم لقبوه بأمر المؤمنين حين جعلوه أميراً على النخاعة أجمعين فقالوا : الفراء أمير المؤمنين في النحو^(١١)

على أن هذه الإكبار لم يقتصر على القدماء ، بل امتد إلى عصرنا الحاضر ، وطبق الآفاق في الشرق والغرب على السواء . فهذا هو المستشرق الألماني (يوهان فلك) يقدره حق التقدير ، فينعتقه في كتابه القيم بأنه الفراء

(١) قالوا له بعد أن سأله سؤال تعجيز في الفقه . فأجابه الفراء إجابة سديدة اسندبها من النحو . وذلك حينما سأله عن حكم من سها في تجود السهو . ففكر الفراء قليلاً ثم قال له : لا شيء عليه . قال : لم ؟ قال انزاع : لأن المصغر لا يصغر . فأعجب الإمام الشيباني بذلك وقال له : « ما ظننت آدميا يلد مثلك » انظر تاريخ بغداد . ط السعادة ، تهذيب التهذيب للعسقلاني ١١ / ٢١٢ ط . حيدر آباد .

(٢) راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ — ٣٠٢ ط بولاق ، وتاريخ بغداد ١٤ — ١٥٠ ط السعادة وغيرهما من المصادر التي تعرضت « لحادثة النعمان » تلك الحادثة التي وقعت للفراء مع اثنين من أبناء الخليفة المأمون وكان يؤدبها . فحينما انتهى من الدرس ونهض للخروج هب كل واحد منها وأسرع إلى نعل الفراء ليستأثر بشرف تقديم هذا النعل لشيوخه العظام . . . وحدثت بينهما مشادة وأخيراً اصطمحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً من الخداء ليقسمها هذا الشرف الكبير . وعندما علم الخليفة المأمون بذلك كان له موقف إكبار وتقدير للفراء كما هو مذكور في مواطنه بإسهاب .

(٣) معجم الأدباء ٢٠ / ١١ ط دار المأمون .

(٤) شذرات الذهب لابن العماد ٢ / ١٩ الطبعة الأولى .

(٥) دائرة معارف القرن العشرين ٧ / ١٣٩ ط ثانية .

(٦) شذرات الذهب ٢ / ١٩ ط أولى .

(٧) طبقات الفراء ٢ / ٣٧١ ط أولى .

(٨) انظر مثلاً وفيات الأعيان ٢ / ٣٠١ وتاريخ بغداد ١٤ / ١٤٩ ، ومعجم الأدباء ٢٠ / ١١ ومراة الجنان ٢ / ٣٨ ، والطبقات لابن الجوزي ٢ / ٣٧١ .

(٩) معجم الأدباء ١١ / ٢٢٧ .

(١٠) تهذيب التهذيب ١١ / ٢١٢ ط أولى .

العظيم^(١) وكذلك المستشرق (ب كاله) يقدره
ويكبره ويرى فيه النحوى الضاليع^(٢) وكذلك
فعل الدكتور طه حسين^(٣) وغيرهم كثير وكثير
ويبلغ التقدير ذروته حين يقولون فيه : عبقرية
الفراء عبقرية نادرة لا نظير لها في تاريخ
آداب العربية على الإطلاق ، اللهم إلا أن يكون
الخليل بن أحمد» ولا عجب في ذلك فقد كان
الخط الرئيسي في شخصية الفراء هو الحرية
الفكرية التي تركز على أساس سليم من الدين
القويم^(٤) .

هذا وبالرغم من إعجابي بالفراء فإنه
لا يمتوئني أبداً أن أسجل وجهة نظري في هذا
الثناء عملاً بالمنهجية المطلقة دون تعصب له
أو عليه ، وخلاصتها أن هذا الثناء فيه شيء
من المبالغة والإسراف . ولا يخفى ذلك على
أى ناقد منهجى ، ولكن الذى لا يخفى أيضاً
هو ما فيه من دلالة على مكانة الرجل عند
القلماء والمحدثين على السواء .

من كل ما سبق يتضح لنا الجواب عن ذلك
السؤال الذى يقول : هل كان الفراء على
درجة من الذكاء إلى آخر ما رأينا آنفاً في
صدر هذا الحديث ؟

والآن آن لنا أن نلقى نظرة عجيلى على مسيرة
هذه الفكرة عبر القرون بعد الفراء ؛
فنقتبس لمحة من هنا ولمحة من هناك للدلالة
على أن الفكرة قائمة في أذهان العلماء الأجلاء ،
وأن الإحساس بها ، والشعور بأهميتها يظهران
على ألسنتهم فيما يصوغونه من عبارات . وإليك
بعض ما قيل إيثاراً للإيجاز :

قال ابن خالويه (ت ٥٣٧٠هـ) : إننى تدبرت
قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة
المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ ، المأمونين
على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم
قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه
مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد
من القياس وجهها لا يمنع ، فوافق باللفظ
والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر
للاختيار على واجب الآثار^(٥) .

وفى موطن آخر يقول : « قد أجمع
الناس جميعاً على أن اللغة إذا وردت في
القرآن فهى أفصح مما في غير القرآن .
لا خلاف في ذلك »^(٦) .

(١) انظر كتاب (العربية) ترجمة الدكتور هيد الخليم النجار - ط دار الكتاب العربى .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مقدمة إحياء النحو ص (ل) طبع سنة ١٩٥١ م .

(٤) راجع بوجه عام كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة) للمؤلف .

(٥) كتاب الحجة لابن خالويه ص ٦١ فما بعدها (بتصرف يسير) الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ (دار الشروق) .

(٦) المزهري ١ / ٢٥٧ ط . الخلبى .

ويقول أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) :
وأئمة القراءة لا تعمل من القرآن في شيء
على الأفشي في اللغة ، والأقيس في العربية ،
بل على الإثبات في الأثر والأصح في النقل ،
والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردوها قياس
عربية ، ولا فشو لغة . لأن القراءة سنة
متبعة ، فلزم قبولها والمصير إليها^(١) :

وقال ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) متعجبا
من موقف النحاة من القراءات : لا عجب
أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو
لزهر أو لحرير أو الخطيئة أو الطرماح ،
أو لأعرابي أسدي أو سلمى أو تميمي ،
أو من سائر أبناء العرب لفظا في شعر أو في
نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض
عليه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات
وأصلها كلا لم يلتفت إليه ولا جعله
حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ويخرفه عن
موضعه ، ويتحيل في إحالته عما أوقعه
الله عليه^(٢) .

وقال القشيري (٤٧٥ هـ) معقبا على

على الزجاج الذي عارض بعض القراءات :
« ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين ،
لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء
ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا
يعرفه أهل الصنعة . وإذا ثبت شيء
عن النبي فمن رد ذلك فقد رد على النبي صلى الله
عليه وسلم . واستقبح ما قرأ به ، وهذا مقام
محدور ، لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو »^(٣) .

وفي موطن آخر يقول : « قال قوم :
هذا قبيح — وهذا محال ، لأنه إذا ثبتت
القراءة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم فهو الفصيح لا القبيح »^(٤) .

ويقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ،
إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز
إثباتها بالقرآن العظيم أولى ، وكثيراً
ما نرى النحويين متحيرين في تقرير
الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا
في تقريرها بببيت مجهول فرحوا به . وأنا
شديد التعجب منهم ، فإنهم إذا جعلوا ورود
القرآن دليلاً على صحتها كان أولى^(٥) .

(١) منجد المقرئين ص ٢٤٣ .

(٢) كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ٢٩ ط سنة ١٣٤٧ هـ : ١٩٢٨ م

(٣) إبراز المعاني لأبي شامة ص ٢٧٥ (شرح الشاطبية) .

(٤) جامع أحكام القرآن للقرطبي ٧ / ٩٣ .

(٥) تفسير الفخر الرازي ٣ — ١٩٣ (سورة النساء) .

ممن خالفهم ، فحكم حكم ثبت بنقل الكوفيين
من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم
حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون»^(٥).

ويقول الدمامي (ت ٨٢٧ هـ) :
لا يكون نقل القراء أقل من نقل ناقل
العربية والأشعار والأقوال ، فكيف يطعن
فيما نقله الثقات بأنه لم ينجى مثله ؟ ولو نقل
ناقلون عن مجهول الحال لقبولهم ، فقبول هذا
أولى «^(٦).

وقد طفع الكيل بابن الجزري (ت
٨٣٣ هـ) فقال منكرا على هؤلاء القوم :
« أنى يسعهم إنكار قراءة تواترت واستفاضت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا نويس لا اعتماد عليهم حملوا على ما علموا
من القياسات ، وذنوا أنهم أحاطوا بجميع
لغات العرب أفصحها وفصحها ، حتى
لو قيل لأحدهم شيء من القرآن على غير
النحو الذي أنزله الله يوافق قياسا ظاهرا
عنده - ولم يقرأ أحد بذلك - لقطع له
بالصحة ، ولو أنه سئل عن قراءة لا يعرف
لها قياسا لأنكرها ولقطع بشذوذها^(٧).

وقال الحريري (ت ٦١٥ هـ) معقبا
على المبرد حينما عارض قراءة محكمة^(١) :
« وهذا من جملة سقطاته وعظيم هفواته ،
فإن هذه القراءة من السبعة المتواترة ، وقد
وقع في ورطة وقع في مثلها بعض النحاة
بناء على أن القراءات السبع عندهم غير
متواترة ، وأنه يجوز أن يقرأ بالرأى وهو
مذهب باطل ، وخيال فارغ^(٢).

ويقول ابن المنير (ت ٦٣٣ هـ) : وليس
غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية ،
بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة^(٣).

ويقول الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) :
ولم ينكر أحد من العلماء قراءة البصرة .
ولكن من لم يكن عالما بها ، أو لم تثبت
عنده . . . فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه
فإن القراءة سنة ، يأخذها الآخر عن الأول
ولكن ليس له أن ينكر على من علم ما لم
يعلمه من ذلك^(٤).

وقال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) :
«ولسنا متعبدون بقول نحاة البصرة ولا غيرهم

(١) انظر الكامل للمبرد ٢ - ٧٤٩ ، وشرح المفصل ٣ - ٧٨ ، ودرة الغواص ص ٩٥ ، وانظر كتاب
(الدفاع عن القرآن) للمؤلف ص ٦ .

(٢) درة الغواص ص ٩٥ ط أولى (بتصرف يسير) .

(٣) الانتصاف على الكشاف ١ / ٧١ فما بعدها - الطبعة الثانية ببولاق .

(٤) منجد المقرئين ص ١٢٩ فما بعدها .

(٥) التبحر المحيط ٣ / ١٥٦ فما بعدها .

(٦) المواهب الفتحة ١ / ٥٤ عن اللغة والنحو ص ٩٧ .

(٧) منجد المقرئين ص ٢٤١ .

وفي موطن آخر يقول : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ، ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة ، لا يجوز ردها ولا يصح إنكارها » (١) .

ويقول السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتاب الاقتراح : « فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية ، سواء أكان متواتراً ، أم آحاداً ، أم شاذاً » (٢) .

ثم نجيء إلى العصر الحاضر ونكتفي منه بنص واحد ؛ إيثارا للإيجاز فقط » وإلا فلدينا منه الكثير . وإليك ما جاء في تفسير المنار للشيخ رشيد رضا - حين قال : « نحن لا يروعن ما يراه المفسرون من الصعوبة في إعراب بعض الآيات ، أو في حكمها لأن لهم مذاهب في النحو والفقه يزنون بها القرآن ، فلا يفهمونه إلا منها ، والقرآن فوق النحو والفقه والمذاهب كلها ، فهو أصل الأصول ، ما وافقه فهو مقبول ، وما خالفه فهو مردود ومرذول ، وإنما يهمنا ما يقوله علماء الصحابة والتابعين فيه ، فهو العون الأكبر لنا على فهمه » (٣) .

تلك بعض اللمحات الحاطفة ، والمقتطفات الموجزة ، اخترتها لك من بين الكثير والكثير من النصوص التي يزخر بها تراثنا الغني العريق ، على مدى التاريخ عبر القرون العديدة في سالف الأزمان . ومع كل هذه الكثرة الكاثرة من النصوص التي تجمعت بين يدي فاست أزعج جمعت أني كل شيء . بل لا يصح إطلاقاً أن يدور بخلد أي باحث مثل هذا الزعم الواهم الزائف . فكم من المراجع لم نطلع عليها حتى الآن ؛ مراجع مطبوعة بله المخطوطات . وما أكثر المخطوطات التي لم تر النور بعد وما تزال تنتظر النشر ! وقد جاء في آخر إحصائية متخصصة في ذلك أنها أكثر من ثلاثة ملايين مخطوطة متفرقة بين المكتبات العامة والخاصة في أنحاء العالم ، ومهما جمع الباحث نصوصاً من المراجع فإن يتجاوز المئات فضلاً عن الملايين .

لهذا يجمل بنا الآن أن نكتفي من النصوص بهذا القدر الذي يحقق الهدف المقصود وهو وجود الفكرة والإحساس بها في مشاعر العلماء عبر القرون منذ الزمن الغابر إلى العصر الحاضر ، لأن إيراد جميع النصوص التي قيلت في هذه الأحقاب الطويلة أمر متعذر كما أنه يشبه المستحيل .

(١) النشر ١ - ٩ .

(٢) الاقتراح ص ٤٨ .

(٣) تفسير المنار عند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهداء بينكم) من سورة المائدة آية ١٠٦ .

تلك هي النشأة ، وذلك هو التطور .
وبقى علينا الآن أن نتحدث عن التكوين .
لهذا كان لزاما علينا أن نذكر تكوين هذه
النظرية كما جاءت في الكتاب (١) المخصص
لذلك ، وإليك نص ما جاء هنالك :

« أما تكوين النظرية (نظرية النحو
القرآني) فقد جاء متمثلا في عناصرها
الأربعة ، وهي :

١ - الإطار العام .

٢ - والمحور .

٣ - والعمود الفقري .

٤ - والمقومات الأساسية .

أما الإطار العام لهذه النظرية فهو القرآن
الكريم ، وهو أوثق مصدر في الوجود فينبغي
أن يكون المصدر الأول للتعديد .

وأما المحور الذي تركز عليه هذه النظرية
فهو الاصطدام بين القواعد النحوية
والقراءات القرآنية .

وأما العمود الفقري فهو المواطن نفسها .
تلك المواطن التي تصطدم فيها القواعد
النحوية بالنصوص القرآنية ، فكل موضع

اصطدامت فيه قاعدة نحوية بآية قرآنية ، يعد
فقرة من فقرات هذا العمود ، أو بعبارة أخرى
يعد حلقة في سلسلة هذا العمود الفقري وما
أكثر الحلقات والفقرات في هذا العمود كما
سيأتي بالتفصيل . وأما المقومات الأساسية
فلها جانبان : جانب الاتفاق ، وجانب
الاختلاف .

أما جانب الاتفاق بين القواعد النحوية
والنصوص القرآنية فهو الغالب الكثير ،
وهو القسم الأكبر في هذه النظرية ، غير أن
أمره يسير لأنه موضع اتفاق بين الجميع .

وأما جانب الاختلاف بين القواعد
النحوية والنصوص القرآنية فهو موضع
الثقل والتركيز في هذه النظرية وله مظاهر
متعددة تنحصر في الظواهر الآتية :

١ - ظاهرة المعارضة الصريحة (٢) .

٢ - وظاهرة المعارضة الخفية (٣) .

٣ - وظاهرة التأويل (٤) .

ولعلك تلاحظ أن الفرق الجوهرية بين
النحو القرآني والنحو المألوف ينحصر في
العمود الفقري لهذه النظرية ، وهي مواطن
الاصطدام بين القواعد النحوية والنصوص
القرآنية كما سيأتي بالتفصيل .

(١) هذا البحث الذي بين يديك مقتبس من كتاب المؤلف بعنوان : (نظرية النحو القرآني : نشأتها ، وتطورها ،
ومقوماتها الأساسية) أرجو أن يرى النور قريبا بإذن الله .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب سيبويه والقراءات للمؤلف من ١١ فما بعدها - توزيع دار المعارف بمصر .

(٣) المصدر السابق ص ٣٩ فما بعدها .

(٤) المصدر السابق من ١٧٠ فما بعدها .

ذلك هو التصور العام « لنظرية النحو القرآني » متمثلة في عناصرها الأربعة كما رأيناها آنفا . وقد عشت معها ردحا من الزمن « زهاء ثلاثين عاما منذ أن فجر الفراء شعلتها الأولى في كياني وحسى آنذاك^(١) . وأشهد أنها فيما سبق لم تكن واضحة أمامي كل الوضوح ، ولكنها كانت مجرد فكرة تراودني ، كما أنها مجرد دعوة أرددها وأنادي بها ، وأضم صوتي إلى أصوات الداعين إليها قديما وحديثا — جزاهم الله جميعاً خير الجزاء .

هذا ولا يفوتني أن أسجل اعترافي بالجميل لكل من سبقني إلى الدعوة بهذه النظرية ، أو الإشادة بها ، أو الإشارة إليها ، أقدم لهم جميعاً جزيل الشكر والعرفان والامتنان حيث كانت آراؤهم بالنسبة إلى بمثابة صدى ومعالم على الطريق ، أهتدى بها في مسيرة هذا التاريخ السحيق .

ولكن إنصافاً للحقيقة ، وتسجيلاً للحقائق في سجل التاريخ أقول : إن موقفهم من هذه النظرية — كما رأيت في النصوص السابقة — لا يكاد يتجاوز الإحساس بها والتعاطف معها ، والشعور بأهميتها شعوراً مبهما غامضاً ، لا يرقى إلى مستوى التصور المنهجي لتكوين نظرية . وغاية ما يرقى إليه هو ذكر نماذج متفرقة من الملاحظات ، لا أكثر ولا أقل .

ذلك مبلغ شعورهم بهذه النظرية ، مهما اختلفت مشاعرهم في الدرجة ، أو تباينت أساليبهم في التعبير عنها — أما إدراك حقيقتها ، وكيفية تكوينها ، واستنباط عناصرها ، وإبراز مقوماتها واستخراج خصائصها ، فكل ذلك ليس له وجود عندهم على الإطلاق .

وكان من فضل الله على كاتب هذه السطور أن هداه الله إلى السير في طريق الخير وأقول : مجرد السير فقط ، ولا أريد أن أزيد على ذلك حرفاً واحداً تواضعاً لله ثم للعالم .

وهناك النماذج التطبيقية^(٢) التي ترتب عليها تعديل كثير من القواعد النحوية طبقاً للنصوص القرآنية المحكمة ، فصار النحو تابعاً للقرآن الكريم ، وخاضعاً لقراءاته الصحيحة المتواترة بعد أن كان معارضاً لكثير من القراءات المحكمة (كما هي الحال في النحو المألوف) ولا شك أن تطبيق هذه النظرية تطبيقاً دقيقاً كاملاً يعطينا ثمرة عملية ، ويفيدنا فائدة محققة وهي تصحيح الوضع الخاطيء في العلاقة بين النحو والقراءات المحكمة ، فبدلاً من أن نعرض القراءات على النحو ليحكم لها أو عليها ، ينبغي أن يكون العكس . فالعكس هو الصحيح ، وذلك بأن نعرض النحو على القراءات المحكمة ، فالنص القرآني

(١) حيث كان الفراء موضوع رسالتي في الدكتوراه ، وهي بعنوان : « أبو زكريا الفراء وماهية في النحو واللغة » .

(٢) ذكرناها بإسهاب في الكتاب نفسه ، وأرجو أن يكون بين يديك قريباً بإذن الله .

هو الأصل والنحو تبع له ، ويجب أن يستنبط منه وينضج له ، لأن يكون حاكما متحكما فيه ، وبهذا الصنيع يستقيم الأمر ويعتدل « الهرم المقلوب » .

ورب قائل يقول : إن كتب النحو تغص بالشواهد القرآنية المحكمة ، فما الحديد الذى جاءت به هذه النظرية ؟

والجواب أننا لا ننكر وجود هذه الشواهد فهى داخلة فى « نظرية النحو القرآنى » فى جانب الاتفاق بين النحو والقراءات — كما رأينا آنفا فى تكوين النظرية . وإنما الحديد كله يتجلى فى جانب الخلاف بين النحو والقراءات . ويظهر ذلك جليا حينما تصطدم القاعدة النحوية بقراءة محكمة هنا يأتى الحديد . وهو اعتماد النص القرآنى المحكم ، وتعديل القاعدة النحوية طبقاً للنص القرآنى الذى لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

وقد عد لنا كثيرا من القواعد النحوية وأخضعناها للنصوص القرآنية الموثوق بها كل الثقة . ولولا خشية الإطالة الآن لذكرت لك كثيرا من القواعد المعدلة نتيجة لتطبيق هذه النظرية .

على أن هناك نقطة دقيقة ينبغى أن يتنبه لها القارئ الكريم ، وهى الفرق بين الاستشهاد والاستنباط ، وخلاصته أن

القواعد النحوية ينبغى أن تستنبط أولا من النصوص القرآنية ، ثم يأتى بعد ذلك الشعر وغيره من مصادر السماع ، ولو فعلنا ذلك ما كان هناك تعارض على الإطلاق بين النحو والقراءات . ولكن الواقع جاء على خلاف ذلك ، حيث كان الشعر هو المصدر الأول فى استنباط القواعد النحوية . ولهذا رأينا تعارضا كبيرا بين كثير من القواعد النحوية والقراءات القرآنية المحكمة ، ولو طبقنا هذه النظرية لاختفى هذا التعارض تماما وانتفى من الوجود ، لأن النص القرآنى سيكون هو المصدر الأول فى كل تعديد وتقنين .

ومما سبق يتضح لنا الفرق بين الاستشهاد والاستنباط . فالاستشهاد — أو بعبارة أدق — بعض الاستشهاد بالآيات يأتى بعد وضع القاعدة واستنباطها من مصدرها الأول كائنا ما كان : شعرا أو نثرا أو من القرآن الكريم فى بعض القواعد ، وربما كان جانب الاتفاق فى هذه النظرية خير دليل على ذلك .

ولا يغيب عن ذهن القارئ أننا لا ننفي استنباط بعض القواعد من القرآن الكريم . وإنما الذى نتمناه ، وندعو إليه هو استنباط جميع القواعد من القرآن الكريم وقراءاته المحكمة كلما أمكن ذلك ، بمعنى أننا نجعل القرآن الكريم هو المصدر الأول فى التعديد قبل الشعر الذى استبد

النظرية ، وتشرح أبعادها في الجانبين معا :
جانب الاتفاق ، وجانب الاختلاف بين
النحو القرآني والنحو المألوف ؛ غير أن
الظروف لا تسمح بذلك الآن .

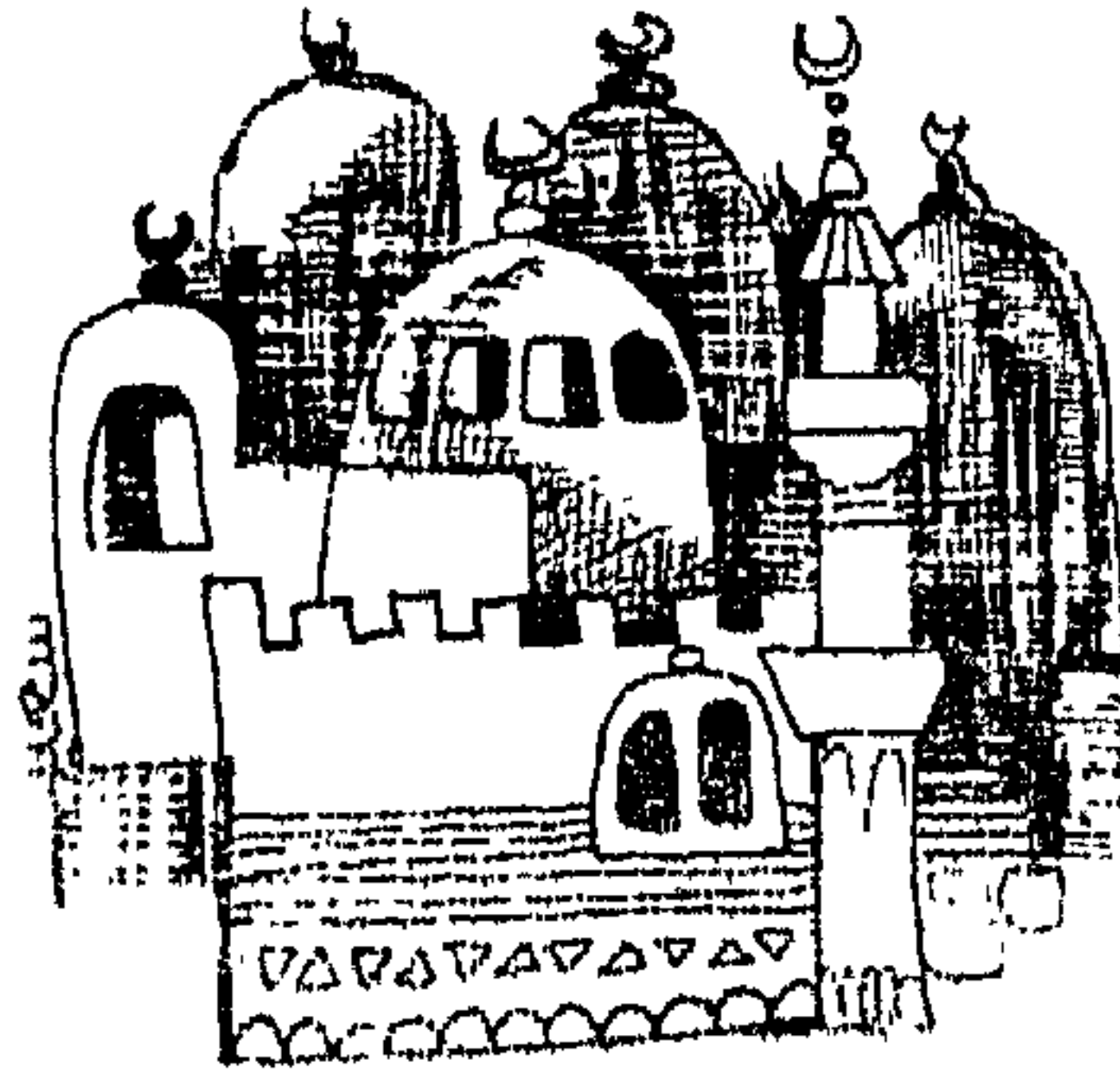
بهم في سالف الزمن فنشأ عن ذلك هذا
التعارض الذي نراه بين النحو والقراءات
في مواطن كثيرة تناولناها بالتفصيل في
بعض البحوث السابقة كما تناولناها بإسهاب
في نظرية النحو القرآني .

فإلى لقاء آخر في مبحث قادم بإذن الله
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب ؛

وكنت أود أن أورد لك في هذا البحث
بعض النماذج التطبيقية التي توضح هذه

(للبحث صلة)

أحمد مكي الأنصاري
أستاذ الدراسات النحوية
بقسم الدراسات العليا
بجامعة أم القرى
مكة المكرمة



بين الحركات والحروف في الإعراب

دراسة تاريخية مقارنة

للكنوز أحمد علم الدين الجندى

المحة تاريخية :

من بسيطة ومزدوجة Diphthong ومطولة ومخطوفة أو مختلطة ، على أن الحركات ، وهو الأهم في موضوعنا ، يمكن أن ترتبط بنظرية نحوي العربية الذين يرون أن الحركات الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية الكلمة في حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت سابقاً أو لاحقاً ، مع بعض العوامل الأخرى على أن هذه الحركات والسكنات عندما تتقاضف على الصيغة تؤلف نمطا منسجما يتواكب مع المعاني الوظيفية ، وفيضا غامرا من اختلاف الأوجه وديناميكية الانتقال من صيغة إلى أخرى فما يعد نمطا فريدا لسياسة الحركات الذي يتوج التمدن اللغوي الحضاري للأمة العربية (٢).

توهم القدماء من علمائنا ضالة قيمة الحركات ، وأنها أمر ثانوي بالقياس على الحروف ، وفي هذا القول بعض المغالاة ، فالحركات خطورتها في تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرني ، كما أنها تمثل عنصرا هاما في كل من : النبر في الجانب الصرني ، والتنغيم في الجانب النحوي . زد على ذلك أنها تكون قسم مقاطع في العربية ، ومكانتها أخيرا في العروض العربي لا تنكر حيث حلت مكانا مرموقاً في موازيق الشعر (١) .

وتاريخ الحركات جزء هام من تاريخ الكتابة العربية في عصورها الإسلامية غايتها تصوير كل صوت برمز كتابي يدل عليه ، وفي العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة

(*) أنضت في الحديث عن الحركات الإعرابية في بحث نشرته في : مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . العدد الثاني ١٤٠٤ - ١٩٨٤ بعنوان « علامات الإعراب بين النظر والتطبيق » من ص ٢٧٥ - ٣٢٣ .
(١) انظر كتابنا : « نحو القلوب الصغير » ص : ١٩٠ ط الدار العربية للكتاب بتونس ، وفي هذا الكتاب أثبت أن للحركات قيمة هامة أخرى في الجانب الصوفي وخلعت عليها تسمية مبتكرة باسم (صوفية الحركات) ، أو (أخلاقية الحركات) .

(٢) انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٩ .

والفارسي على رأس الذين يرون أن الحركة تحدث مع الحرف^(٢) على أن ابن جني يستنكر أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف^(٣).

ونحائنا في هذا الخضم العريض تتناحر آراؤهم وتتشاجر فعندما يقررون أن الحركات أضعف من الحروف نرى أن الصواب قد جانبهم في ذلك ، إذ الدراسات الحديثة قد أثبتت أن جميع الحركات القصيرة والطويلة مجهورة ، وأنها أقوى في الوضوح السمعي من الأصوات الساكنة^(٤).

٢ - ثم نراهم ينقضون مبدأهم فيقررون أن الحركة أصل للإعراب وأن حرف المد فرع عنها وذلك في قول ابن جني . « فالألف والياء والواو في جميع هذه الأسماء الستة دواخل على الفتح والكسر والضم ، ألا تراها تفيد من الإعراب ما تفيد الحركات : الضمة والفتحة والكسرة . وإنما الموضع في الإعراب للحركات فأما الحروف فدواخل عليها^(٥) .

وإذا كان نحائنا يرون أن الحركات أضعف من الحروف لأن الحركة في حقيقتها ناقصة

على أننا لا ننكر صعوبة تأريخ الحركات في سائر اللغات العربية الجاهلية لأن أبجديتنا أبجدية حروف صامتة تهمل الحركات وأمثالها من ضغط ونبر وتنغيم ، كما أن مخالفة الكتابة للنطق كثيرا ما يكون مصدرها تطور الصوت في الكلمة ، ونشاهد ذلك في رسم المصحف الشريف والساميات أخوات العربية حيث نشاهد في العبرية (صان) ونطقها (صون) وكذلك (راش) بمعنى رأس ، ونطقها (روش) .

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن بعض قدماء النحاة لم يوفقوا حين ظنوا أن الحركات ليس لها من الأهمية ما للحروف فقد زعموا أن حركات العلة أعراض ، والحروف الساكنة جواهر وأصول ، ثم دخلوا في متاهات ومشكلات منها :

١ - محل الحركة من الحرف . أما سيبويه فيذهب إلى أن الحركة تحدث بعد الحرف ، وقال غيره : معه ، وذهب غيره إلى أنها تحدث قبله ويذكر ابن جني ابتداء تلك القضية فيقول : واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه أو بعده^(١) .

(١) سر الصناعة : ٣٢ .

(٢) السابق : ٣٧ .

(٣) انظر أداته في سر الصناعة ص : ٣٢ .

(٤) نحو القلوب الصغير : ١٨٤ .

(٥) الخصاص : ٣ / ١٣٥ تحقيق الأستاذ محمد النجار . دار الكتب المصرية .

لأنها لا تقوم بنفسها وهي محتاجة لكي توجد إلى حامل هو الحرف . ثم إن الحركات جزء من شيء آخر سابق عليها وهو الحرف التام الكامل ، وابن جنى يقرر ذلك حين يقول : اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والواو والياء ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة» (١).

فنص ابن جنى يؤكد أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وإذا كان كذلك فكيف تنقلب الفكرة عندهم رأساً على عقب حين يقررون أن أصل الإعراب أن يكون بالحركات ، كما قالوا أيضاً بأن الحروف أقوى من الحركات وأصل لها ، وفي الإعراب نقضوا عهدهم أيضاً حين قالوا بأن حروف المد فرع أو دواخل على الحركات وهي الضم والفتح والكسر . على أنه لا فرق بين الحركات وحروف المد إلا في الكمية من وجهة نظر الدرس اللغوي الحديث . وعلماء العربية الأقدمون

يذهبون إلى مثل ذلك أيضاً ، حيث يقرر ابن جنى ذلك فيقول : ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه» (٢) فكأن الحركات حين تشبع تنشأ الحروف ، وكان على النحاة من خلال هذا الفهم أن يعتصموا بأن الإعراب لا يكون إلا بالحركات وحدها لا غير حتى لا يثيروا بلبلة واضطراباً وتناقضاً في مسائل النحو كما سنرى ، لأنه ليس بين الإعراب بالحركات والحروف من فرق إلا في الكم أما في السكيف فهي هي : الحركات أصوات مد قصيرة ، والأحرف أصوات مد طويلة ، والواو التي زعموا أنها علامة رفع فرعية ليست إلا ضمة مشبعة ، والياء ليست إلا كسرة مشبعة ، والألف لذلك ليست إلا فتحة مشبعة ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو ولكن النحاة شقوا على أنفسهم وعلى غيرهم حين ذكروا علامات أخرى للإعراب سموها العلامات الفرعية ، وجعلوها نائبة عن العلامات الأصلية ، وسبقا بذلك حشد من آرائهم المتصارعة في الإعراب بالعلامات الفرعية . وعلى سبيل المثال فالأسماء الستة تراهم يختلفون في إعرابها إلى مذاهب قددا :

(١) سر الصناعة : ١٩ ، وانظر : الأشباه والنظائر ١ / ١٧٢ للسيوطي . القاهرة

(٢) سر الصناعة : ٢٠ .

١ - أن الواو والألف والياء فيها حروف إعراب والإعراب مقدر فيها كما يقدر في الأسماء المقصورة . وهذا قول سيبويه .

٢ - أنها معربة من مكانين بالحروف والحركات التي قبليها . وهو رأي الكوفيين .
٣ - أن هذه الحروف حروف الإعراب وعلامته فالواو بمنزلة الدال والضممة في نحو : قاتل الحند ، والياء بمنزلة الدال والكسرة في نحو أتيت على الحند . والذي جعلهم يقولون بذلك : أن حروف العاة لو سقطت اختلفت معاني هذه الأسماء فهي كحروف الإعراب توجد بوجوده . وتزول بزواله فهي كعلامته .

٤ - وذهب بعض النحويين إلى أن هذه الأسماء إذا كانت في موضع رفع كان فيها نقل بلا قلب ، وإذا كانت في موضع نصب كان فيها قلب بلا نقل ، وإذا كانت في موضع جر كان نقل وقلب (١) .
٥ - وذهب بعضهم إلى أن الياء والواو والألف نشأت عن إشباع الحركات (٢) وهذا الرأي قريب من رأي المحققين اللغويين حيث يرون أن اختلاف وقوع النبر هو السبب في مطلق هذه الحركات أو تقصيرها

فلو قلت ؛ (أنحوك) كان النبر على المقطع الثاني (نحو) أما (أحك) بدون مطلق فالنبر على المقطع الأولي (أ) .

ومثل هذا الخلاف يطالعنا في باب التثنية والجمع كذلك بين البصريين والكوفيين وبين أفراد كل فريق منهم ، فيذهب سيبويه إلى أن الألف والواو والياء هي حروف الإعراب . وذهب أبو الحسن الأنخفش ، وأبو العباس المبرد ومن تابعهما إلى أنها تدل على الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب ، وذهب أبو عمرو الجرمي إلى أن انقلابها هو الإعراب وذهب قطرب والفراء والزبدي إلى أنها هي الإعراب (٣) وحكى عن الزجاج أن التثنية والجمع مبدئيان .

والذي ورط النحاة في قولهم : الإعراب بالحروف فرع عن الإعراب بالحركات . التي هي أصول - ما يذهبون إليه دائماً من القول بالأصل والفرع في كل مشكلة تقابلهم ، ولهذا يعرج النحو العربي ، وتطالعك نظرية الأصول والفروع - التي ترتبط بمنهج أصول الفقه في كل باب من أبوابه ومن ذلك :

(١) الإنصاف ١ / ٢٢ .

(٢) أسرار العربية لابن الأنباري ١ / ٤٤ فما بعدها ط دمشق ، واللمع لابن جني : ١٠١ فما بعدها وانظر التحقيق للدكتور حسين شرف ط ١٩٧٨ والرضي على الكافية ١ / ٢٧ ، وشرح المقدمة النحوية لابن باب شاذ ٥٨ فما بعدها .

(٣) سيبويه ١ / ٤ ط بولاق ، وأسرار العربية : ٥١ ، واللمع لابن جني : ١٠٣ وانظر المحقق ، وشرح المقدمة النحوية لابن باب شاذ : ٦٤ تحقيق د . أبو الفتوح شريف ط ١٩٧٨ . والإنصاف ١ / ٣٣ .

١ - باب من غلبة الفروع الأصول (١).

٢ - حمل الأصول على الفروع .

٣ - باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول (٢) .

٤ - مراجعة أصل واستثناؤه فرع .

٥ - نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها منها (٣) .

٦ - مراجعة الأصل الأقرب دون الأبعد .

٧ - مراعاة الأصول تارة وإهمالها إياها أخرى . وقد تكثر الفروع وتطرد حتى حتى تصير كالأصول فتشبه الأصول بها .

٨ - حط الفروع عن الأصول .

٩ - هجر الأصل حتى يعد النطق شذوذا

١٠ - قد يكون للشيء أصلا (٤) والأصول لا تحتاج إلى علامات ، وإنما تحتاجها الفروع ، كما نرى هذه الأصول في جزئيات الفصول والأبواب النحوية مثل قولهم :

١ - لماذا كان (٥) الأصل في الخبر الإفراد؟ ومتى يأتي الخبر على خلاف الأصل؟

(١) الخصائص ١ / ٣٠٠ .

(٢) الخصائص ٣ / ٣٢٨ .

(٣) الخصائص : ٣ / ٢٢٧ .

(٤) الأشيون : ٤ / ٢١٢ .

(٥) ألاحظ اهتمام النحو التقليدي بالعلمة : لماذا كان ؟ فلم يكن يلاحظ ويستقرى ويفسر تفسيراً يقوم على الحقائق اللغوية ، بل كان نحواً معيارياً سورياً لا يركز على الاستعمال اللغوي كما هو .

والثانى : أن الحركة أخف من الحرف وأقل منه ، وهى كافية فى الدلالة على الإعراب ، وإذا حصل الغرض بالأخف الأقل ، فلا يتكلف غيره ، ولذلك كثرت الحركات فى بابها ، وقل غيرها مما أعرب به ، وقدر غيرها بها ، ولم تقدر هى به (١) .

والثالث : أن الحرف من جملة الصيغة الدالة على معنى الكلمة اللازم لها ، فلو جعل الحرف دليلا على الإعراب ، لأدى الأمر إلى أن يدل الشئ الواحد على معنيين وفى ذلك اشتراك ، والأصل أن يخص كل معنى بدليل . وإنما أعرب المثنى وجمع المذكر والأسماء الستة بالحروف لأمر اقتضاه ، فأعربوا المثنى وجمع المذكر بالحروف للفرق بينهما وبين المفرد ، ولم يعكس الأمر ليكون الأصل للأصل والفرع للفرع ، فإن الحركات أصل للحروف ، والمفرد أصل للمثنى والجمع (٢) وثانيتها : قولهم : هل حركات الإعراب أصل لحركات البناء ، أو حركات البناء أصل لحركات الإعراب ، وقد اختلف النحاة فى ذلك :

فذهب بعضهم إلى أن حركات الإعراب هى الأصل ، وأن حركات البناء ، فرع لأن الأصل فى حركات الإعراب أن تكون للأسماء وهى الأصل ، فكانت أصلا ، والأصل فى حركات البناء أن تكون للأفعال والحروف ، وهى الفرع ، فكانت فرعا .

وذهب آخرون إلى أن حركات البناء هى الأصل ، وحركات الإعراب فرع ، لأن حركات البناء لا تزول ولا تتغير ، وحركات الإعراب تزول وتتغير وما لا يتغير أولى أن يكون أصلا مما يتغير (٣) .

ولا تعجب بعد ذلك أن تجد خلطا بين كثير من النحويين فى علامات كل من حركات الإعراب والبناء حيث أطلق بعضهم ألقاب الإعراب على ألقاب البناء والعكس (٤) .

والأعجب مما سبق أن البصريين والكوفيين عندما وضعوا أصولهم وفروعهم فى النحو لم يلتزموا تلك الأصول والفروع عند التطبيق فقد ناقض كل فريق (أصلا) (٥) وكان ذلك سببا من أسباب التضارب والتناقض والتخالف والتشابك فى مسائل العربية .

(١) انظر شرح المفصل ١ / ٥١ .

(٢) انظر حواشى النحو المطولة ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٢ للسيوطى . ط القاهرة . القواعد الكلية د .

غريب نافع ، نشر : مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٥ .

(٣) أسرار العربية لابن الأنبارى : ٢٠ ط دمشق ، وانظر الأشباه والنظائر ١ / ١٥٩ القاهرة .

(٤) معانى الفراء ٢ / ٣٥ ، ٤٠ والمقتضب ٤ / ٨٣ ، ٨٤ .

(٥) الإنصاف مسألة : ٥ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٥ .

ونظرية الأصل والفرع وافدة على النحاة من أصول الفقهاء ، فقد تحدث الأحناف والشافعية عن الأصول والفروع ، واهتم بها أبو حنيفة ومدرسته ، ومعلوم أن تأثير الفقه وأصوله في النحو كان قويا منذ العصور الأولى فقد كان النحاة ينظرون إلى الفقه وأصوله على أنه علم نابع من الفقه الإسلامي الخالص ، ولهذا رأينا كثيرا من النحاة يتأثرون بالفقهاء ويشاركونهم من أمثال : أبو عمر الجرمي ، والفراء ، والسيрани ، حتى إن الجرمي والسيрани كانا يقرعان للفتيا ، والخليل ابن أحمد النحوي يصرح في أمكنة كثيرة باقتباسه نصوصا فقهية لأبي حنيفة يؤكد بها مسائل في النحو والعربية^(١) ومحمد بن الحسن ألف كتابا في الإيمان ضمنه مسائل فقهية مبنية على أصول النحو والعربية ، وابن جني في الخصائص يتأثر في مسائله النحوية بالفقهاء وعلماء الأصول^(٢) وكذلك كتب ابن الأنباري كالإنصاف ولمع الأدلة ، وتآليف السيوطي كالمجمع والاقتراح والأشباه والنظائر ، فهي مبنية على أشباهها من كتب

الفقهاء ونرى أن يكون منهج النحو نابعاً من اللغة ويعود على اللغة ، دون السماح لأي فكر آخر غير لغوي أن يتدخل .

والدراسات النحوية الحديثة لم تعترف بفكرة الأصل والفرع كما فسرها النحاة إذ إنها ترى أن فهم اللغة يخضع للشكل والوظيفة ففي العربية كثير من الوظائف كوظيفة الفاعل والمفعول والمبتدأ وكل وظيفة تتخذ لها طريقة شكلية تعبر عنها ، فشكل الفعل مع الفاعل يختلف شكله مع نائب الفاعل ، وهذا الشكل لا يقتصر على الحركات الإعرابية ، بل يتسع ليشمل الترتيب بين الكلمات مثل : التقديم والتأخير ، وغيره من القرائن التي تظهر من سياق الكلمات السابقة واللاحقة .

وفكرة الاعتماد على القرائن في فهم التعليق النحوي ينفي عن النحو : كل تفسير ظني أو منطقي ، كما ينفي أصالة بعض الكلمات في العمل وفرعية الأخرى^(٣) كما أن مسائل

(١) كتاب العين : ٢٨٥ تحقيق الدكتور عبد الله درويش .

(٢) الخصائص : ١ - ١٦٣ فما بعدها ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ص ٢٣٣ .

الأصل والفرع بالصورة التي تخللت جزئيات
ومسائل النحو العربي مرفوضة لأن اللغة لها
خصائصها وسماتها التي تختلف عن خصائص
وسمات القياس المنطقي الجدل الذي تأثر به
النحاة ، وقضية (الأصالة والفرعية)
لا ترتبط بمقاييس ثابتة عند علماء النحو العربي
ومن هنا اضطربت الآراء والمشارب ؛ فما
يعتبره نفر منهم أصلا يعتبره الآخرون فرعاً
لهذا الأصل . ونظرية الأصل والفرع ترتبط
أولاً وأخيراً بالقياس الذي فرض سلطانه على
النحو وترجح أن تعتمد القضايا النحوية على
الاستقراء . ولهذا أرى إلغاء فكرة نيابة
الحروف عن الحركات لبنائها على الأصالة
والفرعية ، ويكون إعراب الأسماء الستة
بالحركات الثلاثة مع مدها ، أما جمع المذكر
فالنضمة فيه علم الرفع وعلم الإسناد والواو
إشباع ، والكسرة علم الجر ، والإضافة والياء

إشباع وأغفل الفتح لأنه ليس بإعراب ، فلم
يقصد إلى أن يجعل له علامة خاصة ، لأنه
إذا أريد إلى أن يجعل نصبا وأتى له بالفتحة
اشتبه بالمشي ، ولهذا أغفل الفتح فيه ، وجعلت
الصيغة المستعملة في الإضافة هي صيغة
المنصوب^(١) أما المشي فالألف فيه ليست
علامة للرفع ؛ لأن النضمة وحدها هي
علم الرفع ، أما الألف فهي للتثنية لا غير
وإذا أريد رفعه بالنضمة فيجب أن تزول
الألف ، وبزوالها يزول المعنى فتركت الكلمة
وهي مسند إليها ، بلا علامة تدل على الإسناد
فإذا أريد أن يكون مضافاً إليه استعين بالياء
وهي جزء من الكسرة ، ومطولة لها وأبقيت
الفتحة الدالة على ألف الاثنين قبلها ، وتحقيق
في الصيغة إذن : دلالتها على التثنية ، ودلالتها
على الإضافة .

(١) إحياء النحو : ١١١ ط ١٩٥١ .

(٢) انظر : في النحو العربي ٩٠ د . مهدي الخزومي . ط . أولى . بيروت .

تذييل وتكميل ومقارنات

في الأسماء الستة :

ثم سلبوا الحرف الذى قبل الواو بحركة
فسكن ثم ضمموه إتباعا لحركة الواو ، ثم
حذفوا حركة الإعراب ، وهى الضمة
استثقالا لها على الواو ، فصار اللفظ
(أبوك) (*) .

غير أن القول (بشنائية) هذه الأسماء —
بدليل أنها عندما تضاف إلى ضمير المتكلم
تحتفظ بشنائيتها (أبى — أخى — حمى) —
يخلصنا من هذه الفروض والأوهام ، وهو
ما يذهب إليه كثير من الباحثين فى الشرق
والغرب على السواء^(٧) .

مما سبب الخلط والتعارض فى أقوال
علماء العربية ، إعراب الأسماء الستة ،
وظهور مذاهب كثيرة كذهب الكوفيين^(١)
وجمهور البصريين ، وعلى بن عيسى
الرابعي^(٢) ، والمازنى ، والأخفش ومعه
المبرد^(٣) ، والجرمى^(٤) ، والرضي^(٥) ،
وأبى على الفارسي^(٦) وغيرهم ، وأكثر
هؤلاء يرى تثليث تلك الأسماء ، ويكون
الحرف الثالث منها هو حرف الإعراب
كالدال من زيد ، وبناء على هذا يقدر
ون يتأولون ، فالأصل فى (جاء أبوك)
جاء أبوك . فالضمة على الواو علامة الرفع ،

- (١) الإنصاف ١ — ١٧ (٢) السابق (٣) المقتضب ٢ — ١٥٢
(٤) شرح الكافية ١ — ٢٧ فما بعدها . بيروت . (٥) السابق . (٦) السابق ١ — ٢٨
(٧) من أمثال : الأب مرمجى الدومنى فى كتابه : المعجمية العربية على ضوء الشنائية والألسنية السامية .
ط القدس ١٩٣٧ م . ومعجمات عربية سامية ٧٩ فما بعدها ط لبنان ١٩٥٠ .
وجرجى زيدان فى كتابه : الفلسفة اللغوية ٣٨ فما بعدها . القاهرة ١٨٨١ .
وعبد الله العلايلي فى كتابه : مقدمة لدرس لغة العرب ١٣٣ ط المصرية بمصر .
وأحمد فارس الشدياق فى كتابه : سر الليال فى القلب والإبدال .
والأب مارى أنستاس الكرملى فى كتابه : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها . ط ١٩٣٨ .
وانظر مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ع ٤ لسنة ١٣٩٢ د ترى فيها أسماء كثير من المستشرقين الذين آمنوا
بالشنائية ، واستشهدوا لها بالساميات أخوات العربية . ونذكر منهم : فورست وجزينس ورينان .
وانظر : ثنائية الألفاظ فى المعاجم العربية . د — أمين فاخر .
وأصول اللغة العربية بين الشنائية والثلاثية ٧٤ — ٨٩ د — توفيق شاهين . مكتبة وهبة . القاهرة .
(*) الإعراب بالحروف ١٦ د . عبد الكريم الزبيدى . دار البيان العربى . جدة .

تلك اللغة ، وفعلوا ذلك لحرصهم على بيان الإعراب ولا سيما عند الوقف (٢).

* * *

فإذا انتقلنا إلى التراث العربى وجدنا أنماطا كثيرة لتلك الأسماء الستة ومن ذلك :

١ - بأبه اقتدى عدى فى الكرم

ومن يشابه أبه فما ظلم
سوى أبك الأعلى وأن محمدا

علا كل عال يابن عم محمد

٢ - وحكى عن بعض العرب : هذا
أباك ، ورأيت أباك ، ومررت بأباك .
ومن ذلك :

إن أباه وأبا أباه

قد بلغا فى المحمد غايتها (٣)

وما روى عن أبى حنيفة : لا ، ولو رماه
بأباقيس ويراه الأشموني لغة صحيحة (٤) .

«مكره أخاك لا بطل» وبعضهم رواه «أخوك» .

وكما حكى فى الأب من وجوه حكى
كذلك فى الأخ (٥) .

٣ - وحكى بعضهم التشديد : هذا أبك (٦)

وهذه الصورة أقدم الصور ، ثم تحول
صوت التضعيف فيما بعد إلى حرف مد :

هذا ؛ وقد أشار أسلافنا القدماء إلى
الثنائية وإن لم ينصوا عليها صراحة ، حيث
بدءوا بها فى معجماتهم عند ترتيبها كالحليل
فى كتابه (العين) وابن دريد فى (الجمهرة)
والأزهري فى (التهذيب) والقالى فى
(البارع) وابن سيده فى (المحكم) .

وعلى مذهب (ثنائية) الأسماء الستة
فلا مشكلة فى إعرابها ، ويكون الإعراب
على الحرف الثانى ، وليست حروف العلة
فيها سوى آثار لإشباع حركات الإعراب ،
فقولك : جاء أبوك - فاعل مرفوع بالضمة
الظاهرة على الباء والواو إشباع ، وقس
على ذلك حالة النصب والجر فيها ، وهذا
مذهب المازنى بناء على (ثنائية) هذه
الأسماء (١) ، وهذا يذكرنا بما ورد فى
النقوش النبطية من إشباع حركات الإعراب
وذلك مثل : إضافة الياء إلى المضاف إليه
فى الأسماء المركبة تركيب إضافة مثل
(عبد الله) . وهذا يشبه ما جاء عن أزد
السراة من قولهم : جاء زيدو ، ورأيت
زيدا ، ومررت بزيدى ، فالواو
والياء يمكن أن تكون دليل الإعراب فى

(١) انظر الإنصاف ١ - ١٧ ، ٢٣

(٢) اللهجات العربية فى التراث : المستوى النحوى . د . أحمد علم الدين البلندى .

(٤) ١ - ٧١

(٣) انظر أوضح المسالك لابن هشام رقم ٩ .

(٥) الأشموني ١ - ٧١ والجمع ١ - ٥٩

(٦) الجمع ١ - ٣٩

ألفا أو واوا أو ياء وهذا التحول في اتجاه
الثلاثي لتصبح الكلمة مماثلة لأكثر الكلمات
العربية الثلاثية .

ويرى بعض علماء العربية أن تشديد :
أب وأخ - عوض من لاميهما ، فإن
أصلهما : أبو وأخو . جاء في الحمهرة :
أن بعض العرب يقولون : أخ وأخه ،
وقال ابن مالك في التسهيل : إن تشديد خاء
(أخ) وباء (أب) لغة (١) .

٤ - لزومها الواو وذلك في قراءة من
قرأ : « تبت يدا أبو لهب وتب (٢) » وحكاها
أبو معاذ (٣) .

وفي الرسالة للإمام المطلبى (٤) : أخبرنا
سفيان عن سالم أبو النصر . . . أن رسول
الله (ﷺ) قال : لا ألفين أحدكم . . .
(الحديث) .

وفي أسفل الوثيقة التي أرسلها رسول الله
(ﷺ) إلى بني جنبنة وإلى أهل مقنا « وكتب
على بن أبو طالب بخطه ورسول الله صلى
عليه حرفا حرفا » (٥) .

ولذا رجحت أن صيغة الواو لهجة
قرشية (٦) .

* * *

فإذا انتقلنا إلى الساميات والنقوش في
تلك الأسماء وجدنا ما يلي :

١ - ورد في اللهجة الصفوية « بابه .
أى : بأبيه . وباخه . أى : بأخيه (٧)
وورد في اللهجة الصفوية كذلك « ابه .
يعنى : أبوه ، وذلك في النص : ورمى له
ابه . أى : ورمى له أبوه (٨) » وهذه تشبه
حالة النقص في العربية .

وفي نقش صفوى آخر عبارة « وندم
على أخه وأخته » أى : وندم على أخيه
وأخته . وفي نقش صفوى أيضا عبارة « بلحم
ابن أب أنس ورمى (٩) » فالأب والأخ وردا
في النقشين على حرفين مع كونهما مضافين .
وهذا يؤكد مذهب الثنائية فيهما ، وهى
تشبه حالة النقص في العربية كذلك .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطى ١ - ١١٩ تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

(٢) انظر الكشف .

(٣) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٨٢ . (٤) ص ٨٩

(٥) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى : المقدمة (كد) ط الثانية . د . محمد حميد الله الحيدر آبادى .
لجنة التأليف والترجمة . القاهرة .

(٦) انظر : كتابنا : اللهجات العربية في التراث . النظام النحوى

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ - ٢٣٤ د . جواد على . ط المجمع العراقى ١٣٧٦ - ١٩٥٧

(٨) المرجع السابق ٧ - ٢٤٣

٢ - وفي الفقرة ١٩٥ من قانون حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) المدون باللغة البابلية القديمة يوجد فيه الإعراب كما هو في اللغة العربية الفصحى وفيه *imtahas Šummā* بمعنى : إذا ضرب ابن أباه « نجد كلمة *abāšu* بمعنى : أباه - وهي في حالة المفعولية منصوبة بالألف لأنها من الأسماء الخمسة كما في العربية (٢) وإن كنت أرجح أنها منصوبة بفتحة طويلة .

٣ - أما العبرية فاستقر أمرها على :

אָבִיךָ (أبيك)

وعلى : אָבִיךָ (أبيك)

٤ - واستقرت السريانية على : أبوك وأخوك .

وكذلك الآرامية سلكت مسلك السريانية في هاتين الكلمتين .

٥ - أما في لهجاتنا الحديثة فلا نكاد نرى بها إلا صورة واحدة هي : أبوك وأخوك . كما تسقط الهمزة من (أبو) حيث يقال في كنية القرد : بوزنه ، والأصل : أبوزنة ،

وفي تونس والجزائر يقولون : بومدين ، بوفليقة كما تنتشر في الجزيرة العربية أسماء : بافضل ، باكلا ، حسن باجوده (٣) ، وهذه الظاهرة ، امتداد للهجات قديمة ، حتى ظننا بعض علمائنا القدامى من اللحن (٤) .

في المثني :

يقال : ثني الشيء . أي : رد بعضه على بعض فتثنى واثني ويكون المعنى عبارة عن جزأين ، أعيد أو رد كل جزء إلى آخر ، ومن ذلك أيضا جاء (الثنيان) بضم الثاء للرجل الذي يلي السيد . والتثنية أو المثني ظاهرة لغوية وجدت في اللغات السامية وغيرها .

كما نجد التردد في الأساليب العربية في المثني حتى زمن القرآن الكريم ، فلم تكن تراعى العربية المثني من حيث نظام الجمل ، وربما يرجع عدم المراعاة من أن المثني كان داخلا في حيز الجمع أيضا ، ولهذا لم يكن ثابت القاعدة . انظر مثلا قوله تعالى :

١ - « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا (٥) » حيث قال : خروا . ولم يقل : خرا على التثنية .

(١) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام ١٢٨ . أحمد حسين شرف الدين .

(٢) فصول في فقه العربية ٣٨٣ د . رمضان عبد التواب ط الثانية . الخانجي .

(٣) ويشغل الآن رئيس قسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٤) انظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٧٤ د . رمضان عبد التواب ، الناشر : الخانجي والرفاعي .

(٥) يوسف ١٠٠

٢ - « هذان خصمان اختصموا في رحمة الله »^(١)

٣ - « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوها بينهما »^(٢) .

٤ - « فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين »^(٣) .

كما شاع في العربية الخطاب للمفرد بصيغة المثنى كما في الشعر مثل قولهم (خليلي) و (قفا) و (افعلا ذلك) ومن ذلك قوله تعالى : « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد »^(٤) وهو خطاب للمالك خازن النار .

* * *

فإذا رجعنا إلى النحو العربي وجدنا المثنى فيه يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ، وبعضهم يرى أن الألف والياء دليل الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب^(٥) . وعن ثعلب أن الألف في المثنى بدل من ضميتين^(٦) ، ويطول الخلاف بين علماء العربية في هذا^(٧) ، ثم ينشط تعليل النحاة

وقياسهم فيعللون لرفع المثنى بالألف دون غيرها ، وهل كان الإعراب متأخرا في نشأته عن علامة التثنية أم كان مصاحبا لها ؟ ويرى صاحب شرح الكافية أن الإعراب في التثنية والجمع لم يكن مصاحبا لأصل التثنية والجمع ، بل دخل عليهما بعد ذلك « وعندما أدخلوا الإعراب على التثنية لما دعت الحاجة إليه أقروا الألف في الرفع ، لأنها عماد التثنية وعلامتها الأصلية ، والرفع علامة العمدة التي لا تستغنى الحمل عنها . . . فناسب لذلك أن تكون الألف التي هي علامة التثنية في الأصل علامة الرفع أيضا . وبقي الجر والنصب ، وعلامة الجر الأصلية الياء التي تكون الكسرة بعضها فأعطى الجر علامته الأصلية وهي الياء ، واستغنوا عن الألف التي هي علامة التثنية بالفتحة التي هي بعضها ، فصارت الفتحة على ما قبل الياء علامة للتثنية . فالياء علامة الجر فهي إعراب ، أما علامة التثنية فهي الفتحة المختصرة من الألف . وبقي من الإعراب النصب وعلامته الأصلية الألف التي تكون الفتحة بعضها ، ولكنهم عندما أقروا الألف

(٢) الحجرات ٩

(١) الحج ١٩

(٣) فصلت ١١ وانظر : فقه اللغة المقارن د . إبراهيم السامرائي ٨٢ ط بيروت .

(٤) سورة ق ٢٤ (٥) فقه اللغة وسر العربية ٣٢٩ للتمالي . مط : الحلبي ط ١٣٩٢ - ١٩٧٢

(٦) الإيضاح للزجاجي ١٣٠ ط ٣ تحقيق مازن المبارك ١٩٧٩ بيروت .

(٧) المرجع السابق ١٤١

(٨) انظر الإنصاف ١ - ٣٣ فبا بعدها ، والكتاب ١٧ فبا بعدها و ٣ - ٣٨٥

وقول أبي النجم العجلى :
قد بلغنا في الحمد غايةاها^(٦)

ومن النثر :

حل بعيرك وخذ ديناراك .

جلست بين يديه .

لا وتران في ليلة^(٧) .

وفي القرآن :

قرأ ابن مسعود : « فكان عاقبتهما أنهما في
النار خالدان فيها^(٨) » سورة الحشر ١٧ :
« فلما ترى الجمعان^(٩) . . . » وقراءة العامة :
« فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : ... »

: « وأما الغلام فكان أبواه مؤمنان^(١٠) . »

: « إن هذان لساحران^(١١) . »

وأصحاب هذه اللغة : كنانة وبنو الحارث
ابن كعب ، وبنو العنبر^(١٢) وبنو الهجيم ،
وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم
وهمدان وفزارة وعذرة^(١٣) .

في الرفع ، لم تبق للنصب علامة ، فالحق
بالجور ، وأعطوه علامته وهي الياء ،
وبقيت الفتحة قبل الياء دليلا على التثنية .

والخلاصة : أن الألف في المثنى علامة
للتثنية وعلامة إعراب أيضا ، والياء في
النصب والجر إعراب والفتحة قبلها علامة
للتثنية^(١٤) «

* * *

فإذا انتقلنا إلى التراث العربي وجدنا فيه
أنماطا مختلفة للمثنى ، ومن ذلك^(١٥) :

شواهد لزوم الألف :

تزود منا بين أذناه طعنة
دعته إلى هابي التراب عة-يم
ط-اروا علاهن فطر عارها
واشد ممثى حقب حة-واها^(١٦)
أع-رف منها الأنف والعينانا
ومنخرين أشبهنا ظي-انا^(١٧)
فأطرق إطراق الشجاع ولو ترى
مساغاً لناياه الشجاع لصمها^(١٨)

(١) الإعراب بالحروف ٣٥ فما بعدها . د . عبد الكريم الزبيدي ، دار البيان العربي . جدة .

(٢) انظر : اللهجات العربية في التراث : في النظام النحوي . د . أحمد علم الدين الخندي .

(٣) خزائن البغدادى ٣ - ١٩٩ (٤) التصريح ١ - ٧٨

(٥) مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٧ (٦) الهمع ١ - ١٣٤ تحقيق سالم .

(٧) الهمع ١ - ٤٠ ط أولى . وانظر : اللهجات العربية في التراث : في النظام النحوي .

(٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٥٤ وانظر الكشاف للزمخشري .

(٩) الشعراء ٦١ وعزاها عيسى بالرفع على تلك القراءة لتجيم وانظر ابن خالويه ١٠٧

(١٠) البحر ٦ - ١٥٥ (١١) طه ٦٣ وانظر البحر المحيط ٦ - ٢٥٥

(١٢) وهما من تميم ، ولاحظ قراءة الرفع في « فلما ترى الجمعان » وعزاها عيسى إلى : تميم .

(١٣) الهمع ١/١٣٣ تحقيق سالم وانظر : الإكليل ٨ - ١١٢ والبحر ٦ - ٢٥٥ :

وفي الطبعة الأولى للهمع توجد : مزاده . بدل : فزارة . ولا توجد قبيلة عربية مسماة بهذا الاسم .

ومن العرب من يلزم المثنى الألف كما سبق
ولكنهم يخالفونهم في حركات النون ، حيث
إن هؤلاء العرب يعربون المثنى بالحركات
على النون ، من ذلك :

يا أبتـا أرقـنى القـيدانُ
فالنوم لا تعرفه العينانُ

وقال الشيباني :

ضم نون التثنية لغة . قال أبو حيان : يعنى
مع الألف لا مع الياء ، لأنها شبهت بألف
غضبان وعثمان ، وقد حكى الشيباني : هذان
خليلان^(١) :

والعرب استعملت الألف للدلالة في
جميع كلامها فقالوا : قاما وذهبا ، وأنما
وهما ، ولذلك كانت الألف أنسب من غيرها
إلى أن تكون علامة للتثنية التي هي أول الجمع
وأخف منه وأكثر استعمالا من الجمع السالم .

وأرجح أن لغة إلزام المثنى الألف
في الأحوال الثلاثة القادمة هي اللغة
القدمى — وكانت قبل دخول الإعراب
عليه ، كما أن لزوم الياء والنون لغة أيضا ،
يؤيد هذا وجودها في لغات سامية سانشير
إليها ، كما أن هذه الياء والنون لغة كثير من
العرب المعاصرين ، وربما كانت الياء في
المثنى لها صلة بإمالة الألف ، يقوى ذلك

وقف حمزة والكسائي وخلف على : «كلتا
الختين آتت أكلها : الكهف ٣٣» بإمالة
الألف^(٢) .

وفي الإتحاف^(٣) : أمال الألف العراقيون
قاطبة .

* * *

النون في المثنى :

أما النون في المثنى فألحقوها للدلالة على
تمام اللفظ ؛ لأنها كالتنوين الذى يتم به
الواحد وهى عوض من الحركة والتنوين
الذين يستحقهما الاسم في الأصل ، ثم صارتا
بعد من خصائص التثنية ، وقد اختلف
العلماء في هذه النون على مذاهب :

١ — لرفع توهم الإضافة ، وهو رأى ابن
مالك .

٢ — عوض من حركة المفرد . وهو رأى
الزجاج ، وردّه ابن مالك بأن الحروف نائية
عنها فلا حاجة إلى التعويض بالنون .

٣ — عوض من تنوين المفرد ، وعليه
ابن كيسان .

٤ — عوض من الحركة والتنوين معا ،
وعليه ابن ولاد :

(١) الهمع ١ — ١٦٠ سالم .

(٢) إرشاد المبتدى وتذكرة المفتى في القراءات العشر ١٦ ؛ لأبي العز الواسطى .

تحقيق : عمر الكبيسي . الفيصلية بمكة المكرمة (٣) ص ٣٩٠

٥ - عوض من الحركة والتنوين فيما وجدنا في مفردة . ومن الحركة فقط فيما لا تنوين في مفردة كمثني ما لا ينصرف . ومن التنوين فقط فيما لا حركة في مفردة ، كعصا .

٦ - فارقة بين رفع المثنى ونصب المفرد ، لأنك إذا قلت : زيادا ، يلتبس بالمفرد المنصوب حال الوقف ، ثم حمل سائر التثنية والجمع على ذلك . وعليه الفراء .

٧ - أنها التنوين نفسه (١) .

ويلاحظ أن النون في المثنى لم تحل محل المعوض عنه ، وهو التنوين ، إذ محل التنوين في المفردات يعتقب حرف الإعراب وهو الميم من (مسلم) وأما النون في المثنى فلم تكن بعدها ، بل بعد علامة الإعراب ، وهي الألف والياء في المثنى ، وعليه فلم تقع النون موقع التنوين لوقوعها بعد علامة الإعراب فيه (٢) .

أما حركة النون في المثنى فالشائع فيها الكسر ، وإنما حركت لالتقاء الساكنين ، وفتحها لغة أسد ، وقيل ذلك خاص بحالة الياء بخلاف حالة الرفع ومن أمثلة ذلك :

على أحوذين استقلت عشيّة

فما هي إلا لحظة وتغيّب

والجر :

ويرى برجشتراس أن النون في المثنى : يدان أو يدين مكسورة ، وربما كان أصلها yadāma فأبدلت الفتحة بالكسرة للمخالفة الصوتية (٣) .

وقال الشيباني ضم النون لغة . قال أبو حيان يعني مع الألف لا مع الياء (٤) .

وتحذف هذه النون للإضافة ، وجوز الكسائي حذفها في غير ذلك كقوله :

أقول لصاحبي لما بدلى
معالم منهمما ، وهما نجيا

أى : نجيان وعليه يجوز : قام الزبداء -
بغير نون . قال أبو حيان : ويشهد له ما سمع
بيضك ثنتا ، وبيضى مائتا (٥) .

* * *

فإذا انتقلنا إلى الدراسات السامية المقارنة في المثنى وجدنا :

١ - إن علامة التثنية في العربية (٦) كما

سبق (- ان) في الرفع و (ين) في النصب

(١) انظر الجمع ١ - ١٦٣ فما بعدها . سالم . (٢) التمويض وأثره في الدراسات النحوية واللغوية ١١٣ د . عبد الرحمن إسماعيل ط أولى (٣) التطور النحوى ١١١ نشره وعلق عليه د . رمضان عبد التواب . (٤) الجمع ١ - ١٦٦ سالم وانظر شرح الكافية الشافية ١ - ١٩٩ تحقيق د . هريدى . دار المأمون . (٥) الجمع ١ - ١٦٩ سالم . (٦) تنتمي إلى المجموعة الجنوبية

٢- وعلامتها في الأوكريتية^(١) مثل العربية Amai للمذكر في الرفع و Emai في حالتى النصب والجر(*) وتلازم هذه العلامة الكسرة في نهايتها كنون التثنية التى تلازم الكسر في العربية .

أما الحركة الإعرابية فتسبق العلامة وهى A في الرفع و E في النصب والجر ، وهنا أيضا تطابق العربية من حيث الإعراب .

أما علامة التثنية للمؤنث فهى Tamai في الرفع و Temai في النصب والجر .

ويلاحظ أن علامة التثنية في الأوكريتية تشبه علامة التثنية في العربية تماماً من جهة ، وأن Amai تقابل (ان) في الرفع ، و Emai تقابل (ين) في النصب والجر مع استبدال النون العربية بالميم في الأوكريتية .

٣- وعلامتها في العبرية^(٢) - ايم في جميع الأحوال

(١٠٨) رَحِيم

بالياء المكسرة (١٠٦)

٤- وفي الآرامية^(٣) - EN

٥- وفي الأكديّة^(٤) - AN في الرفع و IN أو EN في النصب والجر وبذلك جرت مجرى العربية في إظهار الإعراب قبل النون مع إسكان ما بعدها .

وفي الفترات المتأخرة سقط حرف النون منهما كما ضاع التمييز بين حالات الإعراب في المثنى الأكدي تدريجياً ، حتى طغت : ين على : ان .

٦- أما علامته في المعينية^(٥) فهى (نى) مثل : معينى ، وتعنى : عالين .

٧- وعلامته في السبئية^(٦) (ن) (آن) مثل : ثن عمرن وتعنى : اثنان نمران^(٧) .

وكان إعراب المثنى بالألف في اللهجات العربية القديمة له جذور في السبئية حيث يكون المثنى بإضافة (ان) للاسم وهى مرحلة متأخرة^(٨) .

٨- وعلامته في اللغة الثمودية (نى)^(٩)

(١) تنتمى إلى المجموعة الشمالية الغربية (٢) تنتمى إلى المجموعة الشمالية الغربية (٣) من المجموعة الشمالية الغربية العربية . د . باكية رفيق حلمى .

(*) Moscati and Others, P. q3.

(٥) لغة جنوبية عربية قديمة (٦) جنوبية عربية قديمة

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام : ١٠٨ / ٧

(٨) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ١٣ غويدى .

(٩) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢١٢ / ٧

٩ - وفي اللحيانية^(١) ai (اي) في حالة الجر والإضافة ، و (اين) و (و) في حالة الرفع ، وتلحق هذه العلامات آخر الاسم . ومن أمثلة المثني : قهرى : ومعناها : القاهرين .

١٠ - وفي اللهجات العربية المعاصرة يلزم المعنى الياء في أية حالة إعرابية ، وشأنه ، في ذلك شأن العبرية ، كما تظهر^(٢) : الواو والنون ملحقة بالمثنى في البابلية الحديثة مما يدل على وجود خلط بين جمع المذكر والمثنى ، على حين وجدت لاحقة المثنى في اللغة

البابلية التي خلفها حمورابي تشبه اللغة العربية الفصحى^(٣) .

١١ - وفي عربية النقوش أو العربية البائدة نجد في نقش النمارة الذي عثر عليه بالشام ، وكتب شاهداً على قبر امرئ القيس بن عمرو وأرخ بشهر كسلول (تشرين الثاني - كانون الأول) من سنة ٢٢٣ من تاريخ بصرى أى سنة ٣٢٨ للميلاد وفي السطر الثاني نجد (الأسدين) وهى مثناة مفعول به منصوب بالياء . والأسد (الأزد) قسمان : أزدد شنوءة وأزد السراة في الغرب ، وأزد عمان في الشرق^(٤) .

جمع المذكر السالم

قال الزجاجي « ومن الجموع ما جاء على حد التثنية وهو أن تضم أسماء ببعضها إلى بعض ، متفقة الألفاظ ، فيزاد في آخر واحد منها علامة الجمع فيعلم أن الجماعة كقولنا : الزيدون والعمرؤن . . . وجعل هذا اللفظ لما بعد الاثنين فاشترك فيه القليل والكثير ، وربما اقتصروا به على ما دون العشرة وربما جاوز ذلك »^(٥) .

ونرى أن إعراب الجمع هذا مر بأدوار تطورية ، وكل مرحلة لها ظروفها وصيغها التي تتلاءم معها ، ونلمس هذا التطور من خلال خلافاً للنحاة حول إعرابه . أيعرب بالحروف كما رآه قطرب والزجاج وغيرهما أم يعرب بحركات مقدرة على ما قبل هذه الحروف كما رآه الأخفش أم يعرب بحركات مقدرة على الحروف نفسها^(٦) ، وإذا كان

- (١) هي لغة شمالية عربية وانظر المرجع السابق ٧ / ١٦٣ . وانظر بحثاً عنوانه « اللغة العربية » د . فؤاد حسنين - نشر بمجلة معهد البحوث والدراسات العربية عدد ٤
- (٢) Grundriss der Akkadischen Grammatik, Wolfram. Von Soden, Rome, 1957
- (٣) من مقال للأستاذ إدوار دروم في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٢ / ١٨٩ . بعنوان « اللغة العربية الفصحى ولغة حمورابي » .
- (٤) الكتابة العربية والسامية ١٣١ د . رمزي بملبيكي .
- (٥) الإيضاح في علم النحو للزجاجي ١٢٨ تحقيق د . مازن المبارك . ط ٣ بيروت .
- (٦) الهمع ١٦١ فما بعدها تحقيق د . عبد العال سالم .

النحاة يشترطون فيه أن يكون لعاقل (١) ، فإن شيوعه في أصول غير عاقلة يشير إلى بدء مرحلة استعمال هذا الجمع ، فقد جمعت ألفاظ العقود من العدد على هذا الجمع ، وهناك ألفاظ ألحقها النحويون به وهي : أرضون ، وابلون ، أهلون عالمون ، وجاء منه كلمات ذات أصول ثنائية مثل : بنون ، قلون ، سنون . عضون (٢) .

وما ألحق بجمع المذكور السالم يعرب بالواو رفعا وبالياء جراً أو نصباً على لغة الحجازيين وعليها قيس ، والتميميون يجعلون الإعراب السابق بالحركات على النون الأخيرة ، كما يلتزمون الياء في جميع الأحوال رفعاً ونصباً* (٣) وجراً ، فان نونت النون كانت لغة بني عامر ، وإذا تنون فهي لغة عتيم (٤) .

وفي الجمع لغات أخرى غير ما تقدم :

(أ) أن يجعل كغسلين في التزام الياء وجعل الإعراب في النون مصروفاً .

(ب) أن يجعل كهرون في التزام الواو وجعل الإعراب على النون غير مصروف للعلمية وشبه العجمة : لَا

(ج) التزام الواو وفتح النون مطلقاً (٥) وقد ساق علماء العربية شواهد من التراث نظماً ونثراً شمل تلك الحالات كما نجد شواهد كثيرة من القرآن : «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى» فقد عزى الجمع بالواو على كل حال كما هنا وهي لغة بلحارث بن كعب (٥) . غير أن النحاة يتأولون ذلك ويقولون : حقه أن ينصب (٦) .

أما حركة النون في الجمع وما ألحق به :

فهى مفتوحة في الفصحى ، وأحياناً مكسورة ، فقليل لغة وقيل ضرورة وقيل ذلك خاص بحالة الياء بخلاف حالة الرفع ، وقد ورد في التراث شواهد (٧) لذلك .

وتحذف النون للإضافة ، وقد تحذف في غير ذلك ، وخرج عليها في القرآن :

« والمقيمي الصلاة » بالنصب (الحج ٣٥) « غير معجزى الله » بالنصب التوبة ٣ (« وقراءة الأعمش » وما هم بضارى به « البقرة ١٠٢) أى : بضارين . « لذائقوا العذاب » بالنصب (الصافات ٣٨) .

(١) شرح الكافية الشافية ١ / ١٩١

(٢) الهمع ١ / ١٥٥ فما بعدها . تحقيق د . عبد العال سالم .

(٣) التصريح ١ / ٧٦ فما بعدها ، وأنظر كتاباً : اللهجات العربية في التراث المستوى النحوى .

(٤) شرح الكافية الشافية ١ - ١٩٤ فما بعدها (٥) التبيان في إعراب القرآن للمكبري ٥٢ تحقيق البجاوى .

(٦) مجاز القرآن ١ / ١٧٢ لأبي عبيدة (٧) المرجع السابق ١ / ٢٠٠ ، وشرح التسهيل لابن عقيل ١ / ٤٥

* واصل لذلك صلة بميلهم نحو الإمالة ، ولهجتنا في مصر تلتزم الياء في جمع المذكور وما ألحق به فهي تشبه في هذا لهجة تميم . لَا

كما حذفت لغير إضافة في الشعر مثل :

ولسنا إذا تأبون سلماً بمدعنى ،

لكم غير أنا إن نسالم نُسالم
أى بمدعنين^(١) .

وقول الآخر :

لو كنتم منجدى حين استعنتكم
لم يقدموا ساعداً منى ولا عضداً^(٢)

* * *

فإذا انتقلنا إلى علم المقارنات السامية في
جمع المذكر وجدنا :

١ - في العربية ون : في الرفع ون-ين في

النصب والجر .

٢ - في الأوكريتية^(٣) : وهى أقرب

اللغات السامية إلى العربية ، إذ إن علامة جمع
المذكر السالم فيها wma أو -وم في الرفع و-
Ima أو -يم في النصب والجر مع استبدال
النون العربية بالميم .

ووجه الشبهة بين اللغتين :

(أ) علامة الإعراب في العربية تسبق
علامة الجمع وهى : الواو في الرفع والياء في
النصب والجر .

(ب) نهاية علامة الجمع تلازم الفتح في
العربية كما تلازمها في الأوكريتية .

(ج) علامة الجمع تكون على صورتين
إحدهما بالواو للرفع والأخرى بالياء للنصب
والجر .

(د) تشير علامة الجمع (م) في
الأوكريتية إلى شبيبتها في العربية التى تكون
(يم) في جميع الأحوال .

٣ - أما الأكادية^(٤) والآشورية فعلمة
جمع المذكر على صورتين :

(أ) Anw للرفع وتقابل - ون العربية ،
إلا أن الأكادية تظهر حركات الإعراب على
آخر النون وتلزم ما قبلها الفتح ، أما العربية
فبالعكس .

(ب) Ani للنصب والجر ، وتقابل - ين
العربية مع إظهار الحركة على آخر النون
ولزوم ما قبلها الفتح بعكس العربية ، وأحياناً
نجد الواو علامة الحالات الثلاث في
الأكادية القديمة والوسطى .

(ج) وفي البابلية : الواو والنون رفعا والياء
نصباً وجراً^(٥) ومعنى ذلك أن اللغتين البابلية
والعربية تشتركان في أدق وأقدم الظواهر
السامية مثل التثنية والجمع .

٤ - أما في الآرامية والسريانية ففى جمع
المذكر تكون in أى بالياء قبلها وتشبه في ذلك

(٢) الجمع ١ / ١٦٩ تحقيق عبد المال سالم .

(١) شرح التسهيل لابن عقيل ١ / ٤٦

(٣) انظر صيغ الجموع في اللغة العربية مع بعض المقارنات السامية . د . باكية رفيق حلمي . ط الأديب

البغدادية ١٩٧٢




(٤) في قواعد الأكادية انظر : فون سoden : روما ١٩٥٢ م .

Grundriss der akkadischen Grammatik. W. Von Soden.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية ١٢ / ١٨٩ - ١٩٠

العبرية مع استبدال الميم العبرية بالنون وسكون الآخر؛ شأن بعض اللغات السامية وبعض اللهجات العربية المعاصرة، حيث لا تستخدم حالة الرفع، وربما يرجع ذلك إلى سهولة صوت الكسرة عن الضمة، وتحذف النون في حالة التركيب، ولدينا آثار من الجمع بالياء والنون في أسماء الأماكن الآرامية.

٥ - أما في الحبشية فعلاقة الجمع AN وهي تلازم حالة واحدة وربما كانت هذه الألف أقرب إلى الواو أو ه في مرحلة ما ثم تطورت إلى الألف وهي تقابل IN في الآرامية

و  في العبرية و  ون  في العربية.

٦ - وفي العبرية يضاف (يم) إلى نهاية المفرد المذكور. ولدينا جموع عبرية بالياء والنون وردت في أسفار العهد القديم المتأخرة وفي نصوص شعرية (١).

٧ - وفي السبئية (٢) يلحق آخر الاسم (ن) ويرجع غويدي أن تكون حركات موافقة لحركات نون الجمع العربي أي (ون) في الرفع و (ين) في النصب والجر.

٨ - وفي الآرامية والنونية والصفوية (٣) نجد علامة جمع المذكر فيها IN وهي في ذلك كالعربية تماما. وأحيانا نرى العلامة Ay كنهاية للجمع. ونون الجمع تسقط فيها بالإضافة ويقول بعض الباحثين (٤): إننا لا نستطيع تعيين حركة النون لعدم وجود الشكل والعلامات التي تعين الحركة داخل الكلمة فلاندرى أكانوا ينطقون بها: ون un أو ين in أم كانوا ينطقون به بصورة واحدة؟

ومثاله: أصدقن - وتعني: أصدقون أو أصدقين - جمع أصدق.

٩ - كما يختم المذكر السالم بالميم عند العرب الجنوبيين مثل (حميرم) يعني: الحميريون و (أزدم) يعني: الأزديون (٥).

١٠ - وفي نقش جاهلي قديم وهو (النمارة) (٦) يوجد في السطر الثالث (ونزل بنيه) وهو ملحق بجمع المذكر السالم، مفعول به منصوب بالياء، كما يلاحظ حذف النون من المضاف والأصل: بنيته، فلما حذفت النون صارت (بنيه) وتلك قاعدة هامة في العربية القصبية أيضا.

(١) فقه اللغة المقارن ١٤٤ د. إبراهيم السامرائي بيروت ط ٢ - ١٩٧٨

(٢) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ١٣. أغناطيوس غويدي. القاهرة ١٩٣٠ م

(٣) وهي لغات عربية شمالية بائدة.

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ / ١٦٤ جواد علي.

(٥) لهجات اليمن قديما وحديثا: ص ١٧ لأحمد حسين شرف الدين ١٩٧٠ / ط الجبلأوى

(٦) انظر: تاريخ اللغات السامية ١٩٣ ولقنون، وتاريخ الأدب ٥٩ - ٦٠ حفنى ناصف، القاهرة

والتاريخ العربي القديم، طومل وآخريين، ترجمه د. فؤاد حسنين. القاهرة ١٩٥٨. والكتابة العربية والسبئية ١٣٨ د. رمزي بعلبكي وستري في هذا الكتاب الأخير قراءات أخرى لهذا النص.

الأفعال الخمسة

وحرف الإعراب لا يلزم الحركة ، فلم يبق إلا أن تكون معربة ، ولا حرف إعراب فيها (١) .

ويرى بعض الباحثين أن النون في (يفعلان) وما على مثالها ، للحفاظ على علم التثنية والجمع والتأنيث ، فلو حذفت النون لتعرض ذلك كله للحذف أو التغيير ، فتضيع الدلالة عليه ، فالنون إذن في هذه الأفعال الخمسة إنما هي لوقاية الألف والواو والياء من الحذف أو التقصير لا للدلالة على أنها معربة مرفوعة ، والعربية حريصة على إظهار النوع والعدد ، ولهذا جاءت بالنون لإشباع الألف والواو والياء ، ففي إعراب هذه الأفعال يكتفى بالإشارة إلى ما فاعله من صفة العدد أو النوع . أما الزمان فيشار إليه (بلم وأن) (*) .

النون في الأفعال الخمسة :

ورد حذف النون حالة الرفع في النثر والنظم :

١ - قرىء : « قالوا ساحران يظَاهرا » القصص ٤٨ (٢) .

٢ - قال « أتحاجوني في الله » الأنعام ٨٠ ، وذهب سيبويه أن المحذوف نون الرفع (٣) .

في العربية ترفع بالنون ، وتنصب وتجزم بحذفها ، وحمل النصب على الجزم ، كما حمل على الجر في المثني والجمع ، هذا مذهب الجمهور .

وقيل : إن الإعراب بالألف والواو والياء كما أنها في المثني والجمع السالم كذلك .

ورده صاحب البسيط بأنه لو كان كذلك لثبتت النون في الأحوال الثلاثة .

وقيل : الإعراب بحركات مقدرة قبل الثلاثة والنون دليل عليها ، وعليه الأخفش والسهيلي .

ورده ابن مالك بعدم الحاجة إلى ذلك مع صلاحية النون له .

وقيل : إنها معربة ، ولا حرف إعراب فيها ، وعليه الفارسي قال : لأنه لا جائز أن يكون حرف الإعراب النون ، لسقوطها للعامل ، وهي حرف صحيح ، ولا الضمير لأنه الفاعل ، ولأنه ليس في آخر الكلمة ولا ما قبله من اللامات ملازماتها لحركة ما بعدها من الضمائر من ضم وفتح وكسر ،

(١) الجمع ١ / ١٧٦ تحقيق د . سالم وانظر : الإنصاف ١ / ٣٩

(٢) وانظر حاشية الصبان ١ / ٩٧

(٣) الكتاب ٣ / ٩٩ والكافية الشافية ١ / ٢٠٨

(*) في النحو العربي ١٣٧ د . مهدي الخزومي . بيروت ١٩٦٤ .

وقد عزيت هذه اللهجة إلى قبيلة غطفان^(١).

٣ - وفي الصحيح : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا^(٢) .

والأصل : لا تدخلون ولا تؤمنون ، لأن لا : نافية .

٤ - أبيت أسرى وتبتي تدلكني وجهك بالعنبر والمسك الذكي^(٣) والأصل : تبيتين وتدلكن - فحذف النون دون ناصب أو جازم .

٥ - فإن يك قوم سرهم ما صنعت سيحتل بوبها لا قحاً غير باهل فحذف النون

وعندى أن حذف النون في الأصل يدل على أن الفعل لم يتم أو لم ينفذ ، بعكس بقاء النون فيه والذي يدل على تنفيذه الفعل وتمامه . كما ورد إثبات النون في حالة النصب في النثر والنظم :

١ - في الحديث : « قلت يا رسول الله - إني امرأة أشد ضفر رأسي ، أفأنفضه لغسل

الحنابة ؟ قال : لا ، إنما يكفياك أن تحثني على رأسك ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضين على سائر جسدك » .

فالمضارع مرفوع بعد أن المصدرية في مكانين من هذا الحديث .

٢ - أن تقرأن على أسماء ويحكمنا مني السلام وأن لا تشعرا أحدا

٣ - إني زعيم يانويقة إن نجوت من الرزاح أن تهبطين بلاد قوم يرتعون من المطاح

٤ - إذا كان أمر الناس عند عجزهم فلا بد أن يلقون كل يباب

٥ - ولي كبد مقروحة من يديني بها كبدا ليست بذات قروح أبي الناس ويح الناس أن يشترونها ومن يشتري ذاعلة بصحيح^(٤)

ويذهب الزمخشري إلى أن الرفع بعد (أن) المصدرية لغة^(٥) .

(١) البحر ٤ / ١٦٩ . وانظر كتب القراءات في « فم تبشرون » الحجر آية ٥٤ وفي « تأمروني » سورة الزمر ٦٤ وانظر المنصف ٢ / ٣٣٨ حيث يرى أن المخلوف هي نون الرفع . وانظر ابن يعيس ٣ / ٩١ وشواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك في حذف نون الرفع لجرد التخفيف ١٧٠ ومعنى اللبيب ٢ / ٣٤٤ لابن هشام . تحقيق الشيخ محي الدين

(٢) أخرجه مسلم في باب الإيمان ٩٤ وانظر أحاديث أخرى في شواهد التوضيح ١٧١

(٣) الهمع ١ / ١٧٦ والكافية الشافية ١ / ٢١٠

(٤) انظر كتابنا : اللهجات العربية في التراث : القسم الثالث (في النظام النحوي) .

(٥) خزانة الأدب ٣ / ٥٦٠ للبغدادى ط بولاق .

حركة النون :

٢ - كما استقر الأمر في العبرية على صيغة

أخرى ، حيث كانت بغير النون (٦) :

יָבֹרָךְ בְּבִלְמֶה (يَفْتَلِمْ)

יָבֹרָךְ בְּבִלְמֶה (يَفْتَلِمْ)

الأصل في هذه النون السكون . وإنما حركت لالتقاء الساكنين . فكسرت بعد الألف على أصله وفتحت بعده الواو والياء طلبا للخفة ، لاستثقال الكسر بعدها ، وقيل تشبيها للأول بالثاني والثاني بالجمع .

وفي القتبانية نجد الفعل المضارع المسند إلى جماعة الذكور الغائبين نجده : يفعاو (يفتلوا) ويضاف إلى آخره النون فيكون : يفعان . يفعلون (يفتلان) (يفتلون) (٧) .

وقد اشتملت بعض نصوص التوراة على عدة أمثلة وردت فيها النون ، واعتبرت من بقايا مراحل قديمة ، فإذا نظرنا إلى كتابنا الكريم وجدنا الآيات الآتية :

(١) « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق » (٨)

قرأ ابن مسعود : « وتكتمون » (٩) .

(ب) « فإذا لا يؤتون الناس نقيرا » (١٠) قرأ ابن

مسعود وابن عباس وأبي : لا يؤتوا » (١١) .

وقد تفتح بعد الألف أيضا ، قرئ : « أتعادتنى أن أخرج » (١) بفتح النون ، وقرأ بها عبد الوارث عن أبي عمرو (٢) ، وقال العكبري هي لغة شاذة ، وحسنت هنا لكثرة الكسرات (٣) وفي إعراب النحاس (٤) : وفتح هذه النون لحن .

وقد تضم و قرئ : « طعام ترزقانه » بضم النون (٥) .

* * *

فإذا انتقلنا إلى المقارنات السامية :

١ - في السريانية قد استقرت على صيغة

واحدة ، حيث تنتهي بالنون : تفتلون ، وتفتلين .

(١) الأحقاف ١٧

(٢) مختصر شواذ القراءات ١٣٩ لابن خالويه .

(٣) إملأ ما من به الرحمن ٢ / ٢٣٤ للعكبري .

(٤) ٣ / ١٥٢

(٥) الجمع ١ / ١٧٧ تحقيق د . سالم .

(٦) من أسرار اللغة ٢٧٣ د . إبراهيم أمين ط السادسة .

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ / ٩٧ د . جواد علي .

(٨) البقرة ٤٢

(٩) البحر ١ / ١٨٠

(١٠) النساء ٥٣

(١١) مختصر شواذ القرآن ٢٧ لابن خالويه ، والبحر ٣ / ٢٧٣ ومعاني القراءات ١ / ٢٧٣ وتفسير الرازي ٣١ / ٢٥٣

(ج) : « وإذن لا يابشون خلافتك إلا قليلاً »^(١) وفي قراءة ابن مسعود وأبي « لا يابشوا »^(٢).
في الآية السابقة .

وبعد هذه المقارنات بين العربية وأخواتها الساميات في لاحقة المثني والجمع يظهر :

١ - أن نهايات المثني في الساميات كانت مكونة من حركة طويلة أو مركبة + تم في العبرية ، أو نون في سائر اللغات السامية الأخرى وتسقط الميم أو النون في الإضافة ، وتكون ساكنة في اللغات السامية باستثناء العربية الشمالية حيث تكون مكسورة أو مفتوحة أو مضمومة نادراً .

وقد تكون الحركة السابقة للميم أو النون مركبة كما في العبرية

... $\text{...} \text{...} \text{...} \text{...} \text{...}$

والعربية ين (لنصب والحر) وقد تكون طويلة كما في العربية الشمالية تان (لرفع) والأكدية ān للرفع . ولا يعرب المثني إلا في العربية الشمالية والأكدية حيث تستعمل نهايتان إحداهما للرفع والأخرى للنصب والجر .

(د) : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون^(٣) إلا الله » وفي قراءة أبي وابن مسعود « لا تعبدوا »^(٤) على النهي . قال الفراء وجماعة : المعنى — أخذنا ميثاقهم بألا يعبدوا إلا الله وبأن يحسنوا للوالدين ، وبألا يسفكوا الدماء . ثم حذف : أن والباء فارتفع الفعل لزوالهما .

قال المبرد : هذا خطأ ، لأن كل ما أضمر في العربية فهو يعمل عمله مظهراً .

وقال القرطبي : ليس هذا بخطأ ، بلي هما وجهان صحيحان وعليهما أنشد سيبويه :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغي
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلد
بالنصب والرفع فالنصب على إضمار (أن)
والرفع على حذفها^(٥) .

(هـ) : « وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم »^(٦)

(١) الإسراء ٧٦

(٢) البحر ٦ / ٦٦ ومختصر شواذ القرآن ٢٧ لابن خالويه ، والكشاف ٢ / ٦٢ ، وتفسير الرازي ٢١ / ٢٤ وانظر : شرح الكافية ٢ / ٢٣٨ وشرح التصريح ٢ / ٢٣٥

(٣) البقرة ٨٣

(٤) مختصر شواذ القرآن ٧ والبحر ١ / ٢٨٢ والكشاف ١ / ٧٩ ومعاني الفراء ١ / ٤٩ وتفسير الرازي ١ - ٤٠٥

(٥) تفسير القرطبي (سورة البقرة) . (٦) البقرة : ٨٤

٢ - كما تختلف نهايات الجمع السالم في الساميات ، وهي مكونة من حركة طويلة + ميم في العبرية ونون في سائر الساميات الأخرى . وفي الأكديّة تستعمل الحركة الطويلة نهاية للجمع (t̄a للرفع و t̄a للنصب والجر) ويعرب هذا الجمع في العربية الشمالية والأكديّة حيث تستعمل نهاية للرفع وأخرى للنصب والجر .

٣ - كما وضحتنا فيما سبق آراء علماء العربية في علامة المثنى والجمع ، وإعرابهما ، وفي النون اللاحقة بكل منهما . وكما اختلف علماء العربية فيما سبق ، اختلف المستشرقون كذلك حيث ذهب بعضهم أن عنصر الجمع السالم هو مد حركة إعراب المفرد ، وبذلك نشأت في اللغات السامية النهايات ūn و in و ān التي استعملت كنهايات للمثنى وجمع المذكر السالم دون مراعاة للحالة الإعرابية التي تدل عليها حركة المفرد . وذهب نفر منهم إلى أن النهايات الأصلية للمثنى والجمع السالم كانت ā للمثنى المرفوع و t̄a للجمع المرفوع و i للجمع المنصوب أو المجرور و ai للمثنى المنصوب والمجرور . كما حاول بعضهم تفسير اختلاف دلالات النهاية ām في الساميات ، فهي تكون نهاية للمثنى في

العربية الشمالية والأكديّة ، ونهاية للجمع المذكر السالم في الحبشية كما ذهب بعضهم أنها كانت في الأصل نهاية عامة للجمع ، غير مرتبطة بالجنس (١) .

كما ذهب بعض الباحثين « أن أصل هذه اللاحق كانت كلمات قائمة بنفسها ثم تحولت إلى آلات نحوية بتحويل الكلمات المليئة إلى كلمات فارغة ، فالأدوات النحوية التي تستعملها اللغات ليست إلا بقايا من كلمات مستقلة قديمة ، أفرغت من معناها الحقيقي ، واستعملت مجرد موضعات ، أي مجرد رموز (٢) » والحقيقة أن هذه اللاحق ماهي إلا رموز للتثنية أو الجمع وليست فارغة من الدلالة كما يتصور ، بل استعملت كدلالات صوتية نستدل من خلالها على فهم الباب النحوي وتحديدده .

ويرى نفر من العلماء أن هذه الزيادات واللاحق - إنما هي اعتباطية وغير منضبطة . والحقيقة أنها لم تكن اعتباطية ولا عشوائية ، وإنما بدأت غير مستقرة وقائقة ثم سارت رويدا رويدا نحو الاستقرار ، وأصبح لها مقاصد وأهداف .

ويرى برونكلمان أن نهايات المثنى والجمع السالم متطورة عن نهايات أسماء المعنى مثل

(١) اقتبست هذا من : التثنية والجمع في اللغة العربية : فاروق جودي . رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة ١٩٦٥ كلية الآداب . جامعة القاهرة .

(٢) التطور اللغوي ٩٧ د . رمضان عبد التواب . ط الخانجي والرفاعي .

جموع التكسير ومما هو جدير بالذكر أن علامات جمع التصحيح جرت مجرى نهايات الضمائر وأسماء العدد ، فالعربية تجمع الضمائر بالنون تارة والميم أخرى مثل : نحن ، أنتن ، هن ، وهي تدل على الجمع وتختلف عن المفرد بزيادة النون ، أما ضمائر الغائبين والمخاطبين فهي : هم ، وأنتم ، وهما بالميم بدل النون ، كما أن ضمائر التثنية : هما . وأنتما بالميم ، ومعنى ذلك أن العربية تجمع بين العلامتين : النون والميم في استعمالها للدلالة على التثنية والجمع .

أما العبرية فيغلب فيها استعمال الميم للدلالة على التثنية والجمع ، بعكس الآرامية التي يغلب فيها النون . فاللغات التي تستعمل الميم في الضمائر للدلالة على الجمع تستعملها في جمع الأسماء أيضا كما أن اللغات التي تستعمل النون للدلالة على الجمع في الضمائر نستعملها أيضا في جمع الأسماء . وقس على ذلك صيغ العقود وألفاظ العدد (١) .

أما الميم والنون في نهايات المثنى والجمع السالم ، فهي نون (التثنيين) وميم (التثمين) ولكن أيهما أقدم ؟ فبعضهم يرى أن الميم هي الأصل وأن النون متطورة عنها ، وآخرون من المستشرقين يرون أن النون

هي الأقدم ، كما يرى فريق آخر أنهما نشأتا معاً في اللغات السامية ، دون أن تتطور إحداهما عن الأخرى ، والعلاقة الصوتية قوية بين الميم والنون كما أن الميم تؤدي وظيفة النون في اللهجات الجنوبية ، كما نجد الميم في نهايات الجموع المذكورة والمثنى في الأوكريتية .

وقد بقيت في العربية بقايا من التثمين عوملت الميم فيها معاملة الحرف الأصلي بعد أن بعد العهد باستعمالها القديم مثل : شدقم . شهرم . ابنم . شجعم . حلقوم . زنيم . زرقم . نخضرم . بلعوم . ومعروف كذلك قلب الميم نونا في العربية مثل : دخشم ودخشن ، بنان وبنام (٢) ، وفي اللهجة اللبنانية الحديثة يقولون : كتابكن كتابكم ، فهم الجمع أصبحت نونا .

* * *

وفي النهاية :

ففي ما سبق من المقارنات بين العربية والساميات ما يؤكد أن هذه اللغات مرت بأدوار تطورية ، وكل دور منها يختلف عما قبله ، وظهر هذا في لواحق المثنى والجمع والأسماء الستة والأفعال الخمسة ،

(١) الجموع في اللغة العربية ٢٣٩ ، ٢٥٤ د . باكيظة حلمي

(٢) زيادة الميم في بعض كلمات اللغة . الشيخ عبد القادر المغربي (مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق م ٣ ج ٣

سنة ١٩٢٣) .

وبعض الأدوار فيها أسرع وبعضها الآخر
تلكاً أو جمداً لظروف اجتماعية أو غيرها ،
كما أن الإعراب بالحروف لم يوجد دفعة
واحدة ، بل تطور في أدوار ، فوجد الألف
أو الواو أو الياء ، ثم بعد فترة وجدت
النون ، ودليل ذلك :

١ - هما خطنا اما إيسار ومثنة

وإما دم والقتل بالحر أجدر

٢ - خليلي ما إن أنما الصادقا هوئ

إذا خفتما فيه عدولا وواشيا

فقد أجهاد النحاة أنفسهم في التخريج
والتأويل ، وأن النون حذفت للإضافة
المقدرة في الشاهد الأول ، كما حذفت
النون في الشاهد الثاني للاقتصار ، والحقيقة
أن هذه الحالة كانت طريقة الأداء الأولى
في التعبير بالمشئ ، وبعض النحاة لمس هذه
الحقيقة عندما رأى أن حذف النون جاء
على لغة بعض القبائل لغير ما يستدعي
حذفها ؛ كالإضافة فعدم وجود النون كان
مرحلة من المراحل في المشئ لم يتنبه له
بعض النحاة .

كما لا شك فيه أن الإعراب بالحركات

كان أولاً ثم تطور إلى الإعراب بالحروف ،
ثم مر دور اجتماع فيه الإعراب بالحركات
مع الإعراب بالحروف ، ومن ذلك ما روى
عن السيدة فاطمة رضي الله عنها : يا حسنان
ويا حسينان ، وهي ولا شك لغة بعض
القبائل .

ومن التطور في ملحق الجمع السالم
تستطيع أن تأخذ شاهداً واحداً من التراث
لتجد فيه خلافاً للقبائل العربية^(١) وموقف
النحاة منها ورصد مظاهر هذا التطور ،
وتحديد موقعه الزمني أمر نافع في إعادة
بناء النحو وتخليصه من ذيول الخلاف
وتعدد الوجوه ، ويمكن أن تدرس هذه
الشواهد على هدى من طفولة اللغة ونسوجها .
على أن الساميات ومنها العربية لم تلتزم
بنظام علامات الإعراب من حركات
وحروف إلا في مرحلة نصحبها أما في
مراحلها الأولى فكانت غير منضبطة^(٢)
تماماً ، يؤكد ذلك ما يفترضه Wright
من أن التشبية كانت تقسم بإلحاق واو ونون
في حالة الرفع وألف ونون في حالة النصب
وياء ونون في حالة الجر ، وأن هذه العلامات
تقلصت إلى الاثنتين المعروفتين^(٣) .

(١) انظر : شواهد : سنين - وما ورد فيها من الإعراب في : معاني الفراء ٢ / ٩٢ و البحر ٥ / ٥٦

والجمع ١ / ١٥٩ تحقيق سالم . وشرح التصريح ١ / ٧٦

(٢) اللغة والنحو ٥٧ د . حسن عون . ط أولى

(٣) Lecture on the Comparative Grammar of the Semitic Languages P. H 9.

ويمكن أن نفترض إلزام المثنى الألف في الحالات كلها على لغة بالحارث بن كعب تقلصا آخر (*) .

ومن هذا ما نجده في الأعداد من (٢٠ - ٩٠) فالأصل في لفظ عشرين وهو ملاحق بالجمع السالم - أن يكون مثنى ، وذلك لأن العشرين ضعف العشرة ، لكن صيغة المثنى هذه لم تثبت أمام صيغة الجمع التي نجدها في ثلاثين وما بعدها حتى تسعين وثلاثت صيغة المثنى وحلت محلها صيغة الجمع ، وشأن العربية في هذه الظاهرة شأن العربية

والآرامية مثل (ليلها) (١٠)

(عسبريم) وفي الآرامية : عشرين اكننا نجد العكس في كل من الحبشية والأكدية إذ نجد صيغة المثنى هي التي سادت وعممت في أسماء الأعداد حتى التسعين

مثل : ܡܝܠܬܐ (عشرا) (١) ،

ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض القبائل العربية اتخذت (آن) لاحقة للجمع أيضا يؤكد هذا ما جاء عنهم « مرت بنا غلمان سودان وسود » معاني الفراء ٣ - ١١٢

ومن ذلك أننا نرى ألفاظا بصيغة الجمع وهي للمثنى كتولهم : فلان عظيم المناكب ، ورجل غليظ الحواجب . وليس للإنسان إلا منكبان وحاجبان ، ومن ذلك قوله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » بلفظ الجمع ، ولها قلابان .

كما يمكن تسجيل درجات التطور في صيغة طحجية لقبيلة عربية وهم (بنو الحرماز) من تميم فقد كانوا يلزمون صيغة ممتوتين (٢) الياء والنون مع المفرد مذكرا كان أو مؤنثا ومع المثنى والجمع بنوعيهما فجعلوا حركات الإعراب تتعاقب على النون فقالوا : هذا رجل ممتوتين وامرأة ممتوتين ورجلان ممتوتين وامرأتان ممتوتين ورجال ممتوتين ونساء ممتوتين .

أما عامة العرب باستثناء (بنى الحرماز) فقالوا في المفرد هذا رجل ممتوئ ورجلان ممتويان وفي الجمع ممتوون بالرفع ، وممتوين بالنصب والجر .

(*) ومن تقلص الحركات الإعرابية أن الحركة الواحدة تقوم بوظيفتين ، كما في الممنوع من الصرف (الفتحة) وجمع المؤنث السالم (الكسرة) .

(١) العدد في اللغة العربية . د . فؤاد حسنين . مجلة كلية الآداب ج ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ وانظر : Uman, Ethiopic Grammar. Translated by. James A. Grichton. P 290, 291. London, 1907.

(٢) معناها : الخدام . وفي الصحاح ٦ / ٢٤٥٩ « وهم الذي يعملون للناس بطعام بطونهم »

(فالحرمازيون) خالفوا العرب عامة في كون النون معتقب الإعراب كما حذفوا ياء النسب في مقتوى . ويقول سيبويه في ذلك : « وليس كل العرب تعرف هذه^(١) الكلمة » أما شاهد لغة عامة العرب تقول شمر : « المقتوون : الخدم . واحدهم مقتوى وأنشد :

أرى عمرو بن ضمرة مقتوىاً

له في كل عام بكرتان

ولقد علل الرضى مخالفة (بنى الحرماز) لبقية العرب في هذه الصيغة ، ولعل تعليله هذا يبرر موقف بنى الحرماز من استعمال تلك الصيغة الشاذة^(٢) على أن كثرة الشذوذ التي كثرت في هذا الباب مردها إلى تدرج اللغة وتطورها .

كما يمكن لمخ درجات التطور في لواحق الجمع وما أشبهه في شرط النحاة لجمع المذكر « أن يكون عاقلاً^(٣) » وبالنظر لآيات القرآن المعجز نراها قد تضمنت أبنية لجمع المذكر السالم لغير العقلاء من ذلك :

١ - « والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »

٢ - « قالتا آتيننا طائعين » ٣ - « لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين » .

كما نجد ألفاظاً كثيرة تفتقر إلى العقل الذي يشترط لجمع المذكر السالم - نجدها جمعت بالواو والنون والياء والنون ، كإعراب الجمع السالم^(٤) ، ومن ذلك ألفاظ العقود^(٥) ، كما أن جمع المذكر السالم في كل من الحبشية والأكدية والعبرية والسريانية وغيرها لا يصاغ للعقلاء وخدمهم ، بل يشمل غير العقلاء :

(أ) في العبرية تجمع (אֱלֹהִים . إله)

على (אֱלֹהִים . إله)

كما تجمع (אֱלֹהִים . إله)

(Keber) كبش على (אֱלֹהִים . إله)

(Kvashim) كباش

(ب) وفي الحبشية تجد hadas حديث أو جديد وجمعها hadasan

(١) الكتاب ٢ - ١٠٣

(٢) انظر النحو والصرف بين التميميين والحبازيين د . الشريف عبد الله الحسني : رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة بجامعة أم القرى . وانظر صيغة أخرى لأعرابي من قبيلة (غني) . وآخر لأعرابي (قيس) في بحثنا بمجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بمكة المكرمة عدد ٦ وعنوانه « دراسة حول ثلاثة مصطلحات في دراسة اللهجات » ص ٨٣ هامش .

(٤) الطمع ١ / ١٥٥ فما بعدها . تحقيق د . سالم .

(٣) انظر كتب النحو العربي

(٥) المرجع السابق ١ / ١٥٦

(ج) وفي الأكادية تجمع alu «مدينة»
alamu مُدُن .

فهذا وغيره يؤكد عدم وضع جمع
المذكر السالم للعقلاء أصلاً^(١) كما يرى ذلك
علماء النحو العربي - أما الواو والنون أو
الياء والنون فهي تدل على جمع العقلاء وغيرهم
كما سبق ذلك في العربية والساميات ، ثم
تطور هذا الجمع في العربية أخيراً وتخصص
للعقلاء .

وهناك تعليقات كثيرة في كتب النحو لما
حذفت لامه وكان مؤنثاً وكان لام الفعل
حرف عله ، وجمع بالواو والنون أو
الياء والنون مثل : ثبة وظبة ومئة ورثة
وسنة وعضة وعظة وعزة ، فقد قالوا « فإذا
أدخل في جمع - الواو والنون - شيء ما
ليس مذكراً عاقلاً ، مثلاً ذكرت لك
فإن ذلك كما يقول ابن جني حظ نالته
تلك الألفاظ ، وفضيلة خُصت بها ، فلهذا
صار جمع ثبة ومئة وسنة ونحو ذلك
بالواو والنون تعويضاً لها من الجهد والحذف
اللاحق بها » .^(٢)

والنون فقيل : أرضون عوضاً عن حذف تاء
التأنيث ، لأن الأصل أن تقول في أرض :
أرضة فلما حذفت التاء جمعت بالواو والنون
عوض عنها كما يرى ابن جني أنهم جمعوا
هذه الألفاظ جمع مذكر سالماً ، وإن كانت
الواو المذكر العاقل ، وهذه مؤنثة غير
ذات عقل ، ولكنهم فعلوا ما فعلوا توسعاً ،
وعلى ضرب من التأويل ، فإن جاء له نظير
فقد عرفت طريقة ، وإن لم تسمع له
نظير لم تقس عليه غيره ، لأنه لم ينفذ في
بابه^(٣) .

والمعروف في جمع هذه الصيغ أن
تكون بالألف والتاء؛ قالوا في سنة (سنوات)
وفي ثبة (ثبات) وقلات ومئات هذا هو
الوجه في جميعها؛ لأنها أسماء مؤنثة بالتاء .
ومال بعض العلماء في علة جمع أرض على
(أرضون) أن ذلك على سبيل الاستعظام
كقول الشاعر :

لقد ضجت الأرضون إذ قام من بني
سدوس خطيب فوق أعواد منبر

وبعضهم يعلل هذه المؤنثات السابقة بالواو
والنون فقال : إنما جمعت أرض بالواو

(١) مشكلات لغوية ٧٨ د . شوقي النجار . ط أولى . تهامة .

(٢) مشكلات لغوية ٨٨ نقلا عن سر صناعة الإعراب ٢ / ٤٥٦ مخطوطة برقم ١٩٧ لغة تيمور وانظر :

Palmer E.H., A. Grammar of Arabic Language P. 107. London, 1984 .

ولم الأداة في أصول النحو ١٣٤ للأنباري . تحقيق سعيد الأفغاني - ط الجامعة السورية

(٣) مشكلات لغوية ٩٢ نقلا عن : سر صناعة الإعراب ٢ / ٤٦٨ .

كما علل ابن جني (١) جمع تلك الملاحقات المؤنثات بالواو والنون لغرض قصدوه قصداً ، وهو إعلام السامع أن هذه الكلمات ليست كغيرها مما لم يجمع بالواو والنون من المؤنث ، وإن ذلك عادة عندهم متى أرادوا أن يعلموا اهتمامهم بأمر وعنايتهم به أخرجوه عن بابيه ، وأزالوه عما عليه نظائره .

وخلاصة ما سبق أن اللغات العربية والساميات أخواتها ، مرت بمراحل كانت الواو والنون فيها لاحقة تدخل على المؤنث والمذكر على السواء ، وما كانت هذه اللاحقة تعني جنساً ، وإنما كانت تعني الجمع أو الكثرة (٢) ، ثم بعد ذلك بفترات تاريخية طويلة تحددت هذه الواو لإفادة معنى الجمع والكثرة في المذكور

(١) مشكلات لغوية ٩٤

(٢) في العربية والعبرية والسريانية كثير من المؤنثات جمعت جمعاً مذكراً في العبرية

מַלְאִים

n'malim

n'mālā نَمَلَة . وجمعها

מַלְאִים

מַלְאִים بمعنى كلمة وتجمع على مַלְאִים

وفي السريانية تجمع كلمة melta على melle . كما رأينا في الساميات كلمات جمعت مرة جمعاً مؤنثاً وأخرى

جمعاً مذكراً ، فقد جمعت العبرية

nāhār

נָהָר

n'hārott وفي السريانية Roha

וְנָהָרִים

n'hārim

נָהָרִים

نهر على

روح وجمعها Rohata أو Rohe وفي العربية : أرض وجمعها : أرضات وأرضون . انظر : مشكلات لغوية ٩٤ فأبعدها .

الفرق أو الخلاف بين الساميات والاربية
في تلك الواحق إلا من نوع الفروق التي
يحدثها التطور اللغوي في بناء اللغة الواحدة ؛
إذ ليست اللغات السامية إلا فروعاً
للعريق الذي هو العربية .

هذا وقد تنبه الخليل (ت ١٧٥ هـ) إلى مثل
هذا بقوله : « وكنعان بن سام بن نوح ،
ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة
تضارع ^(٢) العربية » كما أدرك ابن حزم ٤٥٦ هـ
وغيره علاقة القرى بين الساميات والعربية
أيضاً ^(٣) .

أحمد علم الدين الجندى
الخير بالمجمع



كما ظهر لنا مما تقدم من البحث وطرقه
ومقارناته أن العربية تجمعها بالساميات
جذور مشتركة وخصائص متقاربة ^(١) ومعنى
ذلك أن الظواهر اللغوية في العربية لم تأت
من فراغ أو موضوعة بعد الإسلام ، ولكن
لها ماض يرجع إلى أكثر من ٢٥٠٠ ق . م

كما أن هذه الدراسة أكدت التشابه بين
اللغات السامية ، ومنها العربية ، كما وضحت
الصلات اللغوية بينها في لواحق المثني والجمع
والأسماء الستة والأفعال الخمسة ، وليس

(١) كما ثبت أن الأنظمة الاجتماعية والعقائد الدينية عند الساميين تكاد تكون واحدة . انظر : حضارة
مصر والشرق القديم ٣٧٧ د . إبراهيم زرقانة وآخرون .

(٢) كتاب العين ١ / ٢٣٢ للخليل بن أحمد . تحقيق د . عبد الله درويش

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ١ / ٣٠ فما بعدها وانظر البحر المحيط ٤ / ١٦٢ في توافق الحبشية والعربية
في القواعد وبعض التراكييب النحوية كجروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية . وانظر .

Moscatti and others, An introduction to the Comparative Grammar of the Smetic
Languages, P. 142 ; oP. cit. P. 85.

وانظر : البراهين الحسية على تقارص السريانية والعربية : أغناطيوس يعقوب الثالث

مصادر جلال الدين السيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للدكتور رمضان عبد التواب

كتاب

«المزهر في علوم اللغة
وأنواعها» أشهر كتب

جلال الدين السيوطي اللغوية ، بل إنه
أشهر كتب فقه اللغة في العربية ، جمع
فيه مؤلفه حصاد القرون الطويلة ،
التي سبقته في الدراسات اللغوية عند العرب ،
واستوعب فيه كل ما وصلت إليه يده
من مؤلفات السابقين ، في القضايا التي
أثارها في كتابه ، بدءاً من حديثه عن أصل
اللغة ونشأتها ، ومروراً بطرق تحمل العلم
باللغة ، ومعرفة الفصح والمطرود والشاذ
والنادر ، والمعرب والمولد ، وخصائص
العربية في ظواهر الاشتقاق والحقيقة والحجاز
والمشترك والتضاد والترادف ، والإتباع
والإبدال ، والقلب والنحت ، والمثنى
والمكنى والمبنى ، والملاحن والألغاز ،
والأشباه والنظائر... وانتهاء بالحديث
عن آداب اللغوي ، ومعرفة ما ينتاب
كتابة اللغة من التصحيف والتحريف ،

وطبقات اللغويين وأسمائهم وكناهم وألقابهم
وأنسابهم ، وأغلاط الشعراء والرواة
وأكاذيب الأعراب ، وما إلى ذلك .

ولقد بلغت مصادر السيوطي في هذا
الكتاب مئتي مصدر، يعود أقدمها إلى القرن
الثاني الهجري ، كالعين للخليل بن أحمد
الفراهيدي ، وأحدثها إلى الفيزوزابادي
المتوفى (سنة ٨١٧ هـ) قبل السيوطي
بحوالي قرن من الزمان .

وقد أتى السيوطي على الكثير من محتويات
بعض هذه الكتب ، فنقلها إلى مزهره
فقد نقل أكثر ما في كتاب «الإبدال»
لابن السكيت ، ثم قال : «هذا غالب
ما أورده ابن السكيت ، وبقيت منه
أحرف أخرى ، أخرتها إلى النوع السابع
والثلاثين والذي يليه - وفات ابن السكيت
ألفاظ جملة مفرقة في كتب اللغة . ومن

أهم ما فاته الإبدال بين السين والصاد ؛
نحو : السراط والصراط^(١) .

ومعنى هذا النص أن السيوطي ، لم
يكن ينقل ما في مصادره ، نقلا عشوائيا ،
ولما هو نقل واع يتبع منهجا وتخطيطا
بالغ الدقة .

ومثل ذلك أيضا نقله ما ذكره
الفيروزابادي من أسماء العسل في كتابه :
« تريق الأسل لتصفيق العسل » ، وقوله
بعد أن انتهى منه : « قلت : ما استوفى
أحد مثل هذا الاستيفاء ، ومع ذلك فقد
فاته بعض الألفاظ^(٢) » ، ثم استكمل
هذه الألفاظ من أمالي القالي ، وأمالي
الزجاجي^(٣) .

ويشبه هذا أيضا صنيعه مع كتاب
« المشي والمنبى » لابن السكيت ؛ فقد نقل
منه عشر صفحات كاملة ، ثم قال :
« هذا ما أورده ابن السكيت في هذا الباب ،
وقد جمع فأوعى ، ومع ذلك فقد فاته

ألفاظ^(٤) » وقد استدرك السيوطي هذا
الفئات من ديوان الأدب ، والغريب
المصنف ، والجمهرة ، وغيرها .

وأحيانا ينقل السيوطي فصولا كاملة
من مصادره ، كما فعل ذلك حين
نقل الفصلين الرابع والخامس من كتاب
« لمع الأدلة » لأبي البركات بن الأنباري
(٨٣ - ٨٤) بالحرف الواحد^(٥) وكما فعل
في باب : « ذكر ما جاء في فعالة » ؛ إذ
نقله كله من « الغريب المصنف » لأبي عبيد
وقال في آخره : « هذا جميع ما في الغريب
المصنف »^(٦) .

وفي بعض الأحيان يلخص السيوطي
ما في مصادره تلخيصا شديدا ، كما فعل
حين تلخص كتاب « مراتب النحويين »
لأبي الطيب اللغوي ، في عشرين صفحة ،
وقال في آخرها : « انتهى كلام أبي الطيب
في كتاب مراتب النحويين ملخصا^(٧) »
وهو لا يغفل الإشارة إلى ما تلخصه من نصوص
مصادره ، كما رأينا في العبارة السابقة

(١) المزهر ١ / ٤٦٩

(٢) المزهر ١ / ٤٠٩

(٣) في الأصل : « الزجاج » وهو تحريف

(٤) المزهر ٢ / ١٨٢

(٥) المزهر ١ / ١١٣ - ١١٤

(٦) المزهر ٢٠ / ١١٩ - ١٢٠

(٧) المزهر ٢ / ٣٩٥ - ٤١٤

وكقوله في موضع آخر مثلاً : « انتهى
كلام ابن جني ملبخاً (١) »

نقل عنه اثنتي عشرة صفحة ، وقال :
« انتهى ما أورده ابن جني (٢) » :

ومن أمثاله النقل المطول عن المصادر نقله
رسالة في حوالى ثلاثين صفحة (٣) ، من ديوان
رسائل الشريف أبي القاسم علي بن الحسين
المصري ، في الألفاظ اللغوية ، ثم نقله
المقامة الثانية والثلاثين في الألفاظ من مقامات
الحريري كاملة (٤) .

ومع تطويله النقل عن بعض المصادر على
هذا النحو ، نراه لا يستخدم في بعض
الآحيان كل الكتب المتخصصة في الموضوع
الذي يكتب فيه ؛ ففي موضوع « المشجر »
مثلاً ، لم يستخدم السيوطي كتاب :
« المداخل » لأبي عمر الزاهد (٣٤٥ هـ)
ولا كتاب : « المسلسل » لأبي الطاهر
القيسي (٥٣٨ هـ) وفي موضوع « الإتياع »
لم يستخدم كتاب : « الإتياع » لأبي الطيب
اللغوي (٣٥١ هـ) وكذلك في موضوع
« الإبدال » لم يقد من كتاب « الإبدال »
لأبي الطيب اللغوي شيئاً ونراه كذلك في
موضوع « الأمثال » لا يستخدم بعض الكتب

وقد نشر السيوطي كثيراً من مسائل
« الصاحب » لابن فارس ، و « الخصائص
لابن جني ، في مزهره ؛ فقد نقل عن الأول
ست صفحات كاملة في أحد المواضع . ثم
قال : « هذا كله كلام ابن فارس (٥) »
كما أكثر من النقل عنه في افتتاحيات
كثير من أبوابه (٦) وقد نص السيوطي على
استفادته الكاملة من هذا الكتاب ، فقال
مرة : « قلت : قد رأيت نسخة من هذا
الكتاب مقروعة على المصنف ، وعليها
خطه ، وقد نقلت غالب ما فيه في هذا
الكتاب (٧) » كما نقل عن « الخصائص »
كثيراً كذلك ؛ إذ نقل منه ست صفحات
في أصل اللغة . وقال في آخرها : « هذا
كله كلام ابن جني (٨) » وهناك نقل آخر
في سبع صفحات في موضوع : المهمل
والمستعمل ، قال بعده : « انتهى كلام
ابن جني (٩) » وفي باب : سقطات العلماء

-
- (١) المزهر ١ / ٣٥٩
 - (٢) المزهر ١ / ٦٦ - ٧١
 - (٣) المزهر ١ / ٣٢١ - ٢٤٥
 - (٤) المزهر ١ / ٤٠٣
 - (٥) المزهر ١ / ١٠ - ١٦
 - (٦) المزهر ١ / ٢٤٠ - ٢٤٧
 - (٧) المزهر ٢ / ٣٦٩ - ٣٨١
 - (٨) المزهر ١ / ٥٩١ - ٦٢١
 - (٩) المزهر ١ / ٦٢٢ - ٦٣٥

المهمة ؛ مثل : « جمهرة الأمثال » لأبي
هلال العسكري (٣٩٥ هـ) و « مجمع
الأمثال » للميداني (٥١٨ هـ) و « المستقصى »
للزنجشیری (٥٣٨ هـ) وغير ذلك .

وتنقسم مصادر السيوطی فی مزهره ، إلى
أنواع شتى من حيث التخصص ، على النحو
التالى :

١- كتب فی فقه اللغة ، كالمصاحبي فی
فقه اللغة لابن فارس والخصائص لابن جنى .

٢- معاجم عربية مرتبة على الموضوعات
مثل الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام
وفقه اللغة للثعالبي^(١) أو مرتبة على الخارج ، مثل
العین للإخلیل بن أحمد . ومختصره لأبي
بكر الزبيدي ، وتهذيب اللغة للأزهري ،
والمحكم والمحیط الأعظم لابن سيده ،
واستدرالك الغلط الواقع فی كتاب العین للزبيدي
أو مرتبة ترتيبا هجائيا أو على المبانى ، مثل
الصحيح للجوهري والقاموس المحیط للفيروزبادي
والعباب للصاغاني ، وجمهرة اللغة لابن
دريد ، وديوان الأدب للفارابي ، والحجمل
لابن فارس .

٣- كتب لغوية متخصصة فی موضوع
واحد ، مثل : الإبدال لابن السكيت
والأيام والليالي للفراء ، وما يوافق لفظه

واختلف معناه للمبرد ، والمقصود والممدود
لابن ولاد والأضداد لأبي بكر بن الأنباري
والإنباع لابن فارس ، وشجر الدر لأبي
الطيب اللغوي ، والمقصود والممدود لأبي علي
القلي ، وما جاء على فعال للصاغاني ، والمثنى
لأبي الطيب اللغوي ، والموازنة لحمزة بن
الحسن الأصفهاني ، وخلق الإنسان للصاغاني
والأجناس للأصمعي ، والمقصود والممدود
لابن السكيت والفروق لأبي الطيب اللغوي
والأصوات لابن السكيت والليل والنهار لأبي
حاتم السجستاني .

٤- كتب فی النحو والصرف ، مثل
الكتاب لسيبويه ، وأصول النحولان السراج
وارتشاف الضرب لأبي حيان ، والتسهيل
لابن مالك ولمع الأدلة لأبي البركات بن الأنباري
وشرح التسهيل لأبي حيان ، وشرح
السعادة للسخاوي ، والإنصاف لأبي البركات
ابن الأنباري ، وشرح فصول ابن معط لابن
إياز والغرة فی شرح اللمع لابن الدهان ،
وشرح المفصل للسخاوي ، وشرح الشافية
للجاربردي .

٥- كتب فی لحن العامة ، مثل إصلاح
المنطق لابن السكيت ، وتهذيبه للخطيب
التبريزي وأدب الكاتب لابن قتيبة وشرحه
للجواليقي والزجاجي ، والفصيح لشعيب ،
وشروحه لابن درستويه والمرزوقي وابن
خالويه والبطلاني ، وذيل للموفق البغدادی

(١) يلاحظ أن السيوطی لم يستخدم دمجها مهما من معاجم الموضوعات ، وهو « المختص » لابن سيده .

٦ - كتب الأمالى ، مثل أمارى ثعلب
المعروفة بمجالس ثعلب ، والأمالى لأبى على
القالى ، وأمالى الزجاجى ، وأمالى ابن دريد
وأمالى أبى عبيد .

٧ - كتب النوادر ، كالكتب التى ألفها
كل من أبى زيد الأنصارى وأبى محمد
اليزيدى ، وابن الأعرابى ، ويونس بن
حبيب ، وأبى عمرو الشيبانى والنجاشى .

٨ - دواوين الأدب والمجاميع الشعرية
مثل يتيمة الدهر للثعالبي ، والأغانى لأبى
الفرج الإصفيهانى ، والكامل للمبرد ، وشرح
المعلقات لأبى جعفر النحاس ، وربيع الأبرار
للزنجشورى ، ومقامات الحريرى ، ونشوار
المحاضرة للتونجى ، وشرح شعر هذيل للسكرى
والحمقى والمغفلين لابن الحوزى ، وجمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبى الخطاب ،
وأيام العرب لأبى عبيدة ، وشروح المقامات
للمطرزى والنحاس وسلامة الأنبارى ،
وشرح كامل المبرد لأبى إسحاق البطائوسى .

٩ - مجاميع أمثال العرب ، مثل : الزاهر
فى معانى كلمات الناس لأبى بكر بن الأنبارى
وجامع الأمثال لأبى على أحمد بن إسماعيل
القمى .

١٠ - كتب فى البلاغة والنقد القديم
مثل : الإيضاح للقزوينى ومنهاج البلغاء
لحازم القرطاجنى ، وسر الفصاحة لابن

سنان ، والعمدة لابن رشيق ، وعروس
الأفراح لبهاء الدين السبكى ، والطريق إلى
الفصاحة لابن النفيس .

١١ - كتب فى الأصول والفقه ، مثل
شرح منهاج الأصول للإسنوى ، والمحصل
لفخر الدين الرازى ، والوصول إلى الأصول
لأبى الفتح بن برهان ، وشرح منهاج
البيضاوى لتاج الدين السبكى وشرح
المحصل للقرافى والمخلص فى أصول الفقه
للقاضى عبد الوهاب السبكى ، والروضة
للإمام النووى .

١٢ - كتب فى التفسير ؛ مثل : تفسير الطبرى
والبحر المحيط للزركشى ، والتفسير لوكيع
والتفسير لابن جزى .

١٣ - كتب فى الحديث ، مثل : صحيح
البخارى ، وأصحيح مسلم ، والمستدرک للحاكم
وشعب الإيمان للبيهقى ، وغريب الحديث لأبى
عبيد القاسم بن سلام ، والأدب المفرد
للبخارى ومسنده أحمد بن حنبل .

١٤ - كتب فى التراجم والطبقات مثل
طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وأخبار
النحويين البصريين للسيرافى ، وطبقات
الشعراء لابن المعتز ، ومعجم الأدباء
لياقوت الحموى ومراتب النحويين
لأبى الطيب اللغوى ، وطبقات النحويين
للغويين للزبيدي ، ومن سمي عمرآ من
الشعراء لابن الجراح ، والمؤتلف والمختلف
للأمدى .

١٥- كتب تاريخية ، مثل : تاريخ دمشق لابن عساكر ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ حلب للكامل بن العديم وتاريخ المسعودي (مروج الذهب) وذيل تاريخ بغداد لابن النجار .

هذه هي جمهرة المصادر التي رجع إليها جلال الدين السيوطي في تأليف موسوعته اللغوية : « المزهري في علوم اللغة وأنواعها » وبعض هذه المصادر مفقود لا وجود له الآن ، مثل الأجناس للأصمعي ، والأصوات لابن السكيت والليل والنهار لأبي حاتم السجستاني والفروق لأبي الطيب اللغوي ، وشرح الفصيح لابن خالويه ، وأيام العرب لأبي عبيدة والنوادر لأبي عمرو الشيباني والنوادر لليونيس بن حبيب . وهذا الكتاب الأخير كان قليل الوجود في عصر ابن مكتوم (٧٤٩ هـ) ؛ إذ قال عنه السيوطي في المزهري : « وفي النوادر لليونيس رواية محمد بن سلام الحمصي عنه - وهذا الكتاب لم أقف عليه ، إلا أني وقفت على متقى منه بخط الشيخ تاج الدين بن مكتوم النحوي وقال عنه إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود » (١) .

وبعض مصادر السيوطي في مزهره لا يزال مخطوطا ينتظر من يحققه وينشره

وينفض غبار الزمن عنه مستعينا على تحقيقه بالنصوص التي اقتبسها السيوطي منه ، مثل الموازنة لحمزة بن الحسن الإصفهاني وشرح المفصل للسخاوي وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ومن المصادر المخطوطة ما هو تحت الطبع بعد أن اشتغل بتحقيقها بعض المعاصرين مثل العين للخليل بن أحمد ، والمقصود والممدود للأبى والغريب المصنف لأبي عبيد وارتشاف الضرب لأبي حيان وسفر السعادة للسخاوي والأمالى لابن درياء والنوادر لابن الأعرابي .

ومن المصادر ما رآه السيوطي ثم افترقه في أثناء تأليفه للمزهر كهذا الكتاب الذي ذكره في النوع السابع والثلاثين في معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيح فقال « وقد رأيت من عدة سنين في هذا النوع مؤلفا في مجلد لم يكتب عليه اسم مؤلفه ولا هو عندي الآن حال تأليف هذا الكتاب ورأيت لصاحب القاموس تأليفًا سماه تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين ولم يحضر عندي الآن . فأعملت فكري في استخراج أمثلة ذلك من كتب اللغة (٢) .

وكتاب « فتيا فقيه العرب » لابن فارس الذي نشره حسين علي محفوظ بدمشق

(١) المزهري ٢ / ٢٨٩

(٢) المزهري ١ / ٥٣٧

سنة ١٩٥٨ كان عند السيوطي كذلك ، ثم
افتقده عند تأليف المزهري فقال : « وقد ألف
ابن فارس تأليفا لطيفا في كراسة ، سماه
بهذا الاسم (فيتا فقيه العرب) رأيت قديما
وليس هو الآن عندي . . فنذكر ما وقع
من ذلك في مقامات الحريري ثم إن
ظفرت بكتاب ابن فارس ألحقت ما فيه (١)
ويبدو أن السيوطي لم يظفر بهذا الكتاب
مرة أخرى ، حتى مات رحمه الله .

ومثل ذلك يتحدث السيوطي عن كتاب
« ليس في كلام العرب » لابن خالويه
فيقول في باب معرفة الأشباه والنظائر (٢) هذا
نوع مهم ينبغي الاعتناء به فيه تعرف نوادر
اللغة وشواردها ولم يقوم به إلا مضطجع
بالفن واسع الاطلاع ، كثير النظر والمراجعة
وقد ألف ابن خالويه كتابا حافلا في ثلاثة
مجلدات ضخمة ، سماه كتاب ليس ، موضوعه
ليس في اللغة كذا إلا كذا ، وقد طالعت

قديما وانتقيت منه فوائد وليس هو بحاضر
عندي الآن وأنا أذكر إن شاء الله في هذا
النوع ، ما يقضي الناظر فيه العجب وآت
فيه ببدايع وغرائب إذا وقف عليها الحافظ
المطلع يقول هذا منتهى الأرب .

وهذا أحد المواضع التي يظهر فيها أسلوب
السيوطي في التقديم لأبواب المزهري المختلفة
أما الفوائد التي انتقاها من كتاب « ليس »
لابن خالويه قديما فتظهر منشورة هنا وهناك
في المزهري ومنها في أحد المواضع اثنتا عشرة
صفحة ، قال في آخرها : « هذا آخر المنتقى
من كتاب ليس لابن خالويه (٣) » .

وبعض مصادر المزهري كانت عند السيوطي
بخطوط مؤلفيها ، فقد ذكر أنه رأى تاريخ
حلب الكمال بن العديم بخطه (٤) كما كانت عنده
تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم القيسري
خطه (٥) وكانت عنده ثلاثة كتب للنجمي كلها
خطه وهي التعليق (٦) والفوائد (٧) والنوادر (٨)
كما نقل « من خط الشيخ بدر الدين الزركشي في
كراسة له سماها : عمل من طب لمن حب » (٩) .

(١) المزهري ١ / ٢٢٢

(٢) المزهري ٢ / ٣

(٣) المزهري ٢ / ٧٨ - ٩٠

(٤) المزهري ٢ / ٢٢٥

(٥) انظر : المزهري ١ / ٢٧٥ ؛ ١ / ٤٢١

(٦) المزهري ١ / ٣٨٢

(٧) المزهري ٢ / ٣٠٤

(٨) المزهري ٢ / ٢٩١

(٩) المزهري ٢ / ٣٦٦

وتبلغ نسبة النصوص المنقولة عن كتب
منقودة ، في المزهري حوالى ٤٠٪ من حجم
الكتاب . ومن هنا تبدو قيمة كتاب المزهري
للسيوطى الذى حفظ لنا نصوصا كثيرة
ضاعت أصولها ولم تصل إلينا وهو فى مثل
هذه النصوص يعد مصدراً أصيلاً فى البحث
العلمي .

وتختلف معاملة السيوطى لمصادره من
مؤلف إلى مؤلف فهو أحيانا ينقل نقلاً
حرفياً ما أمامه من نصوص فى مصادره
مثلاً ذكرناه من قبل ، من نقله النصليين
الرابع والخامس من كتاب « لمع الأدلة »
لابن الأنباري ، بالحرف الواحد .

وأحيانا يتصرف ويقدم ويؤخر ، ويحذف
ويختصر ، كما فعل فى باب « الأضداد^(١) »
الذى نقله من كتاب « الغريب المصنف » لأبي
عبيد القاسم بن سلام فإننا إذا طالعنا هذا
الكتاب الأخير ، رأينا أبا عبيد يروى فى
باب الأضداد منه عن أبي زيد ، ثم عن
اليزيدى ، ثم عن عن أبي زيد مرة ثانية . ثم
عن الأصمعى ، ثم عن أبي عبيدة ، ثم عن الكسائى
ثم عن أبي زيد مرة ثالثة ، ثم عن الكسائى
مرة ثانية ، ثم عن الأموى ، ثم عن الأصمعى
مرة ثانية ، ثم عن أبي عبيدة مرة ثانية ،

ثم عن أبي عمرو ، ثم عن أبي عبيدة مرة
ثالثة ثم عن الأحمر ، ثم عن الأصمعى مرة
ثالثة ، ثم عن أبي عبيدة مرة رابعة ثم عن
الأصمعى مرة رابعة ثم عن أبي عبيدة مرة خامسة
ثم عن الكسائى مرة ثالثة . وهكذا ينتهى الباب .

أما السيوطى فإنه جمع آراء كل عالم
بعضها إلى بعض فبدأ بأبي زيد فالأصمعى
فأبي عبيدة . فالكسائى ، فالأموى ، فأبي عمرو ،
فالأحمر . أما أبو عبيد فإنه كان — فيما يبدو
يدون فى غريبه المصنف ما سمعه من شيوخه
حسبما كان يقع إليه هذا المسموع يوماً بعد
يوم . هذا إلى أن السيوطى ، حذف كلام
اليزيدى ، والشواهد الشعرية المختلفة التى
يمتلى بها الغريب المصنف فى هذا الباب .

وبعد . . . فماذا للسيوطى فى كتابه :
« المزهري » ؟ إن له أولاً فضل جمع الجزئيات
الصغيرة من هنا وهناك . فى الموضوع الذى
يكتبه . وهو يعزو كل قول إلى صاحبه فى
أمانة علمية فائقة وإذا كانت تلك عادته فى
كل نقوله هنا وهناك ، فإننا لا ندرى السر
الذى جعله يجهل مصدره فى تلك المواضع
القليلة جداً فى كتابه ، كقوله مثلاً : « وقال
بعضهم^(٢) » ، أو : « وفى بعض المجاميع^(٣) » أو

(١) المزهري ١ / ٣٨٩ - ٣٩١

(٢) المزهري ١ / ٩٤ ؛ ١ / ٢٧٤ ؛ ٢ / ٢٨٦ وفى الموضوع الأخير ذكر السيوطى قصيدة توجد فى المقامة
السادسة والأربعين من مقامات الحريري ، وهى المقامة الحلبية . ولا ندرى السر فى إغفاله مصدره هنا ؟

(٣) المزهري ٢ / ٣٦٨

« قال أهل الأصول^(١) » ، أو « قال المعري
في بعض كتبه^(٢) » ، أو : « قال صاحب زاد
المسافر^(٣) » أو : « رأيت لهذه الأبيات شرحا
في كراسة^(٤) » :

ولم يخل كتاب : « المزهري » بالإضافة إلى
هذا الجمع الدعوى ، والترتيب المعجب
الرائق ، من خطرات هنا وهناك للمؤلف
تعزى إليه وحده ، وهي في بعض الأحيان
رأى له ، واجتهاد وصل إليه بثاقب فكره
وطول خبرته بالغة .

فهو يدخل أحيانا بجمل اعتراضية ؛ تفسر
مبهما ، أو تشرح غامضا أو تضعيف جديدا
كقوله مثلا : « وقال ابن جني في الخصائص
وكان هو وشيخه أبو علي الفارسي معتزليين^(٥)
وتوضيحه اسم إسماعيل بن القاسم البغدادي
بأنه « هو أبو علي القالي^(٦) » ، وتعليقه على
تعليم آدم للملائكة أسماء الأشياء ، بأن « في
هذا فضيلة عظيمة ، ومنقبة شريفة لعلم
اللغة^(٧) » ، ووصفه الراغب الإصفهاني بأنه
« من أئمة السنة والبلاغة^(٨) » ، وتعليقه على
قول السيرافي إن الخليل بن أحمد
عمل أول كتاب العين ، بأن « هذه

العبارة من السيرافي صريحة في أن
الخليل لم يكمل كتاب العين ، وهو الظاهر
لا سيأتي من نقل كلام الناس في
الطعن فيه ، بل أكثر الناس أنكروا كونه
من تصنيف الخليل^(٩) » .

وليست كل تعليقات السيوطي على هذا
النحو من الاختصار . وهذه تعليقة طويلة
يعرفنا فيها بقراءته لكتاب : « استدراك الغلط
الواقع في كتاب العين لازببدي » ويذكر لنا
محتواه ، فيقول « قلت : وقد طالعت إلى
آخره ، فرأيت وجه التخطئة فيما خطئ
فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق
كذكر حرف مزيد في مادة أصلية ، أو مادة
ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك . وبعضه
ادعى فيه التصحيف . وأما أنه يخطأ في لفظة
من حيث اللغة ، بأن يقال : هذه اللفظة
كذب ، أو لا تعرف ، فعاذ الله . وحينئذ
لا قدح في كتاب العين ، لأن الأول الإنكار
فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف
وهذا أمر هين ، لأن حاصله أن يقال :
الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب ،
وإيرادها في هذا الباب ، وهذا أمر سهل
وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل
ذلك ، إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب

(١) المزهري ١ / ٣٦٨ ؛ ١ / ٣٨٧ ؛ ١ / ٤٠٥

(٣) المزهري ٢ / ٣٥١

(٥) المزهري ١ / ١٠

(٧) المزهري ١ / ٣٠

(٩) المزهري ١ / ٧٦

(٢) المزهري ٢ / ١٠٥

(٤) المزهري ١ / ٣٨٠

(٦) المزهري ١ / ٨٣

(٨) المزهري ١ / ٢٠١

والاعتماد عليه في نقل اللغة. والثاني : إن سلم ما ادعى من التصحيح ، يقال فيه ما قالته الأئمة : ومن ذا الذي سلم من التصحيح ؟ مع أنه قليل جداً (١) .

ولا تخلو تعليقات السيوطي من الرد على ما لم يعجبه من آراء العلماء ، وتفنيدها بالحجج والبراهين ، مثلاً رد على ابن جنى قدحه في جمهرة اللغة لابن دريد ، فقال : « قلت مقصوده الفساد من حيث أبنية الصرف ، وذكر المواد في غير محالها . ولهذا قال أعذر واضعته فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر يعني أن ابن دريد قصير الباع في التصريف ، وإن كان طويل الباع في اللغة وكان ابن جنى في التصريف إماماً لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك (٢) » .

وكما رد على الأزهرى قدحه في ابن دريد ورميه بافتعال العربية وتوليد الألفاظ ، وأنه سأل عنه نفطويه ، فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، فقال : « قلت : معاذ الله هو برىء مما رمى به . ومن طالع الجمهرة رأى تحريره في روايته ، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يعرف منه ذلك . ولا يقبل فيه طعن نفطويه لأنه كانت بينهما منافرة عظيمة . وقد تقرر

في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح (٣) » .

وكذلك رد على الفخر الرازي ، حين ذكر أن أهل اللغة أهملوا البحث عن أحوال اللغات ورواتها جرحاً وتعديلاً ، فقال : « وأقول : بل الجواب الحق عن هذا ، أن أهل اللغة والأخبار ، لم يهملوا البحث عن أحوال اللغات ، ورواتها جرحاً وتعديلاً ، بل فحصوا ذلك وبينوه ، كما بينوا ذلك في رواية الأخبار . ومن طالع الكتب المؤلفة في طبقات اللغويين والنحاة وأخبارهم ، وجد ذلك . وقد ألف أبو الطيب اللغوى كتاب : مراتب النحويين ، بين فيه ذلك ، وميز أهل الصدق ، من أهل الكذب والوضع (٤) » .

وحين قال أبو الطيب في هذا الكتاب عن أبي عبيد القاسم بن سلام : « ولا نعلمه سمع من أبي زيد شيئاً » رد عليه السيوطي فقال : « قلت : قد صرح في عدة مواطن من الغريب المصنف ، بسماعه منه (٥) » .

وتبدو سعة علم السيوطي ، حين يهمل مصدره تفسير شيء ما ، فيعثر عليه السيوطي مفسراً في كتاب آخر فيذكره ، كقوله

(١) المزهر ١ / ٨٦

(٢) المزهر ١ / ٩٣

(٣) المزهر ١ / ٩٣ - ٩٤

(٤) المزهر ١ / ١٢٠

(٥) المزهر ٢ / ٤١٢

مثلاً : « وقال ابن ولاد في المتصور والممدود
عُشُوراً بضم العين والشين ، زعم سيبويه أنهم
يعلم في الكلام شئ على وزنه ، ولم يذكر تفسيره
قلت ذكر القالي في كتاب : المتصور والممدود
أن العشورا : العاشوراء . قال : وهي
معروفة (١) »

وهو كثير التخريج لنصوص مصادره
من أجل توثيقها ، فقد خرج في أحد
المواضع مجموعة من الأخبار التي نقلها من
كتاب « الصاحبي » لابن فارس في المصاحف
لابن أشته ، والمستدرک للحاكم ، والأوائل
لأبي هلال العسكري ، والطبوريات لأبي
طاهر السلفي ، والمصاحف لأبي بكر بن
أبي داود ، ومسنده أحمد بن حنبل (٢) . وفي
موضع آخر ، خرج حكاية رواها عن
تصحيح العسكري ، في معجم الأدباء لياقوت
والحمقي والمغناين لابن الجوزي (٣) .

وهو في تعليقاته حريص كل الحرص على
توثيق نقوله ، يذكر خطوط العلماء الذين
نقل عنهم ، كقوله مثلاً : « وجدت هذه
الحكاية ، مكتوبة بخط القاضي مجد الدين
الفيروزابادي صاحب القاموس ، على ظهر
نسخة من العباب للصغاني ، ونقلها من خطه

تأجلده أبو حامد محمد بن الفضلاء الحنفي ،
ونقلها من خطه (٤) » . بل إنه ليعلمنا في
بعض هذه التعليقات ، بملكيته لنسخة ثمينة من
جمهرة اللغة مقروعة على العلماء . فيقول :
« قلت : ظفرت بنسخة من الجمهرة بخط أبي
المر أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس
الطرابلسي اللغوي ، وقد قرأها على ابن
خالويه ، بروايته لها عن ابن دريد ، وكتب
عليها حواشي من استدراك ابن خالويه على
مواضع منها ، ونبه على بعض أوهام
وتصحيفات (٥) » . وهو في أحد المواضع
يقابل نسختين من كتاب الجمهرة ، فيقول :
« وقال ابن دريد في الجمهرة : باب ما تكلمت
به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغز ،
وفي نسخة . حتى صار كاللغة (٦) » .

ويبدو في بعض تعليقات السيوطي ،
استدراكه المكمل لبعض المؤلفات السابقة ،
فقد استدرك على القاموس المحيط أشياء
وقال : « قلت : ومع كثرة ما في القاموس
من الجمع للنوادر والشوارد ، فقد فاته
أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب
اللغة ، حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلا
عليه (٧) » . كما استدرك على كتاب « الإتياع »

(٢) المزهر ٢ / ٣٤١ - ٣٤٣

(٤) المزهر ١ / ٩٥

(٦) المزهر ١ / ٢٧٩ وفي الجمهرة ٣ / ٤٩٩ : « كاللغة » .

(٧) المزهر ١ / ١٠٣

لابن فارس ، وقال : « وقد ألف ابن فارس تأليفا مستقلا في الإتياع ، وقد رأيت مرتبا على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره . وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته . في تأليف لطيف سميته : الإتياع في الإتياع ^(١) »

وهو أحيانا يذكر الأقوال المناظرة لما هو فيه ، فبعد أن ذكر عن « الصاحب » لابن فارس ، أن ابن خالويه قال : جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين ، قال « قالت . ونظير ذلك في فقه اللغة للثعالبي : قد جمع حمزة بن الحسن الإصبهاني من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة ، وذكر أن تكاثر أسماء الدواهي من الدواهي . قال : ومن العجائب أن أمة وتسمت معنى واحدا بمئين من الألفاظ ^(٢) » .

ونرى من بعض تعاليقات السيوطي ، كيف أن علمه — رحمه الله — كان ينمو بكثرة الاطلاع على المصادر المختلفة بمرور الأيام ، فهذه فائدة استفادها من جمهرة اللغة . كان قد سئل عنها فلم يعرفها ، يقول : « وهذه فائدة لطيفة ، لم أرها إلا في الجمهرة ، فكانت العرب تسمى : صفر الأول وصفر الثاني ، وربيع الأول وربيع الثاني ، وجهادي

الأولى وجهادي الآخرة : فلما جاء الإسلام وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسيء ، سماه النبي صلى الله عليه وسلم شهر الله المحرم . . وبذلك عرفت النكتة في قوله : شهر الله ولم يرد مثل ذلك في بقية الأشهر ولا رمضان وقد كنت سئلت من مادة عن النكتة في ذلك ولم يحضرني فيها شيء حتى وقفت على كلام ابن دريد هذا ^(٣) » .

وهذه فائدة أخرى وجدتها السيوطي عند ثعلب ، بعد أن طال سؤاله عنها ، فقدم قال بعد أن روى عن ثعلب في أماليه شرحا للمثل : « لا يدرى الحي من اللي » أي لا يعرف الكلام البين من الكلام غير البين : « قالت رضي الله عن سيدي عمر بن الفارص ، ما كان أوسع علمه باللغة : قال في قصيدته الياثية :

صار وصف الضر ذاتيا له
عن عناء واللامُ الحيّ لي
ولما شرحت قصيدته هذه ما وجدت من يعرف منها إلا القليل . ولقد سألت خلقا من الصوفية عن معنى قوله : واللامُ الحيّ لي ، فلم أجده من يعرف معناه ، حتى رأيت هذا الكلام في أمالي ثعلب ^(٤) » .

(١) المزهري ١ / ١٤٤ ويحمل قوله (١ / ٢٠٤) : « وفي كتاب إتياع لابن فارس » على السهو .

(٢) المزهري ١ / ٣٢٥

(٣) المزهري ١ / ٣٠٠ - ٣٠١

(٤) المزهري ١ / ٥٠١

ولم تخل بعض تعليقات السيوطي من الوهم . ومن ذلك اعتقاده أن كلمة : « السبت » تعني في أصل اللغة « الدهر » ، فقال في موضوع العام الذي خصص : « ثم رأيت له مثالا في غاية الحسن ، وهو لفظ : السبت ، فإنه في اللغة : الدهر ، ثم خصص في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع وهو فرد من أفراد الدهر^(١) » . والحقيقة أن « السبت » كلمة معربة عن العبرية

שַׁבָּת sabbāt

ومعناها : الراحة .

ولكن تلك الأوهام لا تقلل من قيمة الفوائد الجلية ، التي نثرها في صفحات كتابه الضخم ، كقوله مثلا : « فائدة : حيث أطلق أبو عبيدني الغريب المصنف أبا عمرو فهو الشيباني ، فإن أراد أبا عمرو بن العلاء قيده . وحيث أطلق النحاة أبا عمرو فمرادهم ابن العلاء . وحيث أطلق البصريون أبا العباس فالمراد به المبرد ، وحيث أطلقه الكوفيون فالمراد به ثعلب^(٢) » .

ومن تعليقات السيوطي النادرة ، ما ذكره عن طريقة الأمالي اللغوية عند قدامى اللغويين ، فقال : « يكتب المستمل أول القائمة : مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ، ويذكر التاريخ ، ثم يورد

المملئ بإسناده كلاما عن العرب الفصحاء ، فيه غريب يحتاج إلى التفسير ، ثم يفسره ، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره^(٣) » . وقد ذكر السيوطي بعد ذلك محاولته التي لم يقدر لها النجاح ، في إحياء هذه الأمالي ، فقال : « وقد كان هذا في الصدر الأول فاشيا ، ثم مات الحفاظ ، وانقطع إملاء اللغة من دهر مديد ، واستمر إملاء الحديث . . وقد أردت أن أجدد إملاء اللغة وأحييها بعد دثوره ، فأملت مجلسا واحدا فلم أجد له حملة ، ولا من يرغب فيه ، فتركته^(٤) » .

* * *

هذا ، ونحب أن نشير في خاتمة هذا البحث إلى شيء مهم جدا ، وهو ضرورة مراجعة المزهري على مصادر له ، لسل ما أصاب نصه من خلل في كثير من المواضع . وهذه بعضها . (أ) روى السيوطي النص التالي عن ثعلب في أماليه : « ارتفعت قریش في الفصاحة عن عننة تميم ، وتلتله بهراء ، وكسكسة ربعة ، وكشكشة هوازن ، وتضجع قریش^(٥) » . وصوابه ، كما في مجالس ثعلب ومصادر أخرى كثيرة : « وكشكشة ربعة وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس^(٦) » .

(١) المزهري ١ / ٢٧٤

(٢) المزهري ٢ / ٤٥٥ - ٤٥٦

(٣) المزهري ٢ / ٣١٤

(٤) المزهري ٢ / ٣١٤

(٥) المزهري ١ / ٢١١

(٦) مجالس ثعلب ١ / ٨٠ وانظر : الخصائص ٢ / ١١ وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٣٤ - ٢٣٥ وخزانة

الأدب ٤ / ٩٥

(ب) روى السيوطى النص التالى عن كتاب : « الألفاظ والحروف » للفارابى ، فى القبائل التى تؤخذ عنها اللغة : « وبالحملة فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقيط ، ولا من قضاة وغسان وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقيط والفرس (١) » .

ويقف المرء حائرا أمام هذا النص ، إذ كيف يمكن لليمن أن تكون بالجزيرة مجاورة لليونان ؟ ثم كيف لبكر أن تمتد بجناحيها فى شمالى الجزيرة العربية ، فتجاور فى الشرق الفرس فى إيران ، كما تجاور فى الغرب القبط فى مصر . وصواب العبارة كما فى المصادر : « ولا من تغلب والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية » ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للقيط والفرس (٢) . فانظر كيف حرفت كلمة : « النمر » فصارت فى « نشرة المزهر : « اليمن » كما حرفت أختها : « النبط » ، فصارت فى هذه النشرة كذلك : « القبط » .

(ج) روى السيوطى النص التالى عن ابن درستويه ، فقال : « قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : قول العامة . نحوى لغوى على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة (٣) » . وفى هامشه تعليقا على عبارة : « نحوى لغوى » ، قال محققو المزهر : « لم نقف على ضبط هذه العبارة » .

وهذا الذى لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب فى مصادره : تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : فتقول . غَوَى يَغْوَى على نحو : جهل يجهل (٤) » .

* * *

وبعد . . . فقد بلغ السيوطى فى تأليفه شأوا لا يدرك ، وجهدا تقصر دونه الخطى . وكتابه : « المزهر فى علوم اللغة وأنواعها » تاج على رعوس هذه المؤلفات ، وغرة فى وجه هذه التصانيف ، يشهد له بطول الباع فى الدراسات اللغوية العربية ، والصبر والجلد فى القراءة والجمع . رحم الله السيوطى رحمة واسعة .

رمضان عبد التواب
الخير بالجمع

(١) المزهر ١ / ٢١٢

(٢) الاقتراح ١٩ وانظر الحروف للفارابى ١٤٧

(٣) المزهر ١ / ٢٢٥

(٤) تصحيح الفصيح ١ / ١١٩

قضية المصطلح اللغوي الحديث

للدكتور محمد زهري مجازي

أولا : مدخل تاريخي :

١ - يتضح من تاريخ تكون المصطلحات اللغوية المعاصرة أنها بدأت بداية متواضعة عند الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٢) ، وذلك عندما حاول تعريف معاصريه بتعدد اللغات الأوروبية القديمة والحديثة ، وهنا نجد مصطلحي : اللغة ، واللسان ، ذكر : اللسان الفرنسي ، واللغة الفرنسية . « ولسان الخساري » من قدماء الفرنسيين : كما كتب عن اللغة العربية ، واللغة اللاتينية ، واللغة اليونانية ، واللغة النحساوية ، ولغة الصنقالية . وكلمتا الكلمتين : اللغة واللسان ، ترد عنده في مواضع كثيرة دون تمييز بينهما . عبر الطهطاوي عن « قواعد اللسان الفرنسي » بأنها : غرماتين ، أغرمير ، وهنا أفاد من كلمة يونانية معربة منذ العصر العباسي ومن كلمة فرنسية ، وشرح المصطلح بأن

معناه « فن تركيب الكلام فكأنه يقول فن النحو » ، وهنا نجد الإقراض المعجمي يتوازى مع بيان المحتوى بكلمات عربية شارحة . أما المصطلحات النحوية العربية فقد استمر استخدامها في الكتب النحوية التعاليمية ، ولم يتجاوزها الطهطاوي عندما ألف كتابه : التحفة المكتبية .

٢ - بدأت كلمات جديدة تتخذ دلالات اصطلاحية عند الطهطاوي ومعاصريه ، وأصبح عدد كبير منها من الرصيد الأساسي للمصطلحات اللغوية ، منها كلمة : قاموس ، تحولت من إسم عام على أحد المعجمات فأصبحت كلمة عامة دالة على كل أفراد هذا النوع من المؤلفات اللغوية . إن كلمة قاموس مثال واضح لبداية استخدام كلمة موروثة بمعنى اصطلاحى جديد ، أخذ يستقر في بداية النهضة الحديثة في مصر . كلمة :

أتى ملخص هذا البحث في الحلقة الدراسية : مشكلات المصطلح الأدبي واللغوي ، التي عقدها المجلس الأعلى للثقافة ، بالقاهرة ٧ - ٨ مايو ١٩٨٦ .

قاموس ، وردت في عنوان أول كتاب طبع في مطبعة بولاق سنة ١٨٢٢ ، وهو : قاموس ايطاليانى وعربى . كان الطهطاوى قد لاحظ عند الأوربيين أن « كل علم فيه قاموس مرتب على حروف المعجم في ألفاظ العلم الاصطلاحية » . وأفاد الطهطاوى في مقدمته لترجمة كتاب « المعادن النافعة » من كلمة قاموس ، كما أعد مقدمة مفصلة لكتاب قلائد المفاتيح ، وفيها « قاموس صغير » . هكذا نجد بداية استقرار كلمة قاموس للدلالة على ذلك النوع من المراجع اللغوية أنها تعود إلى الفترة ١٨٢٢ - ١٨٣٢ (١) .

٣- ومن المفيد في هذا الصدد أن تجمع المصطلحات اللغوية التي وردت في

كتب رواد النهضة ، وفي مقدمتهم الطهطاوى والشدياق ، وأن تجمع المصطلحات اللغوية التي وردت في الدوريات الثقافية في مصر والشام في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ومن أشهر أعلامها جرجى زيدان وإبراهيم اليازجى وأنستاس مارى الكرمانى ، فهذه المطبوعات المتخصصة وغير المتخصصة أسهمت بشكل واضح في تكوين مصطلحات استقرت اليوم بدلالات محددة مستحدثة . منها المصطلحات : قاموس ، معجم ، مجمع . اللغات السامية ، الألفاظ السامية المشتركة . التراكيب الأعجمية . وذلك إلى جانب جمع المصطلحات المستخدمة في الكتب الثقافية والتعليمية لتعرف الحليد من المصطلح اللغوى ،

(١) عن استخدام كلمة قاموس في بداية النهضة العربية الحديثة انظر : قاموس ايطاليانى وعربى ، تأليف انطس رفايل زخود راغب ، القاهرة مطبعة بولاق ١٨٢٢ .

وانظر كذلك أقدم معجم فرنسي عربي :

Elloias Bochor, Dictionnaire Française - Arahe Paris, 1829.

وفيه نجد في مقابل كلمة Dictionnaire : ترجمان - كتاب لغة - قاموس اللغة .

أما في كتب الطهطاوى فهناك مصطلحات لغوية وردت في تخلص الإبريز ، انظر ؛ محمود فهمى حجازى ، أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ونضم النص الكامل لتخلص الإبريز مع تعليقات وكشاف بالمصطلحات المختلفة في هذا الكتاب ، وقد استخدم الطهطاوى كلمة قاموس في مقدمة ترجمته لكتاب قلائد المفاتيح مطبعة بولاق ١٢٤٩ ، ص ٢ ، وفيها : « شرح للكلمات الغريبة التي توجد في كتاب قلائد المفاتيح في غريب عوائد الأوائل والأواخر مرتبة على حروف المعجم . . . ولو صنع المترجمون نظير ذلك في كل كتاب ترجم . . . لا تنبى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المرتبة على حروف الهجاء ونظمها في قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب أو الترك » . أما في مقدمة تعريب كتاب المعلم فرارد في المعادن النافعة لتدبير معايش الخلايق ، طبعة بولاق ١٢٤٨ ، ص ٣ ، فقد ذكر الطهطاوى « اللغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلى الآن بقاموس شاف مترجم » . وفي هامش الصفحة نفسها إشارة إلى أن إبراهيم باشا كلفه « بترجمة قاموس » .

٤ - دخل المصطلح اللغوي مرحلة جديدة بإنشاء الجامعة الأهلية ١٩٠٨، ثم بتحويلها إلى الجامعة المصرية ١٩٢٥. إن التحول الجديد وثيق الصلة باتجاهات البحث اللغوي في القارة الأوروبية، لقد حضر عدد من أعلام الدراسات اللغوية بجامعة إيطاليا وألمانيا إلى القاهرة يحاضرون بالعربية في علوم اللغة واللغات السامية. ألقى اللغوي الإيطالي جويدي محاضراته عن اللغة العربية الجنوبية القديمة، وحاضر اللغوي الألماني برجشتراسر عن العربية في ضوء اللغات السامية. وهنا نجد مصطلحات يتخذها العلماء الأوروبيون منها مصطلح علم اللغة، جعله جويدي في عنوان كتابه «مختصر علم اللغة العربية الجنوبية» (القاهرة ١٩٢٩) أما برجشتراسر فكان يفيد من المصطلح نفسه، نجد في كتابه «التطور النحوي للغة العربية» (القاهرة ١٩٢٩) مصطلح علم اللغة موصوفاً وغير موصوف، ذكر علم اللغة الغربي، وعلم اللغة التاريخي، كما ذكر مصطلحات: علم الأصوات العمومي، والتغيرات الصوتية المطلقة، والمقيدة، وهذه مصطلحات جديدة في تركيبها ودلالاتها الحديثة.

٥ - كان برجشتراسر مدركاً للفروق

بين مصطلحات تراثية والمصطلحات الحديثة لم يكن يفيد من المصطلح التراثي إلا عند يقينه من مطابقة المفهوم الجديد للمفهوم التراثي. ولهذا وجد من الضروري عند التعبير عن مصطلح Assimilation أن يضع مصطلح التشابه أو التماثل وأن يوضح الفرق بين مفهوم التماثل في علم اللغة الحديث ومفهوم الإدغام عند النحاة العرب. ونجد عند برجشتراسر عدم الإفادة من مصطلحات تراثية منها الهمس والجهور، لأن دلالة المصطلحين مدى مطابقتها للمصطلحين الأوروبيين كان موضع نظر وخلاف. وقياساً على المصطلحين الأوروبيين وضع برجشتراسر بالعربية مصطلح صوتي Stimmhaft, voiced، وغير صوتي Stimmlos, voiceless. وعلى هذا فالباء صوتي والهاء الأفرنجية (p) والفاء غير صوتيين في اصطلاح برجشتراسر. وهنا نجد الإفادة المباشرة من المصطلحات الأوروبية في وضع المقابل العربي، وبين برجشتراسر موقفه، بقوله: «لهم مصطلحات غير اصطلاحاتنا، أصل بعضها غامض، ولكن معناها واضح، وهي: مجهور بمعنى صوتي، ومهموس بمعنى غير صوتي. ميز برجشتراسر الأصوات إلى صوامت وصوائت وحركات ممدودة.

ووضع برجشتراسر أيضاً مصطلح المقطع .
وقد استقر عدد كبير من مصطلحات
برجشتراسر في الاستخدام العربي الحديث ،
غير أنه وصف علماء اللغة في موضعين
بأنهم الألسنيون ، وهي تسمية لم يكتب لها
الانتشار في مصر وإن وجدت قبولاً
محدوداً ، تارة عند أبناء الشام وتارة عند
بعض التونسيين .

٦ - توازت في جامعات المشرق العربي
عدة اتجاهات في البحث اللغوي الحديث إلى
جانب استمرار النحو التعليمي بمصطلحاته .
تندرج اتجاهات البحث اللغوي الحديث في
اتجاهين أساسيين . ظلت المدرسة السامية
المقارنة يمثلها خليل يحيى نامى ومراد كامل
وابراهيم السامرائي والسيد يعقوب بكر
تتعامل برصيد المصطلحات التي كانت قد

استقرت منذ عرفت المنطقة العربية الدراسات
السامية المقارنة . أما المدرسة اللغوية التي
ارتبطت بابراهيم أنيس ومن درسوا علم
اللغة العام مع اهتمام خاص بعلم الأصوات ،
وحاولت الإفادة منه في بحث العربية ، فكانت
تمثل تياراً موازياً . تكونت أكثر المصطلحات
المتداولة بجهود هؤلاء اللغويين في جامعات
المشرق وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
عبرت هذه المصطلحات عن المفاهيم الأساسية
للتحليل اللغوي ، كما تحدت في إطارها
أسماء مقننة للغات السامية ولهجاتها ولغات
الأفريقية . وهكذا تجاوزت هذه المصطلحات
في أكثر الأحوال الاستخدام الفردي وأصبحت
رصيداً أساسياً في علم اللغة في الجامعات
المصرية وأكثر جامعات المشرق العربي .

١ - نشر مجمع اللغة العربية مصطلحات علم اللغة في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، المجلد الثالث ، ٢ مارس
١٩٦٢ ، مصطلحات في علمي الأصوات واللغة ١٤٠ - ١٤٣ ، والمجلد الرابع ١٩٦٢ ، ٩٣ - ٩٦ ، المجلد السادس
١٩٦٤ ، الفصائل اللغوية ، اللغات السامية ٥٣ - ٦٠ ، والمجلد السابع ١٩٦٥ ، الفصائل اللغوية ٨٧ - ١٠٠ ،
والمجلد الثامن ١٩٦٦ ، الفصائل اللغوية ٣٧ - ٤٧ والمجلد التاسع ١٩٦٧ معجم المصطلحات اللغوية ١٠٣ - ١١٥ ،
والمجلد العاشر ١٩٦٨ معجم المصطلحات اللغوية ، ١٢٩ - ١٤١ .

٢ - تضم الكتب الكثيرة والدراسات المتعددة التي كتبها إبراهيم أنيس وتمام حسان وكمال بشر عدداً
كبيراً من المصطلحات التي استقرت في دول المشرق ، كما تضمنت بعض كتب اللغويين كشافات بالمصطلحات ، منها :
محمود السمران ، علم اللغة ، دار المعارف بالأسكندرية ١٩٦٢ .

محمود فهمي حجازي ، المدخل في علم اللغة ، القاهرة ، طبعة ثانية ، ١٩٨١ .

وتضمنت بعض الترجمات قوائم بالمصطلحات ، منها :

ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر ، بيروت ١٩٧٥ .

برتيل مايرج ، علم الأصوات ، تريب ودراسة عبد الصبور شاهين ، القاهرة ١٩٨٥ .

وكان صاحب هذا البحث واضع مصطلحات كثيرة ، منها علم اللغة التقابلي ، وعلم اللغة التطبيقي ، والبنائية ، والبنية السطحية والبنية العميقة ، والنحو التوليدي التحويلي . وقد أصبحت هذه المصطلحات من الرصيد المشترك عند اللغويين العرب .

٧ - تكونت عند عدد من اللغويين اللبنانيين مصطلحات تنفق إلى حد بعيد مع مصطلحات اللغويين في مصر والعراق ، وإن احتفظت في حالات محدودة بطابعها الخاص . تراوح ريمون طحان في كتابيه عن «الألسنية»^(١) بين هذه التسمية وتسميتين أخريين ، هما : الدراسات اللغوية والعلوم الألسنية . ذكر المتخصصين في هذه العلوم على أنهم اللغويون والألسنيون ، وأفاد كثيراً من الاقتراض المعجى في نقل مصطلحات الفونتيكا Phonetique والفونولوجيا Phonologie والفونيم Phoneme أما المصطلحات التراثية فقد استقرت على نحو ما نجد عند سائر اللغويين . وهكذا نجد مصطلحات المخرج والحنك والجره والهمس والترقيق والاطباق والقلب المكاني . وأفادت

بجوده من المصطلحات التي تستخدم في مصر والعراق للتعبير عن مفاهيم حديثة مثل : الأصوات الصامتة ، والأصوات المصوتة والمماثلة والمخالفة . وهكذا استمر بناء المصطلحات اللغوية على نحو يتسم بالاطراد والخلاف المحدود ، وكان الاستخدام في الكتب والمؤلفات والمحاضرات يحسم الخلافات المحدودة في المصطلحات :

٨ - أما في المغرب العربي فقد كانت تونس قبل استقلال الجزائر والنهضة الحديثة في المملكة المغربية رائدة في هذا المجال : تفاوتت صلة اللغويين التونسيين بالشرق تفاوتاً واضحاً ، كتب رشاد الحمزاوي عن جهود مجمعي القاهرة ودمشق دراسات جادة وأعد معجماً تسجيلياً للمصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، ومنهم من اقتصر على الترجمة من اللغة الفرنسية دون أن يسجل عمله بجهود المشاركة . تعد الترجمة التي أعدها صالح القرماذي ١٩٦٦ لكتاب «دروس في علم أصوات العربية» لجان كاتينو مهمة في تعرف مشكلة المصطلحات

١ - ريمون طحان ، الألسنية العربية ، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢ ، (سلسلة الألسنية ١ ، ٢) .

مهشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام . ط ٢ . بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات ،

١٩٨٣ .

وله أيضاً : الألسنية ، التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) . بيروت ، المؤسسة الجامعية

للدراسات والنشر ١٩٨٣ .

اللغوية في تونس في تلك الفترة . عرف
القرمادى هذا التخصص باسم علم اللغات
Linguistique أو علم اللغات العام والمتخصص
في هذا العلم لغوى . ولكن القرمادى أفاد
من مصطلح مشرقى نادر ، وهو الألسنية وجعله
تسمية لعلم اللهجات Dialectologie ،
وعبر عن التخصص في اللهجات بأنه علم في
الألسنية Dialectologie . ولهذا فالمصطلحان
علم اللغات والألسنية غير مترادفين ، لكل
منهما عنده دلالة . تتسم محاولات القرمادى
بقلة الاقتراض المعجمي ، حاول أن يميز
المفاهيم بكلمات عربية . ميز علم الأصوات أو
الصوتيات Phonétique عن علم وظائف
الأصوات Phonologie . ولكن مشكلة
المصطلحين تظهر عند النسبة إليهما ، النسبة إلى
الأول صوتي وإلى الثاني وظائف . والكلمة
الأخيرة غير دالة . أما مصطلح Phonème

فقد حاول نقله إلى العربية تارة بكلمة
صوت وتارة بكلمة صوتم . وهنا نجد
مصطلحا مركبا من كلمة عربية صوت ونهاية
مقترضة eme على النحو المعروف في
مصطلحات الكيمياء . ومن الجانب الآخر
بالغ القرمادى في الإفادة من المصطلحات
التراثية على نحو يجعل القارئ يخطئ بين مفهومين
مختلفين ، كلمة حرف دالة في التراث على الرمز
المكتوب والصوت المنطوق ، فجعلها القرمادى
ترجمة لكلمة consonne في مقابل الحركة
Voyelle . ومثل هذا الالبس قائم أيضا
عند استخدام كلمة إدغام فدلالته في التراث
تجعلها للتعبير عن تغير صوتي ينطق عنه صوت
مشدد مثل اصبر ، واتصل ، أما مصطلح
Assimilation فلا يقتصر على ما سبق ،
ولكنه يفيد تحول صوتين مختلفين نسبيا إلى
صوتين متقاربين نسبيا أو متماثلين ، مثل تحول
الصيغة القياسية المقترضة ازهر إلى ازدهر ،

٦ - حول أهم جهود اللغويين في دول المغرب في المصطلحات انظر القائمين بالترجمة التاليتين عن
اللغة الفرنسية :

جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، نقلة إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي - عربي ، صالح القرمادى
تونس ، الجامعة التونسية ، نشریات مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية ١٩٦٦ .

جورج موانان ، مفاتيح الألسنية ، عربي وذيله بمعجم عربي - فرنسي الطيب البكوش ، تونس ، منشورات الجديد
١٩٨١ .

وانظر أيضاً العدد الأول من مجلة : اللسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر ، معهد العلوم
اللسانية والصوتية ، الجزائر ، ١٩٧١ .

الهامي الراجي الهاشمي ، توطئة لدراسة علم اللغة ، التماريف . الدار البيضاء ، دار النشر المغربية ، ١٩٧٦ -
(سلسلة الدراسات اللغوية ، ١) وله أيضاً : بعض مظاهر التطور اللغوي . الدار البيضاء ١٩٧٨ (سلسلة الدراسات
اللغوية ، ٢) .

وهذا التغيير لم يصنفه النحاة العرب بأنها ادغام ولكنه
ممانع عنه بالتماثل أو المماثلة، ولهذا لا يجوز
خلط مفهومين مختلفين في مصطلح واحد .

٩ - يبدو أن ضعف الصلة بين جامعات
المشرق والمغرب كانت سبباً في عدم الافادة
الحادة من تجارب المشرق وأدى هذا الموقف
إلى محاولة إيجاد مصطلحات جديدة مختلفة.
كان مصطلح علم اللغة آنحدا في الاستقرار عند
المتخصصين في المشرق وتونس ، فاذا بنا نواجه
بمصطلح اللسانيات في إطار زاعم بأن « الشروط
الضرورية لعالم اللغة مجتمعة عند عدد من
الباحثين في المغرب ، وآمل في أن تتسع دائرتهم
في جميع البلاد العربية » . وبهذا بدأت الداعرة إلى
تعديل المصطلحات القائمة ، وشغلت مجلة
اللسانيات بالدفاع عن اسمها وبالهجوم على
مصطلح علم اللغة وعلى المصطلحات المستقرة في مصر
والعراق منذ ثلاثة أجيال ، وهكذا ضاع وقت
ثمين ، وشغل بعض اللغويين بالدفاع عن
المصطلحات القليلة التي وضعوها . وكان هذا
الموقف من العوامل التي جعلت حركة الترجمة إلى
اللغة العربية في علوم اللغة تتوقف عدة
سنوات ، وبدأ عقد ندوات عن اللغة العربية تقدم

فيها البحوث وتم فيها المناقشات بغير اللغة
العربية تجنباً للخلاف الحاد المتجدد حول
المصطلحات .

١٠ - إن قضية المصطلح اللغوي لا يمكن
أن تؤخذ برؤية فردية أو حزبية أو قطرية ،
ولا يمكن أيضاً أن تبحث بطريقة النظر في
المصطلح المفرد ثم الخلاف حوله والتشكيك
فيه وإعادة النظر فيه . لقد ظهرت في
السنوات الماضية مجموعة طيبة من المعجمات
الثنائية اللغة للمصطلحات اللغوية ، أعدها
أعلام تجمعهم الرغبة في مواجهة هذه المشككة ،
وتفاوتت مناهجهم بين التسجيل والاختيار
الواعي وإكمال النقص باختراع مصطلحات
فردية ، ولهم جميعاً جهد مشكور بكل المعايير
الفردية . ولن ننظر هنا في المصطلحات
الواردة في هذه المعجمات بهدف مقارنتها
بشكل جزئي ، ولكننا نود أن نخرج من النظر
في هذه المعجمات وفي الكتب اللغوية المترجمة
والمؤلفة بالعربية بسلسلة من الأسس المنهجية
تلتزم قدر الإمكان في إطار النظرية العامة
لعلم المصطلحات .

٧ - أعدت مجموعة من اللغويين بجامعة الرياض ، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث . ط ١ ، بيروت ، مكتبة
لبنان ، ١٩٨٣ .

بسام بركة ، معجم اللسانية ، فرنسي - عربي ، مع مراد لغباني بالأنماط العربية . طرابلس - لبنان ، جروس -
برس ، ١٩٨٥ ...

محمد رشاد الحزراوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية تونس ، حوليات الجامعة التونسية ، ١٩٧٧ (العدد ١٤) .

عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات ، عربي - فرنسي ، فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح . طرابلس -
ليبيا ، الدار العربية للكتاب . ١٩٨٤ .

محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظري ، انكليزي - عربي - بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٢ .

ثانيا : مصادر المصطلحات :

تكاد الوسائل العامة لتكوين المصطلحات اللغوية لا تخرج عن المسائل العامة لتكوين المصطلحات وألفاظ الحضارة في العربية الفصحى في العصر الحديث . فإلى جانب المصطلحات التراثية الموروثة عن النحاة واللغويين العرب وتعبير عن استمرار البحث اللغوي في العربية عبر القرون ، فإن المصطلحات الحديثة تكونت بطرق الاشتقاق والاقتراض والتركيب . ويتضح هذا مما يأتي :

١ - المصطلحات التراثية :

(أ) بدأ البحث في الأصوات العربية على أساس الإفادة من جهود النحاة واللغويين في إطار المناهج الحديثة ، ومنذ أواخر القرن الماضي بدأ اهتمام المستشرقين الأوروبيين بما كتبه العرب في تصنيف أصوات العربية واهتموا بطبيعة الحال بمصطلحات التصنيف . واتصل هذا الاهتمام على مدى المائة عام الماضية . كان المستشرق الألماني شاده قد كتب رسالته عن علم الأصوات عند سيبويه (١٩١١) وحاضر باللغة العربية في الموضوع نفسه بالجامعة المصرية ، وكان برجستراسر مدر كالمشكلات مصطلحات البحث الصوتي في التراث العربي ، وهو يحاضر عن العربية في ضوء اللغات السامية . أما الكتب والبحوث المنشورة بالعربية في هذا المجال ، ومن أقدمها كتب إبراهيم أنيس ومحمود السمران وكمال بشر وتمام حسان فقد كتبها مؤلفون وثقوا الصلة بالمصطلحات التراثية في البحث الصوتي ، ولهذا كله فقد استقرت أكثر المصطلحات الحديثة في البحث الصوتي المأخوذة عن جهود

النحاة واللغويين العرب ، ولا خلاف يذكر بين المتخصصين في استخدامهم للمصطلحات حاقى أو حنكى أو خيشومي أو شفوي أو أسناني أو مهموس أو أو مجهور . أما المصطلحات التي تعبر عن مفاهيم علمية لم تثبت معرفة العرب بها فهي موضع اجتهاد ، وإن كان الاتفاق قد أقر الكثير منها مثل مصطلحي النبر والمتقطع .

(ب) بعض المصطلحات التي تضمنها المعجمات المتخصصة خالفت لسبب أو لآخر ما عرفه التراث اللغوي العربي من مصطلحات . وأغلب الظن أن تجنب المصطلحات التراثية في كثير من الحالات لم يتم على أساس علمي . كان النحاة قد قسموا الأسماء المعربة إلى منصرفة ومنزوعة من الصرف ، النوع الأول تتضح فيه ثلاث علامات إعرابية والنوع الثاني تظهر فيه علامتان إعرابيتان . وقد وضع المستشرقون للاسم المنصرف مصطلح triptote ولا مبرر لإعادة ترجمته إلى العربية بمصطلح ثلاث إعرابي . كما وضعوا للممنوع من الصرف مصطلح diptote ، ولا داعي لإعادة ترجمته بمصطلح ثنائي الصرف ، والصواب triptote : منصرف ، diptote : ممنوع من الصرف .

أن تقسيم المفردات يعد من التصنيفات الأساسية في التحليل النحوي وعندما صنف سيبويه الكلمات إلى اسم وفعل وحرف استخدم مصطلح الكلم : وحدد فرقا أساسيا بين دلالة مصطلح الكلام وواحد كلمة من جانب ودلالة مصطلح الكلام من الجانب الآخر ولا يجوز الخلط بينهما ، من ثم لا يجوز ترجمة major parts of speech على أنها

أنواع الكلام، فالصواب أنواع الكلم . وفي هذا فإن المصطلح التراثي يترك لدلالته ولا مبرر لخلاط المصطلحين .

(ج) ثبت أنه من الضروري الاهتمام في الدراسات الجامعية بقضية المصطلحات المستخدمة في التراث اللغوي العربي وفي الكتب الأخرى المتصلة بقضايا اللغة . وأعدت بالفعل أبواب كبيرة في عدد من الرسائل الجامعية تناولت على سبيل الحصر والاستقصاء مجموعة المصطلحات التي يتناولها البحث ، ومن هذه الرسائل ما كتبه إبراهيم الشمسان عن الشرط عند النحاة العرب ، وهنا نجد حصرًا دقيقًا وتأريخًا للمصطلحات التي أفاد منها النحاة في هذا الموضوع . وتعد حاليًا دراسات أخرى في موضوعات شتى تهتم في جانب منها - بقضية المصطلحات ، إلى جانب رسائل أخرى أفردت لقطاعات محددة من المصطلحات العربية في علوم اللغة حصرًا وتأريخًا وإعدادًا معجميًا . ولن يمضي وقت طويل حتى نجد المصطلحات العربية في علوم اللغة قد جمعت على نحو يجعل الإفادة منها أمرًا يسيرًا ويجعل الخلاف حولها غير ذي موضوع .

٢ - الاشتقاق :

(أ) أفاد البحث اللغوي الحديث من عدة أبنية لتكوين كلمات جديدة تعبر عن مفاهيم مستحدثة ، وفي مقدمتها أبنية المصادر ، وصيغة المصدر الصناعي .

مشكلة المصدر الصناعي ليست في بنيته ، فهي بنية تنتهي بالنهاية (ية) . وما أسهل أن يقال الحيشومية أو التركيبية أو المعجمية أو الألسنية أو السلوكية . ولكن المشكلة تكمن في دلالة هذه الصيغة ، فهي تدل على المذاهب والاتجاهات مثل السلوكية والبنوية والتحويلية ، وهذه الصيغة تقابل الكلمات الأوروبية المنتهية بـ ism . المشكلة كامنة في دلالة هذه الصيغة أيضًا على العلوم ومجالاتها وذلك مثل استخدام كلمة الألسنية أي علم اللغة والاجتماعية أي علم الاجتماع ، وكذلك الصوتية والصرفية ، والتركيبية ، والمعجمية ، بدلا من علم الأصوات ، علم الصرف ، علم التركيب ، علم المعجم ، وينطبق هذا أيضا على مصطلح الأسلوبية بمعنى عام الأسلوب . ويرفض كثير من اللغويين استخدام هذه النهاية الواحدة للدالتين مختلفتين ، ويرون تحديد دلالة المصدر الصناعي للتعبير عن المذاهب والاتجاهات .

(ب) هناك ثلاثة أوزان مصدرية تكونت بها مصطلحات جديدة في علوم اللغة :
- وزن تفعّاعل ، مثل : تعالق ، تعامل ، تقابل ، تماثل ، تناوب .

- وزن انفعال ، مثل : إنجهاز ، انجباس .
- وزن تفعيل ، مثل : تصويت ، تحنيك .

وهذه الصيغ المصدرية وما يتصل بها من أفعال تفيد كثيرا في وضع المصطلحات، ولا خلاف عليها من حيث البنية، ولكن الاتفاق على دلالة كل كلمة من هذه الكلمات المشتقة ضروري لكي تصبح هذه الكلمات مصطلحات دالة.

٣ - الاقتراض المعجمي :

(أ) يتضح الاقتراض المعجمي في مجموعة من المصطلحات الدالة على علوم جديدة، ولذا نجد عند بعض اللغويين إفادة من المصطلحات فنولوجيا، فيلولوجيا، ونجد عندهم الصيغ المنسوبة : فنولوجي، فيلولوجي، وكذلك فيزيائي، واكوستيكي، وكروني، وفي حالات كثيرة يستخدم إلى جانب المصطلح المقترض شرح باللغة العربية يقرب دلالة المصطلح في أحسن الأحوال، ويصل إلى درجة من الغموض في أحوال أخرى مثل شرح مصطلح فيلولوجيا بأنه فقه اللغة على الرغم من أن لكل مصطلح منهما تاريخه المستقل الذي يجعله مختلفا عن الآخر.

(ب) تستخدم المصطلحات المقترضة في تسمية الأجهزة التي يفيد منها الباحثون في دراسة الأصوات، ومنها الكيموجراف وأوسيلوجراف، وفي التعبير عن الطرق المرتبطة بآلة معينة، ومنها البلاتوجرافيا أي طريقة الأحناك الصناعية.

(ج) هناك مصطلحات مستقرة في مجامع اللغة العربية، حاول بعض المغاربة تجنبها بأخذ المصطلح الدخيل وتفضيئه على المصطلح العربي، مثال ذلك مصطلح التأصيل، فقد ذكر تارة بكلمة ايتيمولوجيا على الرغم من أن المصطلح العربي متداول في مجامع اللغة العربية بالقاهرة، وذلك في إطار أعمال التأصيل في «المعجم الكبير»، وهو أول معجم عربي عام يهتم بهذا الجانب، ومن حق المجمع أن يسمى عمله.

(د) تكونت عدة مصطلحات مركبة عن طريق الترجمة المباشرة لمكونات المصطلح الأوربي المركب، وهذه الطريقة تعين على الضبط الدولي للمصطلحات، ولا تعد مشكلة حقيقية، من ذلك ترجمة مصطلح Harmonie vocalique بمصطلح الانسجام الحركي، ومصطلح Nasal Resonance رنين خيشومي، ومصطلح Substratum طبقة لغوية سفلى. مشكلة هذا النوع تكمن أحيانا في وجود مصطلح تراثي أبسط من حيث التركيب من المصطلح الأوربي وأوضح في الدلالة. من ذلك مصطلح المخرج وبقابله Point of articulation أي موضع النطق، وقد ثبت تفضيل المصطلح العربي الموروث على ترجمة المصطلح الأوربي المركب.

(هـ) بعض المصطلحات مركب على نحو يحذف حرفاً من حروف الكلمة الأولى، ويكون من الكلمتين تركيباً يشبه النحت، ومصير الكلمات المكونة على هذا النحو ليس أفضل من مصير باقي الكلمات المكونة بطريقة النحت في العربية، ولذلك فإن ترجمة المصطلحات الأوربية المركبة المبدوعة بالسابقة Inter قد اقترح له أن يترجم بكلمة بين مع حذف هذه النون النهائية، فيقال بيشخصى Intersubjective وكذلك بينصوصية Intertextualité للدلالة على علاقة النص بنصوص لغوية أخرى، وكذلك بينصائى Intervocalique. وهذه المصطلحات على الرغم من طرافة الفكرة فهي غريبة على النمط اللغوي العربي في تكوين المصطلحات، ولم يكتب لها القبول عند المتخصصين في علوم اللغة.

ثالثاً : المشكلات المصطلحية :

تظهر المشكلات المصطلحية عندما نجد المصطلح المقترح لا يؤدي وظيفته في التواصل بين العلماء في داخل التخصص، إنها ليست مشكلة نابعة من الصحة اللغوية للمصطلح، فما أسهل أن يثبت كثير من اللغويين صحة مصطلحاتهم الفردية ولكنها ضرورة الوضوح والدقة في التواصل العلمي بين أهل التخصص. ويمكن أن نتبين - في الكتب المؤلفة والمترجمة والمعجمات المؤلفة لمصطلحات علم اللغة - المشكلات المصطلحية التالية :

(أ) استخدام المصطلح التراثي لمفهوم جديد مختلف عن مفهومه في التراث، فيحدث لبس عند ورود المصطلح ويجعل القارئ يتردد في فهم المصطلح بين الدلالة القديمة والدلالة الجديدة. وقد يؤدي هذا اللبس إلى سوء فهم تتضح هذه المشكلة مثلاً - عندما نستخدم كلمة الادغام تارة بالمعنى القديم وهو إحداث تغير يؤدي إلى التضعيف وتارة بالمحتوى الدلالي لمصطلح Assimilation ويعني إحداث تغير يؤدي إلى تشابه أو إلى تماثل بين صوتين. تتضح هذه المشكلة أيضاً عند استخدام كلمة حرف ترجمة لمصطلح Consonant. وهنا نجد مفهومين مختلفين قد عبر عنهما بشكل لا يميز بينهما. فقد استخدم النحاة العرب كلمة حرف للدلالة - أيضاً - على ظاهرة بصرية أي على الحرف المكتوب. والأفضل أن نترك هذا المصطلح لمعناه القديم وأن نستخدم للدلالة على Consonant كلمة أخرى وهي كلمة صامت، وذلك انطلاقاً من ضرورة التمييز بين المنطوق والمكتوب. ولا يجوز أن يسمح المصطلح الحديث بتداخل مفهومين مختلفين.

(ب) استخدام كلمتين مختلفتين أو عدة كلمات لمفهوم واحد على نحو يعد هدراً لارصيد المعجمي العربي. وقد دارت أكثر الاختلافات التي تناولناها في المدخل التاريخي حول هذه النقطة، سمي ذلك التخصص : علم اللغة، علم اللغات، الألسنية،

واللسانيات . وسمى البحث الصوتي : علم الصوت ، صوتيات . وسمى البحث المعجمي : علم المعجم ، علم المعاجم : معجميات معجمية . وسمى البحث الأسلوبي : علم الأسلوب ، علم الأساليب ، والأسلوبية . وكثرة هذه المصطلحات تعد ظاهرة غير صحيحة ، ظهرت بمحاولة هدم مصطلحات حديثة مستقرة ، ولم تكن ثمرة ضرورة لإعادة النظر في هذه المصطلحات الأساسية التي كانت قد استقرت عند أكثر الباحثين .

شبيه بهذا تعدد المصطلحات الدالة على Structuralism : بنائية ، بنيوية هيكلية ، تركيبية ، بنيانية . وهذا التعدد يوهم القارئ بتعدد في المفاهيم ، فليس من اقتصاديات اللغة أن يكون لكل باحث فرد أو لكل فئة صغيرة من الباحثين مصطلحاتها المتعددة والمفهوم العلمي واحد .

(ج) استخدام الكلمة العربية الواحدة لمفهومين مختلفين أو أكثر من مفهومين ، ومعنى هذا أن المفهومين المختلفين ينبغي أن نعبر عنهما بمصطلحين متميزين ، ولا يجوز أن نستخدم كلمة عربية واحدة لهما معا . مثال ذلك استخدام كلمة السياق والنسبة إليها سياق ، نجدها تقابل عند بعض اللغويين مصطلح Associative أي اقتراني ، وتقابل أيضا مصطلح Syntagmatic

أي تركيبى وتقابل أيضا مصطلح Contextual . وهذا هو الصحيح . أما كلمة لفظ فتستخدم تارة لترجمة Verbal بمعنى قول وتارة بمعنى Parole للدلالة على استخدام اللغة عند الفرد . إن استخدام الكلمة العربية الواحدة لمفهومين مختلفين يقلل درجة الوضوح ويؤدي في حالات كثيرة إلى اللبس والغموض .

(د) عدم الإفادة من التراث العربي في عارم اللغة من حيث النظرية والمصطلح ، وذلك عند محاولة إيجاد المقابل العربي لمصطلحات أوروبية . يتضح هذا الأمر عند النظر في الترجمات المختلفة للحالات الإعرابية . ليس من الدقيق أن يترجم مصطلح Nominative بأنه حالة الناعاية فالصواب حالة الرفع ، ولا يجوز ترجمة Accusative حالة المفعولية ، والصواب حالة النصب . ولا يجوز ترجمة Dative حالة المعطى له والصواب حالة الجر .

وفي الأمثلة السابقة تراث عربي يميز الحالة الإعرابية (رفع - نصب - جر) عن الوظائف النحوية التي يعبر عنها بكل حالة من الحالات السابقة ، الرفع ينطبق على الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر ، ومن ثم لا يجوز ترجمة هذا المصطلح

بأنه حالة الفاعلية. أما المنصوبات فهي كثيرة ولا تقتصر على المفعول به، ومن ثم لا يجوز أن يترجم ذلك المصطلح بحالة المفعولية. أما اللغات التي تتميز بين حالتى Dative و Genitive مثل اللغة اللاتينية واللغة الألمانية فقد استقر عند تدريس هذه اللغات في مصر أن تسمى الحالة الأولى بحالة الجر والثانية بحالة الأضافة. وهذا وصف شكلي، وهو أدق من عبارة حالة المعطى له، فحالة الجر تستخدم عدة استخدامات لا تقتصر على المعطى له، ومنها أن عددا من حروف الجر في لغات كثيرة يتطلب وجود الاسم المجرور بعدها. أما الحالة المكانية Locative فهي ليست بالضرورة كلمة مستقلة تعرب ظرفا، ففي اللغة التركيبية تكون هذه الحالة بإضافة لاحقة إلى الاسم، ومن ثم فهي حالة إعرابية تقف إلى جانب الحالات الإعرابية الأخرى التي تختلف في توزيعها من لغة إلى أخرى. وتظهر هذه المشكلة أيضا عندما يخاط أحد أصحاب المعاجم بين علم الدلالة بالمفهوم الحديث وعلم المعاني بوصفه أحد علوم البلاغة العربية، وعندما لا يميز علم البلاغة وعلم البيان ويجعلهما مترادفين، مع أن علم البلاغة يشمل علم البيان وغيره.

(هـ) هناك أسماء لعلوم إنسانية استقرت في أكثر المؤسسات العربية بأسمائها الأجنبية

منها مصطلح الأنثروبولوجيا. ومع هذا فلا تخلو معاجم المصطلحات اللغوية من مقترحات لإيجاد كلمة عربية لا يستخدمها أهل ذلك التخصص مثل كلمة الأناسية. وأمثال هذه المقترحات تبدو غريبة إذا لوحظ استقرار المصطلح المقترض عند أهل التخصص على نحو يكاد يكون ثابتا. وقد شكلت الكلمات المكونة من العنصر Ethno مشكلة تعددت حلولها بين الأخذ بهذا العنصر والاشتقاق منه، كأن يقال اثنية Ethnisme أو أن يترجم، فكلمة Ethnique ترجمت إلى أصلي، وهذه الترجمة ليست دقيقة لأن الجماعات المهاجرة إلى مجتمع جديد تشكل كل منها مجموعة اثنية ولكنها ليست مجموعة أصلية. وترجم مصطلح Ethnoculturel ثقافي عرقي، والترجمة العربية تركز على العرق أو الجنس، لكن المصطلح الأوربي يركز على الجماعة. ولهذا كله نجد المصطلحات المقترضة المستقرة في العلوم الإنسانية الأخرى مما يمكن أخذه عند الحاجة إليه في علم اللغة، حتى لا يكون للمصطلح الأوربي الواحد أكثر من مقابل عربي، فنقع في هدر مصطلحي ونكون حواجز مانعة للتفاهم بين المتخصصين في علم اللغة وباقي العلوم الاجتماعية.

(و) ضرورة التوحيد المعيارى لترجمة المصطلحات المركبة فى علوم اللغة جزء من الاتجاه الدولى إلى التوحيد المعيارى لترجمة السوابق واللواحق فى المصطلحات العلمية بصفة عامة . لقد ثبتت ترجمة السابقة Uni فى اللاتينية Mono فى اليونانية بكلمة أحادى فى العربية ، ولهذا استقرت المصطلحات التالية فى العربية : أحادى اللغة ، أحادى الجانب ، أحادى البعد ، أحادى المعنى ، أحادى المقطع . وعلى النمط نفسه كونت مصطلحات أخرى تبدأ بكلمة ثنائى مثل ثنائى الأصل أو ثنائى الجذر أو المقطع ، ومصطلحات أخرى تبدأ بكلمة ثلاثى أو كلمة رباعى أو كلمة متعددة وفى كل هذه المصطلحات ذات المكون العددى أخذ نمط تركيبى مكون من كلمة دالة على العدد ومضاف إليه فى الاستقرار . وشبهه بهذا ترجمة السابقة Iso وترجم عدة ترجمات ، منها تكوين مصطلح مركب يبدأ بكلمة متماثل أو تماثل ، وعلى هذا Isomorphe متماثل الشكل Isomorphisme تماثل شكلى أو تماثل مورفيمى . ويتطلب التوحيد المعيارى لترجمة السوابق واللواحق جمعها وإيجاد المقابل العربى الموحد لها .

يتطلب التوحيد المعيارى أيضا تدوين المصطلحات المقترضة بطريقة موحدة لا تعكس بالضرورة نطق كل المناطق العربية ، فاللبنانيون

ينطقون بالفتحة الطويلة مالة ويكتبونها بالألف ، يتضح هذا فى أسماء الأعلام فبدلا من ميشيل يكتبون ميشال ، ولكن المشكلة تظهر عند كتابة مصطلح Phonème يكتبها أكثر العرب فونيم ويكتبها بعض اللبنانيين فونام . ولما كانت أسماء الأشخاص غير قابلة للتغيير من هذا الجانب فإن التوحيد المعيارى لنظام كتابة المصطلحات يعد ضرورة من أجل سهولة التواصل وعدم اللبس .

(ز) هناك مصطلحات تتجاوز مجال علم اللغة العام ، وإن كانت مألوفة عند المتخصصين فى علم اللغة المقارن وعند المعنيين باللغات وتوزعها فى العالم القديم والمعاصر . وما أكثر الأخطاء التى تضمها المعجمات المتخصصة فى مصطلحات علم اللغة عند ذكرها لأسماء اللغات . نجد من أمثلة هذه الأخطاء تسمية الجماعات اللغوية المحلية فى داخل المنطقة العربية بأسماء ليست لها نقلا عن اسمها عند الأوربيين ، من هؤلاء البجة أو البجاة الذين يعيشون فى شمال شرق السودان ومنهم جماعات قليلة فى مصر ، فقد ذكر هؤلاء على أنهم البدجية ، وفى معجم آخر : لغة البيجا ، ومثل هذا عند ذكر الدنقلالية نسبة إلى دنقلة فقد ذكرها أحد المعاجم الدنقلية Dongolais ، أما اللغات النيلية فقد ذكرت على أنها النيلوتية Nilotique . وتصدق هذه الملاحظة على أسماء الجماعات اللغوية فى داخل العالم الإسلامى ، فاللغة الآذرية نسبة إلى أذربيجان ذكرت فى أحد المعاجم باسم الآزيرية Azeri .

و تعتمد الأخطاء في تسمية اللغات ، فلا يمكن
مثلاً تسمية اللغة المقدونية باسم الماسيدونية. ومع
مراعاة تنوع بعض أسماء اللغات بتعدد اللغة
المصدر كما نجد في تسمية اللغة البولندية باللغة
البولونية وفي تسمية اللغة المجرية—أيضاً— باسم
المغارية ، فإن هذه الأسماء جزء من المصطلحات
و يتطلب توحيدها الاتفاق على صيغة موحدة—قدر
الإمكان— لأسماء اللغات واللهجات. أما الخلط
بين لغتين مختلفتين فنجد مثلاً عندما يذكر
أحد المعاجم اللاتينية ويعني لغتين مختلفتين
هما اللاتوانية واللتيمة. وثمة أخطاء في المعلومات
تؤدي إلى أخطاء في نقل المصطلحات ،
فمصطلح Attique ويعني الأتيكية نسبة
إلى أتيكا وهي المنطقة التي تقع فيها أثينا نقل
على سبيل التجاوز إلى الآثينية ، والصواب
لأتيكية فلم تكن هذه اللهجة مقصورة على
أثينا .

أما غياب كثير من أسماء اللغات الأفرو
آسيوية واللغات العالمية الكبرى ولغات
الجماعات غير العربية في العالم العربي ولغات
الجماعات الإسلامية التي تربطنا بها علاقات
وثيقة فيعد من القصور الواضح في أكثر
المعجمات التي تذكر بعض هذه اللغات
دون منهج واضح وتذكر عنها معلومات
ناقصة، وذلك مثلاً كان ينسى أحد أصحاب
المعجمات أن الأرامية مازالت تستخدم عند
نحو ربع مليون في شمال العراق مكتفياً
بعبارة خاطئة تنص على أنها لغة سامية

بائدة استخدمت في سوريا وشمال العراق
في الألف الثانية قبل الميلاد . وقد تحولت
هذه اللغة إلى السريانية فيما بعد . ومثل
هذا القصور واضح مثلاً في عدم ذكر
العربية الجنوبية في معجم حافل بأسماء
لغات أخرى . وشبيه بهذا ذكر أن اللغة
البلوشية مستخدمة حالياً في بلوخيستان
(كذا بالخاء ، والصواب بالشين) ولم
يذكر مؤلف المعجم أين توجد هذه المنطقة
في دول العالم المعاصر . وهذا جانب مهم
في بناء معجم يضم أسماء اللغات فهي جزء
من رصيد المصطلحات .

وقد أدى القصور في المعلومات عن
تاريخ الكتابة إلى نقل مصطلح Syllabaire
في أحد المعاجم المتخصصة نقلاً خاطئاً ،
ذكر أنه : أبجدية مقطعية . والصواب
الكتابة المقطعية ، فهو نظام عرفه السومريون
والحيثيون والأكاديون ويعد مرحلة سابقة
على الأبجدية التي تعني تدوين كل صوت
لغوي مفرد بحرف يكتب به ، على النحو
الذي ابتكره الأجهريتيون سنة ١٤٠٠ ق . م ،
وعنهم أخذت أكثر شعوب العالم بطريق
مباشر أو غير مباشر فكرة النظام الأبجدي .
ولهذا كله تتضح مشكلة اللغات بأسمائها
الدقيقة والمعلومات الصحيحة عنها ونظم
الكتابة : الأمر الذي يتطلب عند إعداد
معجم شامل في هذا المجال تعاون عدد كبير

من المتخصصين في هذه المجالات ، وما أكثرهم في مصر .

(ح) تتطلب الترجمة المعيارية الدقيقة لكتب علم اللغة إلى العربية توحيد الطريقة التي تدون بها أسماء الأعلام من اللغويين . ويلاحظ في الكتب القليلة المترجمة عدم مراعاة الضوابط التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعدم وجود طريقة أخرى موحدة تجعل للشخص الواحد اسما واحدا يمكن أن يذكر به دون لبس . ويمكن أن نشير - مثلا - إلى ثلاث ترجمات لكتاب دي سوسير^(١) وفيها ذكر اسم عالم واحد بثلاث صيغ مختلفة (قارن : فريدرش اغسطس وولف ، فردريك أوكست ولف ، فردريك أوجست وولف ، وهو عالم ألماني واحد وليس ثارثة رجال) وفي هذا الصدد لا يجوز نطق أسماء الألمان على أنهم فرنسيون ، أو العكس ، ويتطلب الأمر توحيدا معياريا لتدوين أسماء الأعلام من الشخصيات التاريخية والمؤلفين ، ونظام القارئ إذا طالعناه أن يتصور أن وبلوتس Plautus بلوط Plaute هما

شخص واحد وأن ديزوديتز ودياز أسماء لعالم واحد هو Diez . وأن استوف واستهوف Osthoff شخص واحد ؛ ولهذا تعد إيجاد طريقة معيارية موحدة لنقل أسماء الأعلام الأجنبية إلى الحرف العربي ضرورة مهمة عند صنع معجم يهتم بالأعلام في إطار اهتمامه بالمصطلحات .

(ط) تحاط بعض الترجمات والمؤلفات بين المادة التي تبحث والباحثين المتخصصين فيها . فثمة فرق بين علم اللغة العربية وفيه يسهم باحثون من العرب وغيرهم وعلم اللغة العربي أي جهود العرب في البحث اللغوي . أما علم اللغة الغربي أو علم اللغة الحديث أو علم اللغة المقارن فالوصف هنا للعلم نفسه وليس للغة . بيان ذلك مثلا أن علم اللغة الغربي بمناهجه المختلفة يبحث أكثر لغات العالم ، وليست كل هذه اللغات في الغرب . ومثل هذا لابد من الانتباه إليه لئلا يحدث خطأ في الفهم وفي التعبير . وصفت إحدى ترجمات دي سوسير العالمين الألمانيين تيودور بنفي T.Benfey و أوفرخت Aufrecht بأنهما الباحثان الهنديان ، والصواب أنها متخصصتان في الدراسات

(١) فردينان دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة . تعريب صالح القرمادي ومحمد اشاوش ، وحمد عجينة .

بيروت ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥

فصول في علم اللغة العام . ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية واد باسكين وترجمه إلى العربية أحمد نعيم الكراعين .

الأسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .

علم اللغة العام ، ترجمة بوبل يوسف عزيز ، ترجمة النعم العربي ، الك يوسف الهادي . بغداد ، آفاق عربية

١٩٨٥ (سلسلة كتب شهرية ، ٣) .

الهندية ، ووصفت الترجمة نفسها . العالم الألماني ليسكين Leskien بأنه الباحث السلافي والصواب أنه متخصص في اللغات السلافية . وثمة فرق بين المستشرق والشرقي وثمة فرق بين الألماني والمتخصص في اللغة الألمانية ، ولا يؤدي خلط هذه المصطلحات إلا إلى لبس في الفهم .

رابعاً : آفاق المستقبل :

يتطلب النهوض بعلم اللغة في المنطقة العربية مقومات كثيرة نقتصر هنا على ما يتصل بالمصطلحات .

(أ) ثبت أن المصطلحات التراثية تشكل رصيداً مشتركاً لا بد من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة ولهذا فمن الضروري أن تستمر الجهود الحادة التي بدأت في جامعة القاهرة للدراسة المفصلة لقطاعات محددة من المصطلحات اللغوية في التراث العربي . لقد تجاوز البحث تلك الرؤية العامة للمصطلحات في إطار بحث المدارس النحوية : وأصبح الاتجاه الحالي إلى عمل بحوث متخصصة تحصر مصطلحات البحث الصوتي من مظاهرها في كتب النحاة واللغويين وتبحث أيضاً ما يتصل بأعضاء النطق في كتب الأطباء وما يتصل بالأداء النطقي في كتب البارغيين إلى جانب المصطلحات الواردة في كتب التجويد . أما المصطلحات الصرفية والنحوية

والدلالية والأسلوبية ، فلها مصادرها الكثيرة التي يعتمد عليها في العمل المعجمي المتخصص .

(ب) اتضح أن أكثر الجهود التي بذلت في العصر الحديث بالجامعات العربية اقتصرَت على المصطلحات الأساسية ولم تتجاوزها إلى مصطلحات أكثر عمقا وتخصصا ، فما أكثر المصطلحات التي لم توضع لها مقابلات على الإطلاق . أكثر الباحثين يبدأون من الصفر وينتهون قريباً منه . وقد أدى هذا الموقف إلى تعثر جهود ترجمة الكتب الأساسية في علوم اللغة واكتفى من كان يريد الترجمة بأن يقتبس الأفكار البسيطة في الكتب المترجمة ويتجنب التفاصيل التي لم توضع للتعبير عنها مصطلحات مناسبة . ولن يتقدم البحث العلمي في اللغة بهذا الرصيد المحدود من المصطلحات الحديثة . ولذلك فمن المفيد أن تقتحم هذه المشكلة بخطة موحدة لاستكمال الرصيد الحالي من المصطلحات وتلتزم بضوابط موحدة في وضع المصطلحات وفي تدوين المصطلحات وفي تدوين أسماء اللغات وأسماء الباحثين . ويكون التنفيذ على أساس توزيع واضح لمجالات علم اللغة والمجالات المتصلة به .

(ج) لم يعد من المفيد النظر الجزئي في المصطلح المفرد بهدف إيجاد المقابل العربي له . فإن الكلمة الواحدة قد تختار عند النظر

فى مصطلح ما ثم تختار مرة أخرى عند بحث مصطلح آخر. وبذلك تكون المفهومين مختلفين أو أكثر، ولهذا فمن الضرورى الافادة من الفكرة الأساسية فى علم المصطلحات العام، والتي تقول بضرورة حصر مصطلحات التخصص الدقيق الواحد ووضع مصطلحاتها على النحو الذى يحقق التخالف المنشود ويوضح العلاقات الدلالية المختلفة بين المصطلحات المنتمية إلى مجال واحد أو إلى مستوى واحد من مستويات التحليل.

(د) تعددت التخصصات الدقيقة فى إطار علم اللغة العام وفى إطار علم اللغة التطبيقى وفى المجالات التى تربط علم اللغة بالعلوم الأخرى وما أكثر هذه الفروع. ولهذا فقد يكون من الضرورى فى هذه المرحلة التخطيط لحصر المصطلحات فى داخل كل تخصص دقيق وإيجاد المقابل العربى لها. وليس من المفيد أن يتصدى باحث واحد لكل هذه القطاعات والفروع التى يزيد عددها عن عشرين فرعاً متخصصاً، وقد آن الأوان للقيام بمشروع طموح لترجمة مصطلحات العلوم اللغوية على أساس أعمال فردية متخصصة تتكامل، وتراجع، لتصبح ذات قيمة مرجعية أمام المتخصصين والمعنيين.

(هـ) لم تعد المعجمات التى تخلو من التعريفات مفيدة للقارئ فالمعجمات المتخصصة

التي تكتفى بالكلمة ومقابلها تجعل القارئ يحمل فى حالات كثيرة دلالة كلمة فى لغة ما على كلمة أخرى فى لغة ثانية متوهماً أنه فهم المعنى، ولهذا فإن بعض المعجمات الأوربية المتخصصة فى علوم اللغة تذكر المصطلح بأكثر من لغة مع بيان دقيق للمحتوى فهى فى الواقع معجمات موسوعية متخصصة^(١)، ولم يصدر بالعربية معجم متخصص من هذا النوع لمصطلحات العلوم اللغوية.

(و) من المفيد أن يستمر العمل التسجيلى لتدوين المصطلحات اللغوية المستخدمة فى الكتب والدوريات المتخصصة والدوريات الثقافية، ومنها أيضاً تلك المصطلحات التى أصبحت جزء من اللغة العامة. وهذا العمل مختلف عن وضع معجمات معيارية، وإن كان عمل هذه المعجمات لا يتيسر قبل القيام بالعمل التسجيلى.

(ز) من الضرورى وضع المصطلحات المعيارية موضع التنفيذ فى إطار خطة متكاملة لترجمة المؤلفات الأساسية فى علم اللغة إلى العربية، إلى جانب الكتب الأساسية فى المجالات المتصلة به وفى مقدمتها: علم اللغة التطبيقى، وعلم الأسلوب، وعلم اللغة الاجتماعى، وعلم اللغة النفسى، وعلم المصطلحات. وفى هذا كله فإن توسيع قاعدة القراء المعنيين باللغة بحثاً

(١) انظر مثلاً معجم علم اللغة الذى أعده لفاندوفسكى للمصطلحات بالألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية مع تعريفات وافية ومراجع أساسية بالنسبة لكل مصطلح:

Th. Lewandowski, Linguistisches Worterbuch. Heidelberg, uelle & Meyer, 1976
(1, 2 3).

وتطبيقاً من شأنه أن ينشر هذه المصطلحات
الموحدة ويهذب شوائبها وبصقلها بشكل
نهائي .

(ج) هناك مصطلحات ترد في كتب علم اللغة
كما ترد في كتب العلوم الاجتماعية والإنسانية،
وهناك مصطلحات تصل علم اللغة ببعض
العلوم الطبيعية والفيزياء وعلم الحاسب الآلي ،
ومن المفيد هنا أن تكون الإفادة متبادلة
في هذه المجالات ، وقد آن الأوان لأن
تخطط المؤسسات المعنية بالمصطلحات في

مصر وباقي الدول العربية لإنشاء بنك
للمصطلحات منعا لتكرار الجهود وحرصا
على تكامل التخصصات ، ولن يمكن هذا
التكامل إلا إذا تحدث المتخصصون بمصطلحات
يفهمونها فيما بينهم ويتحدثون بها مع
غيرهم ، وحتى لا يجادلوا أنفسهم يعتقدون
ندوة سنوية في علوم اللغة تناقش فيها قضايا
اللغة العربية ، وتكون كل بحوثها ومناقشتها
بغير اللغة العربية ، على نحو ما يحدث - على
سبيل المثال - في إحدى جامعات المشرق
العربي .

محمود فهمي حجازي

الخبير بالمجمع



دلائل مشتركة بين اللغة العربية والهوسا للدكتور مصطفى حجازي

هذا

البحث هو درا دلالية

لبعض المعاني المشتركة

بين اللغة العربية والهوسا ، وقد اعتمدت فيها على ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال العرب والسنة العامة ، بمقارنا بما ورد في كتب الأدب الهوساوي المذكورة في نهاية هذا البحث ، وقد قسمتها إلى قسمين :

القسم الأول :

هو المعاني المشتركة التي يعبر عنها بألفاظ أو كلمات عربية . أي أن الهوسا تقرض جملا عربية كاملة وتستعملها كما تستعمل الحمل الهوساوية بعد أن يحدث لها بعض التغير كاستبدال الأصوات المعروفة لديهم بالأصوات العربية

غير المعروفة ، والتي يصعب عليهم نطقها كالتخلص من الأصوات التي تخرج مما بين الأسنان على النحو التالي :

/ث/ < /س/ أو /ت/ . /ذ/ < /ز/ ،
/ظ/ < /ز/

أو التخلص من بعض الأصوات الخلقية على النحو التالي :

/ح/ < /ه/ ، /خ/ < /ه/ ،
/ع/ < /أ/ ، /غ/ < /ج/ قاهرية .

أو التخلص من صفة الأطباق على النحو التالي :

ص / < /س/ . /ض/ < /ل/ ،
/ط/ < /ت/ (١)

(١) < تفيد التحول

أو إضافة حرف جر لتعديده المضارع
إلى المفعول به نحو:

ya yarda. رضى

Ya yarda da shi. رضى به

ya fahimta. فهم

ya fahimta da su. أفهمهم

ya halarta. حضر

ya halarta da su أحضرهم

والعبارات التي يدخل عليها التغير الصوتي
المحدود مع الإبقاء على النظام المتبع في اللغة
العربية أكثرها دينية كقولهم :

Alahu akbar الله أكبر

Allahu a' atlamu الله أعلم

Alhamdu lillahi الحمد لله

fisabilillahi في سبيل الله

in sha'allahu إن شاء الله

jalla was' azza جل وعز

la'ilaha illa ilaha لا إله إلا الله

tabarakalla تبارك الله

أو عبارات فقهية كقولهم :

faralu 'ayni فرض عين

أو حذف بعض الأصوات وإضافة
بعض الأدوات حتى تتناسب مع طبيعة
اللغة الصرفية والتركيبية^(٢).

ويشمل هذا القسم العبارات العربية
المقترضة والمعدلة باندخال بعض الأدوات
المستعملة في لغة الهوسا ، كأداة الربط
التي تربط المضاف بالمضاف إليه ، والصفة
بالموصوف ، واسم الحدث في حالة المضارع
المتعدي بالمفعول به ، وأدوات العطف
على النحو التالي :

daftari-n haraji < دفتر الخراج

hadisi-n annabi. < حديث النبي

jama'a-r annabi. < جماعة النبي

Salla-r asuba. < صلاة الصبح

jahili-n liman. < إمام جاهل

duniya da lahira. < الدنيا والآخرة

كما تضاف السوابق الدالة على الزمن
إلى اسم الحدث فيقال :

ya wajaba. وجب

ya fassara. فسر

yana sulla-r azahar. يصلي الظهر

(١) النظر ، الإبدال الصوتي ، الإلصاق الصوتي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، العدد ٤٢ ، ٤٤ على التوالي ،
والحذف الصوتي ، مجلة الدراسات الأفريقية العدد السابع ، القاهرة .
(٢) تستعمل الفصلة / ، / للدلالة على صوت الهمزة .

الحبل» أى ربطته. كما تستعمل فى لغة
الهوسا نفس الاستعمال فيقال :
na daura masa sirdi

ربطت له سرج الحصان .
na daura littafi ga kaya.

ربطت الكتاب مع المتاع .
وتستعمل فى اللغة العربية استعمالاً مجازياً
بمعنى الزواج أو النكاح كما ورد فى قوله تعالى :
«ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
أجله» البقرة آية ٢٣٥
وقوله تعالى :

« وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح .
وأن تعفوا أقرب للتقوى » . البقرة آية ٢٣٧
وتستعمل فى لغة الهوسا نفس الاستعمال
المجازى أى بمعنى تزويج المسلم بالمسلمة
فيقولون .
Bayan an daura aure gari na wayewa.

بعد أن عقدوا النكاح طلع الفجر .

وتستعمل استعمالاً مجازياً فى اللغة العربية
للدلالة على العزم أو اتخاذ القرار فيقال
« عقدت النية على السفر إلى القاهرة » أى
قررت أن أسافر إلى القاهرة . ونفس
الاستعمال المجازى نجده فى لغة الهوسا فى
قولهم :
yanzu ka dauri anniya ka tafi birnin Kib.

فرض الجماعة faralar jama'a
فرض كفاية faralu kifaya

أو عبارات بلاغية كقولهم :

أبد الآباد abadul abadi

بلا حد bila haddin

بشق الأنفس bishikil anfus

كذلك ألف أى أنها تساوى ألفاً

Kamisliki alfun

مئقال ذرة miskala zarratin

سلس القياد SassulKyadi

والعبارات التى تدل على تغافل الحضارة
العربية الإسلامية فى غرب أفريقيا كقولهم :

البحر المالح bahar maliya

البحر المحيط baharul muhid

بيت المال baytulmali

دفتر الخراج daftarin haraji

القسم الثانى :

وهو المعانى المشتركة التى يعبر عنها
باستعمال كلمات هوساوية وعربية . أو
هوساوية فقط ومن أمثلتها :

* عقد daura

تستعمل كلمة عقد فى اللغة العربية
إستعمالاً حقيقياً بمعنى ربط فيقال « عقدت

الآن اعقد النية على الذهاب إلى مدينة

قب .

ya daura anniyar faɗa musu.

عقد النية على أن يحاربهم .

a idon

✽ على عين

العين في اللغة العربية هي حاسة الرؤية
وتستعمل استعمالاً حقيقياً كما ورد في قوله

تعالى :

« وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع » سورة المائدة آية ٨٣
وقوله تعالى :

« فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك
تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت »
الأحزاب آية ١٩

وقوله تعالى

« ألهم أجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون
بها أم لهم أعين يبصرون بها » الأعراف آية
١٩٥

وكذلك تستعمل استعمالاً حقيقياً في لغة
الهوسا فيقال

idanunsa sana buɓe

عيناه مفتوحتان :

haki ya faɗa mini a ido.

دخل القذى في عيني :

وتستعمل استعمالاً مجازياً مسبوقه بحرف
الجر « على » للدلالة على عارضية الأمر وقد
ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم في
قوله تعالى :

« قالوا فأتوا على أعين الناس لعلمهم
يشهدون » الأنبياء آية ٦١ ، ويقول العرب
فعلت ذلك « عمد عين » إذا عمدته بجذ
ويقين ، وكذلك فعلت عمداً على عين - أى
علانية - قال نخفاف بن نديبة السلمى :

وإن تلك نخيلي قد أصيبت صميمتها

فعمداً على عين تيممت مالكا (١) .

وتستعمل نفس الاستعمال المجازي في لغة
الهوسا فيقولون

duk abin da suka faɗi a idon jama'a

كل ما قالوه على أعين الناس « أى علانية .

a idon jama'a ya ci mini mutunci.

نال من انسانيتي على أعين الناس .

a idon jama'a ya buge shi da sanda.

ضربه بالعصا على أعين الناس .

Larai aljannu ne suka taba ta

لقد مسَّ الجَنُّ لارى .

Kama. dawka

* أخذ

الأخذ هو النقل من مكان إلى مكان آخر
فيقال أخذت الكتاب أى نقلته من مكان
ما إلى حوزتى . وأخذت منه المال أى انتقل
المال من يده إلى يدى .

وتستعمل كلمة « أخذ » فى القرآن الكريم
فى معناها التحقيق فى آيات كثيرة منها قوله
تعالى :

« سيقول المخافتون إذا انطلقتم إلى مغنم
لتأخذوها ذرونا نتبعكم » الفتح آية ١٥

وقوله تعالى :

« ومغنم كثيرة يأخذونها ، وكان الله
عزيزاً حكيماً . » الفتح آية ١٩

وقوله تعالى :

« قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا
متاعنا عنده إنا إذا لظالمون » يوسف آية ٧٩ .
وقوله تعالى :

« وأما السفينة فكانت لمساكين يعماون
فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم
ملك يأخذ كل سفينة غصبا . » الكهف
آية ٧٩ .

تستعمل كلمة مس فى اللغة العربية إستعمالاً
حقيقياً فيقال . مسَّ الثوب أى لمسه بيده ،
وتستعمل نفس الاستعمال فى لغة الهوسا
فيقال

Kada ka taba littafin man.

لا تمس هذا الكتاب .

كما تستعمل استعمالاً مجازياً للدلالة على
الضرر والأذى فيقال به مس من الجن أى
أصابه الجن بالضرر والأذى ، وقد وردت
بهذا المعنى فى القرآن فى آيات كثيرة منها
قوله تعالى : « وأذكر عبدنا أيوب إذ نادى
ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب »
« سر رخص آية ٤١ »

وقوله تعالى :

« إن الذين انقوا إذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » ،
الأعراف الآية ٢٠١

وقوله تعالى :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما
يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس »
البقرة آية « ٢٧٥ »

وتستعمل فى لغة الهوسا نفس الاستعمال
المجازى فيقولون

Da ma aljannu ne suka taba shi.

وتستعمل كذلك في لغة الهوسا إستعمالاً
حقيقياً فيقولون : :

ya dauki Kaya zuwa Kano.

أخذ المتاع إلى مدينة كانو .

ya dauko kudin man ya kidaya.

أخذ المال وعده .

ya samo dogwayen sanda guda shida

ya rarraba musu.

وجدت عصي طوال فقسمها عليهم .

وتستعمل كلمة « اتخذ » متعدية إلى كلمة

« عهد » إستعمالاً مجازياً فيقال « اتخذ عهداً »

« أي تعهد » وتورد في القرآن الكريم بهذا

المعنى في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

« أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين

مالاً وولداً أطّلع الغيب أم اتخذ عند

الرحمن عهداً » مريم آية ٧٨ .

وقوله تعالى « لا يملكون الشفاعة إلا من

اتخذ عند الرحمن عهداً » . مريم ٨٧

وقوله تعالى : « اتخذتم عند الله عهداً فإن

يخلف الله عهدك » البقرة آية ٨٠ .

وتستعمل نفس الإستعمال المجازي في لغة

الهوسا فيقال :

na dauka alkawari.

اتخذت عهداً .

ya dauki alkawari zai yi yaki

اتخذ عهداً بأن يحارب .

Ina alkawarin da ke dauka ?

أين العهد الذي اتخذته ؟

وتستعمل إستعمالاً مجازياً كذلك فتأتي

متعدية كلمة « سبيل » للدلالة على السير

كما ورد في قوله تعالى :

« فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما

فاتخذ سبيليه في البحر سرباً » سورة الكهف

آية ٦٠ .

وقوله تعالى : « واتخذ سبيليه في البحر

عجباً » الكهف ٦٣ .

وتستعمل نفس الإستعمال المجازي في لغة

الهوسا فتأتي كلمة ya kama متعدية إلى

hanya فيقولون :

ya kama hanyarsa ya mufi gida.

اتخذ سبيله وقصد المنزل .

Kowa ya kama hanyarsa

كل اتخذ سبيله .

وتستعمل استعمالاً مجازياً للدلالة على النوم

كما جاء في قوله تعالى : « لا تأخذ سنة

ولا نوم » البقرة آية ٢٥٥

وتستعمل نفس الاستعمال في لغة الهوسا
فيقولون . barci ya dauke shi
أخذه النوم .

وتستعمل كذلك استعمالاً مجازياً متعدية
إلى كلمة « روح » للدلالة على الموت فيقال
أخذ ملاك الموت روحه أي مات ، وتستعمل
نفس الاستعمال في الهوسا فيقولون
Allah ya dauki ransa.

أخذ الله روحه أي مات .

*** ضرب** buga

تستعمل كلمة « ضرب » في اللغة العربية
استعمالاً حقيقياً وقد وردت في آيات كثيرة
من القرآن الكريم منها قوله تعالى :

« وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب
بعضاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة
عيناً . » البقرة آية ٦٠ .

وقوله تعالى : « فأوحينا إلى موسى أن
اضرب بعضاك الحجر فانفلق فكان كل فرق
كالطود العظيم . » الشعراء آية ٦٣

وقوله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن »

النساء آية ٣٤

وتستعمل كذلك في لغة الهوسا استعمالاً
حقيقياً فيقال ya buge shi da sanda.

ضربه بالعصا

Da ka ga ya tsaya. sai ka dauki kulki
ka yi ta bugunsa.

عندما تراه يقف ، خذ عصاً غليظة
واضربه كثيراً .

Da ganinsa Isa ya tashi ya yi ta bugunsa
بمجرد رؤيته قام عيسى وضربه كثيراً .

وتستعمل استعمالاً مجازياً للدلالة على السعي
في الأرض إبتغاء الرزق وقد وردت بهذا
المعنى في آيات كثيرة منها قوله تعالى :
« وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم
جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن
يفتنكم الذين كفروا . » النساء آية ١٠١

وقوله تعالى : « علم أن سيكون منكم
مرضى وآخرون يضربون في الأرض
يبتغون من فضل الله » المزمل آية ٢٠

وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا
في الأرض أو كانوا غزًى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم . » آل عمران آية ١٥٦ .

وتستعمل نفس الاستعمال المجازي في لغة
الهوسا فيقال

Ba inda ba ya bugawa har birnin sin ya
tafi.

ya buga hatimi akan takarda.

طبع الخاتم على الورقة .

Am buga mini takardun gayyatar biki.

طبع لي تذكر الدعوة للفرح :

Alkalami ya bushe

✽ جف القلم

إذا أراد الإنسان أن يعبر عن إنتهاء الأمر
أو نفاذ مشيئة الله قال « جف القلم » وقد
وردت هذه العبارة في حديثين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم .

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما -
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فأتى
عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور
اهتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول جف
القلم على علم الله »

رواه الترمذى في سننه .

وجاء سراقه بن مالك بن جعشم قال
« يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن
فيما العمل اليوم ؟ أفيا جفت به الأقلام
وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال : لا فيما
جفت به الأقلام وجرت به المقادير . » رواه
مسلم في صحيحه .

وتستعمل نفس العبارة في لغة الهوسا
للدلالة على نفس المعنى فيقال :

Ladid ba ta nemi taimako ba sai da
alkalami ya bushe.

لم يوجد مكان لم يضرب فيه حتى بلاد
الصين ذهب إليها .

Sau biyu yana bugawa hai zuwa
Masar don neman ilmi.

سيذهب مرتين إلى مصر لطلب العلم .

Na bugi gabas na bugi yamma ban same
shi ba.

ذهبت شرقاً ، وذهبت غرباً فلم أجده .

وتأتى كلمة ضرب في اللغة العربية
كمصطلح علمي في مجال الحساب للدلالة
على تضعيف العدد فيقال

إذا ضربت ٦×٥ صار الناتج ثلاثين .

وتستعمل في لغة الهوسا نفس الإستعمال
فيقال .

In Ka buga uku cikin goma su
zama talatin.

إذا ضربت ثلاثة في عشرة صارت ثلاثين

In ka buga daya sai goma Sai ya zama
goima.

إذا ضربت واحداً في عشرة صار عشرة .

وتستعمل في اللغة العربية بمعنى سك
العملة أو ختم بالخاتم فقد كان يكتب
على العملة الفضية « ضرب في القسطنطينية »
أى سكّت أو طبعت في القسطنطينية
وتستعمل نفس الإستعمال في لغة الهوسا فيقال

لديدي لم تطالب المساعدة إلا بعد نفاذ الأمر :
alkalami ya bushed

جف القلم أى نفذ الأمر .

* النداء للصلاة Kiran salia

تستعمل عبارة « النداء للصلاة » بمعنى الأذان وهو الدعوة للصلاة ويقال « نودى للصلاة » أى أذن المأذن للصلاة وعليه قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » الجمعة آية ٩ :

ويستعمل نفس الإستعمال فى لغة الهوسا فيقال :

aka yi kiran salla.

وهى ترجمة حرفية لقولنا « نودى للصلاة » .

Garba tashi ana Kiran salla.

يا أبا بكر قم ينادى للصلاة

ya kasa barci don murnar har aka yi karni salla.

عجز عن النوم لشدة الفرج حتى نودى للصلاة :

* الله قدر Allah ya Kaiddara

من شروط الإيمان بالله « الإيمان بالقدر خيره وشره وامثالا لهذا الأمر يستعمل

المسلمون عبارة « الله قدر علينا هذا الأمر ويستعمل الهوساويون عبارة « Allah ya Kaddala وهى ترجمة حرفية لقولنا « الله قدر » يقولون

Allah ya kaddara wannan al'amari bisa gare mu.

الله قدر هذا الأمر علينا .

Cewa haka Allah ya kaddara

إنه هكذا قدر الله .

hakika yadda Allah ya kaddara abu duk yake faruwa.

وهو ترجمة حرفية لقولنا « حقيقة وقع الأمر كله كما قدر الله » ودائما يسبق القدر

التمنى فقد كتبه الله سبحانه وتعالى علينا منذ الأزل وللدلالة على هذا المعنى يقال فى الهوسا .

Kaddara tu riga fata.

وهو ترجمة حرفية لقولنا « القدر سبق التمنى »

Amma kaddarar Allah ta rigaya ta cika.

أما قدر الله سبق ووقع .

* بكاء حاراً Kuka mai zafi

إذا حزن الإنسان حزناً شديداً يعبر عن ذلك فى اللغة العربية بقولهم « بكى بكاء حاراً » وهذه العبارة تترجم حرفياً إلى لغة الهوسا فيقال .

ya yi kuka mai zafi

بكى - بكاء - حاراً .

Da Au du ya mutu Tanko ya yi kuka
mai zafi

عندما مات عبده بكى تنكو بكاء حاراً .

* ايقظ الهمة

ta da himma

إذا نشط الإنسان في أداء عمل من الأعمال
أو حرك مشاعر الناس وقلوبهم لأداء عمل
من الأعمال بهمة ونشاط قيل أنه «أيقظ الهمة»
ونفس المعنى يعبر عنه في لغة الهوسا بقولهم
ya ta da himma

وهي ترجمة حرفية لقولنا «أيقظ الهمة»
يقال .

Lade ya ta da himmar karatu.

لادو نشط في الدراسة .

Bera ya ta da himma

نشط الفأر في عمله .

* عين الرحمة

idon rahama

وإذا أظهر الإنسان العطف والشفقة
على إنسان آخر يعبر عن ذلك في اللغة
العربية بقولنا «نظر إليه بعين الرحمة»
وتستعمل لغة الهوسا نفس العبارة للدلالة
على الشفقة والرحمة فيقولون :

Soja ba ya duban mutum da idon
rahama.

الشرطي لا ينظر للإنسان بعين الرحمة .

Ana dubansa da idon rahama.

ينظر إليه بعين الرحمة .

* باب الرزق

kofar arziki

وإذا أراد الإنسان أن يدعو لأخيه بالثراء
والغنى «قال فتح الله لك أبواب الرزق»
ونفس العبارة نجدتها في لغة الهوسا في قولهم

Musa da ya shiga kasuwa Alla ya buda
masa kofar arziki.

عندما دخل موسى السوق فتح الله له باب
الرزق .

Allah ya buda mana kofar arziki.

فتح الله لنا باب الرزق .

* في الحساب

Cikin lissafa

وإذا أراد الإنسان أن يظهر أنه لا يتم
بالأمر ولم يقيم له وزناً قال «لم نضعهم في
الحساب إذ لم نحسب لهم حساباً»
وهكذا يقال في الهوسا .

Ba mu mus sa su cikin lissafi.

لم نضعهم في الحساب .

Ban dauki Garba mutum ne ba saboda
haka ba na sa shi a cikin lissafi

وهي ترجمة حرفية لقولنا ، «لاهم هنا ،
ولا هم هناك» ويبدو أنه إستعمال شعبي عامي.

لم أعتبر أبدا بكرر إنسانا لذلك لا أضعه
في الحساب . [١٣]

* لا هم هنا ولا هم هناك

ba su nan ba su ean

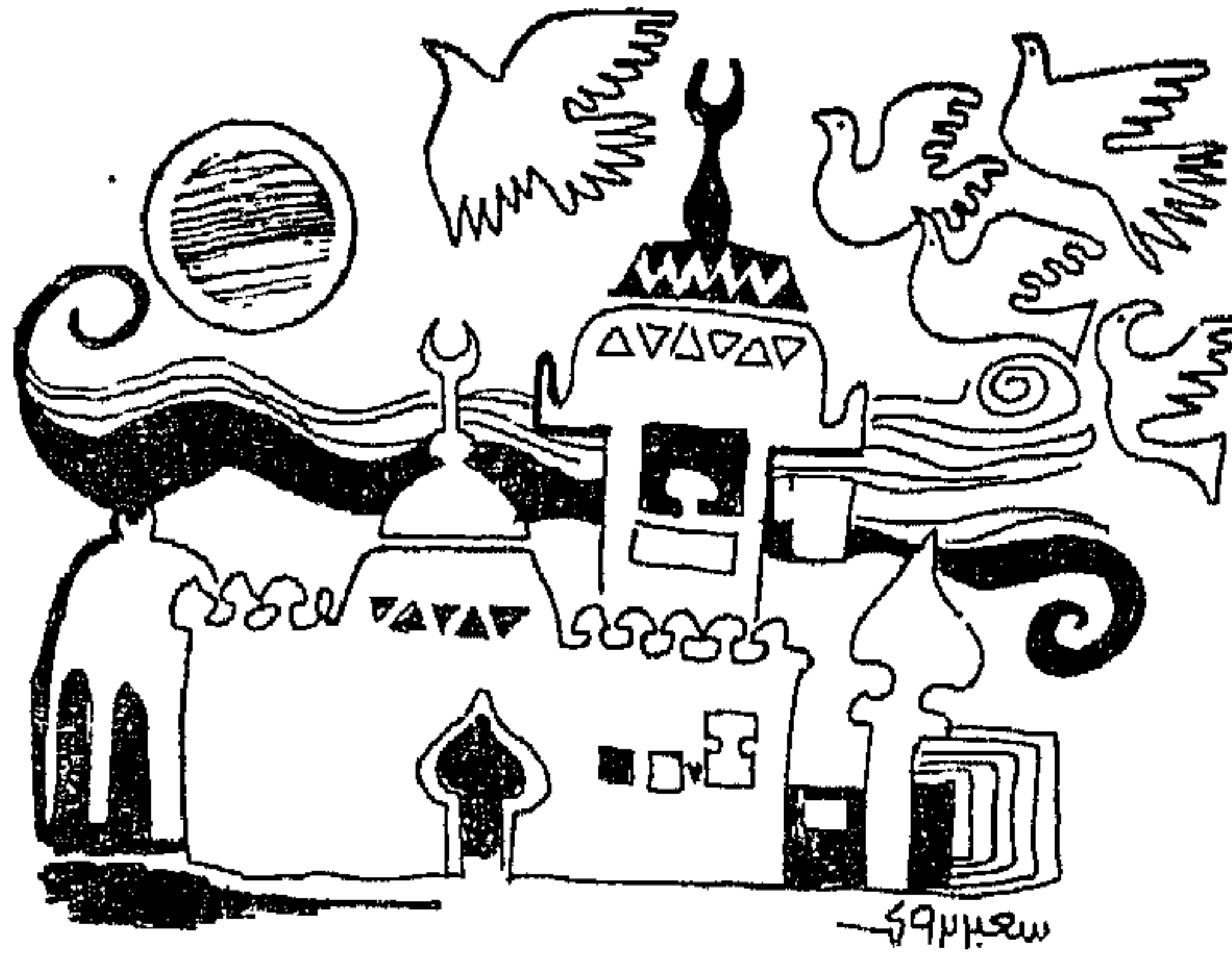
تستعمل عبارة « لا هم هنا ولا هم هناك »
في اللغة العربية مرادفة لقولنا « لا في العير
ولا في النفير » أي لا أهمية لهم ، ولا مكان
لهم في المجتمع ، ونفس المعنى يعبر عنه في
لغة الهوسا بقولهم .

ba su nan ba su can

وهكذا إذ تتبعنا المعاني المشتركة بين اللغة
العربية والهوسا نجد الكثير منها ، وما ورد
في هذه الدراسة القصيرة مجرد نماذج فقط
لهذه الظاهرة اللغوية المشتركة .

مصطفى حجازي

أستاذ لغة الهوسا وآدابها
معهد البحوث والدراسات الأفريقية



مصادر المادة العلمية

أولا : المصادر العربية :

١ - إسماعيل حماد الجوهري : الصحاح

٢ - مصطفى حجازي السيد

(١) الإبدال الصوتي مجلة مجمع اللغة العدد ٤٢

(٢) الإلصاق الصوتي ، مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٤٤

(٣) الحذف الصوتي مجلة الدراسات الأفريقية العدد ٧

(٤) العبارات العربية المقترضة في لغة الهوسا : مجلة الدراسات الأفريقية العدد ٩

ثانيا : المصادر الهوساوية :

1. Abraham Dictionary of the Hausa Language university of Lodon press 1973
2. Balewa. Abubakar : Shaihu Umar. N.N.P.C. 1973.
3. Bello walin Katsina : Gandoki : N.N.P.C. 1973.
4. Imam - Abubakar
 1. 'Magana jari ee I II III N.N.P.C. 1973.
 2. Ruwan Bagaja N.N.P.C. 1973.
5. Ingawa. Ahmadu : Iliya dan Maikarfi. N.N.P.C. 1973.
6. Wusasa Tafida : Jiki Magayi N.N.P.C. 1973.

ثلاثة من المستعربين

للدكتور حسين مجيب المصري

على تعلم لغة القرآن والشرع ، وبذلك تعددت العلوم اللسانية والدينية وأحاط المسلمون بالأصول والفروع وترتب على ذلك الأمر قيام كيان مرموق للمعارف على تباينها وتشعبها . والفضل على الأخص لمن لم يكن لهم في العرب نسب ، وإن أصبح العرب وغير العرب في الدين والعلم بنى رحم ؟

ولنا أن نضيف إلى ذلك قولنا : إن لغة الضاد أصبحت لغة الفرس حتى بعد أن تأتى لهم أن يقيموا لهم دويلات مستقلة عن دولة العباسيين . وعقدوا أكيد العزم على أن يبعثوا حضارتهم الكسروية حية ، وهى التى قضى عليها العرب من قبل . واعتزوا بالفارسية على أنها مظهر لقوميتهم غير أن الفارسية عجزت العجز كله عن الوقوف على قدم المساواة أمام لغة الكتاب والحديث والدين وظلت اللغتان أشبه ما تكونان بكفتين تراجيحان - إلا أن الرجحان كان فى الأعم الأغلب للعربية التى كان العلم بها والتضلع منها أوجب واجب على الفارسى عالما كان أو

أننا قلنا إن غير العرب من المسلمين أثروا فى أعماق

لو

تراثنا وأبعاده وعمومه الإسلامى وخصوصه العربى ، لما علمنا ما لم نعلم ولا قدمنا إلى معروف القوم ومألوفهم مزيدا ولا جديدا . فنحن جميعا على ذكر من قوله لابن خلدون يؤخذ منها أن حمالة العلم فى الملة الإسلامية أكثرهم العجم ، ذلك إلى أن العرب فى صدر الإسلام لم يكونوا أهل تعاليم ولا تدوين ، فما كادت حاجتهم تمس مسا شديدا إلى مثل هذا لأنهم كانوا فى غنية عنه بالأخذ المباشر عن كتاب الله المبين وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابه رضوان الله عليهم . ولكن من يوم دولة بنى العباس فما بعد . مست الحاجة إلى وضع تفاسير القرآن وتقييد الحديث وكل ما هو متصل بها يقرب مأخذها وييسر منها كما فسدت الألسنة لاختلاط العرب بالفرس فاحتيج إلى تقويم لسان العرب بشتى العلوم . كما تعلم الفرس العربية ودخلوا فى دين الله أفواجا . فكان من الحتم عليهم أن يضعوا من التأليف والتصانيف ما يعينهم

بليغا . واقتدر من علماء الفرس على التأليف والتصنيف بالعربية والفارسية في وقت معا ، كما كان من شعراء الفرس من نظم ونثر بالعربية والفارسية جميعا . وعرف أولئك الشعراء بأصحاب اللسانين . وبذلك الشئانية في لسانهم إتسع لهم نطاقهم العلمي والأدبي ، وفهم عنهم قولهم من بعد عرب لا علم لهم بلغة الفرس إلى جانب فرس ربما ضعف علمهم بلغة العرب . وتلك نقطة تحول في تاريخ الحضارة الإسلامية فبعد أن كان التراث الإسلامي في العربية ليس إلا ، أصبح في العربية والفارسية . وكان من أمثال هؤلاء هذا التراث الإسلامي عرب وعجم في قاصية الشرق وقاصية الغرب ومن أطباء اللسانين من كان مقلا في الشعر العربي ، وليس له إلا عدد من الصفحات ضمن ديوان كبير من شعره الفارسي مما يدل على أنه إنما نظم في العربية ذهبا منه إلى المباهاة بسعة علمه بلغة الضاد . كما أن منهم من كان منكرا وفصاحة في عربية تعدل فصاحته في فارسيته . وهنا يرد على الخاطر اسم سعدى الشيرازي من أهل القرن السابع الهجري وهو شاعر نادر من أعلام الأدب الفارسي الذين استفاضت لهم الشهرة في آفاق المشرق والمغرب على حد سواء . ولقد حصل العلم في المدرسة النظامية ببغداد ، وتعلم بلهجتها بذي القرنين ، برز على من زاملوه في طلب العلم فكان

إذا أحسن في تفسير الحديث دب ديب الغيرة في نفوسهم ، واشتد عليهم أن يكون للفارسي عليهم الدرجة والمنزلة . والظن الأرجح أنه نظم طائفة من شعره العربي أثناء مقامه في بغداد التي توثقت بها صاته طالبا في مدرستها النظامية ومدرسا وهو بسبب من ذلك يحمل لها في نفسه أثرا أطيب من ريح المسك . ولا غرو فقد قضى فيها صابر شبابه عاكفا على الدرس واصلأ أسبابه بكل من أقام بها ووفد عليها من أهل العلم والأدب . ومثل هذا من شأنه لا شك مفسر لنا اختصاصه أياها بأروع ما فاقت به قريحته من شعر عربي . فقد تفجع عليها وتوجع لها بعد أن غلب التتار عليها فسبوا بواسق مبانها بالأرض هدماء ، وطرحوا في دجلة نفائس مكباتها ، ووضعوا السيف في أهالها ، وأوردوا مواردها لأكف من فيها من علماء وباءاء ، وطمسوا معالم حضارة الإسلام على نحو ينظر له قلب الحجر . وسعدى الشيرازي يعبر عن أثر تلك النكبة التي حاقت ببغداد كعبة العلم وحاضرة حضارة الإسلام آنذاك بقصيدة له عربية تتألف من اثنين وتسعين بيتا ، وهو ناطق عن نفسه وعن كل مسلم لا ريب يجزع لهول الزوع مما يقوم دليلا على أن الفجيرة تقطعت لها نفس جسرات وزلتها في أعماقها فظهر ذلك في شعوره وتعبيره . إن القصيدة لا تتأسك في وحدة فالشاعر يتنقل فيها بين أغراض شتى

وإذا طرق معنى خرج منه بغتة إلى معنى آخر .
ففي ديباجة القصيدة يبدو حزينا حزينا يتأسف
ويتلهف ويقلب كفيه على ما آلت إليه حاضرة
الخلافة فيقول :

حبست بعيني المدامع لا تجرى

فلما طفي الماء استطال على السكر

نسيم صبا بغداد بعد خرابها

تمنيت لو كانت تمر على قبري

لزمت اصطباري يوم كنت مفارقا

وهذا فراق لا يعالج بالصبر

بكت جدر المستنصرية ندبة

على العلماء الراشدين ذوى الحجر

مررت بصم الراسيات أجوبها

كخنساء من فرط البكاء على صخر

ويمضى سعدى طويلا في وصف دمه

المتدفق وقابه المتحرق ثم ينتقل من هذا العموم

إلى الخصوص لتدركه الرقة على الخليفة

المعتصم وكان لين العريكة ضعيف البطش .

ويأخذه الأسى لمصرعه ووقوع بناته في

الأسر ، ويحز في نفسه أن يذكر اسم غيره

على المنابر ، ويسميه المعصوم ويبشره بأن له

أجر الشهداء وعند الله حسن الجزاء ويعود إلى

وصف بنات الخليفة وهن يسقن سافرات ،

وما لحق برجال دولة بنى العباس من مهانة ومذلة

مما تتأذى به نفس كل حر . إلى أن ينطلق على

سجيته في شغفه بالقول في الحكمة والموعظة وبذل
النصح فيغلاظ اللائمة على كل جبار في الأرض
ويشير إلى أن الإيام دول والدهر ذو غير

ويهيب بالمغرور أن يفيق من نشوة غروره .

وبالشامت أن يكف عن جهالته وشماته ، لأن

الدنيا يوم لنا ويوم علينا فهذا الشاعر الفارسي

في واقع الحال مؤرخ ثبت بقصيدته تلك التي

لا نعرف قصيدة تعدلها في مضمونها المفصل .

وتعبرها البين عن شعور المسلمين كافة

بمضض تلك النكبة . وما اكتفى بأن ينظم

بالعربية في هذا الصدد . بل شاء أن يجمع

بين الحسينيين ، مؤكدا مؤيدا . فنظم بالفارسية

قصيدة تعد تمة للقصيدة العربية في مضمونها .

وكأنما شاء لقوله أن يكون متردد الأصداء في

آفاق المسلمين جميعا على تباينهم في جنسهم

ولسانهم ، وبمثل هذا يجمعهم على وحدة في

شعورهم وتفكيرهم . ولسعدى صيت بعيد

بأنه شاعر الإنسانية وأشهر وأكبر أخلاق في

أدب الشرق الإسلامي . فإلى جانب شعره الفارس

الذي يعده شعراء الفرس مثالا يحتذى ، له كتاب

بعنوان كلستان كلمتان بمعنى الروضة ، ويتضمن

حكايات قصارا منها ما يستمد من تاريخ

المسلمين ، ومنها ما يبتكره لتمثيل والتخييل

وعرض المثل والقيم الإسلامية التي بها صلاح

أمر العالمين في دنياهم وأخراهم . وبها يهدي

لتي هي أقوم في نرفني رائع يتخلل شعر فارسي

وعربي وحكم وأمثال . وبلغ من قيمة ذلك

الكتاب أن ينقل إلى لغات الشرق والغرب .

ولأهل الغرب تقدير له على أنه يمثل نزعته
إسلامية خاصة . وأخرى إنسانية عامة ،
ومبلغ علمنا أنه الكتاب الأوحى من كتب
التراث الإسلامى الذى يسمو إلى مثل تلك
المكانة عند أهل العلم والأدب فى الغرب خاصة
وهم يتخيرون الأمثل والأفضل نموذجا من
تراث الإسلام ، فذلك الكتاب جامع للتراث
الإسلامى فى شتى جوانبه وأهم مظاهره .

والترتيب بعد سعدى الشيرازى على فارسى
آخر هو بهاء الدين العاملى المعروف فى إيران
بشيخ بهائى وهو من أهل القرن العاشر الهجرى
ومن أصحاب اللسانين . وله واسع الشهرة
بالتضلع من الفارسية والعربية والتأليف فيهما
جميعا والتبحر فى أفانين العلوم ، وما كان
معروفا فى بلاده ليس إلا بل فى الشام والهند
ومصر كذلك ، وقد تحدث عن نفسه بشعر له فى
الفارسية بما ترجمته (أنا وحيد وفريد العصر
ومن رقم كاتب القدرة اسمه على كل باب
وجدار مقرونا بعلو القدر . بأى ديار مررت
تسمع غنى . وبأى أرض أقت تعرف شأنى) .
والعاملى من أكثر شعراء الفرس تطاعا إلى
القرآن . يضمن شعره آيات منه مستمدا
حججة لما يقول — كما أن له ستة تصانيف
فى التفسير . منها حل حروف القرآن — وخواشى
على تفسير الكشاف — وشرح لتفسير
البيضاوى وحاشية عليه . ولقد تمذهب
بالتصوف وتبوأ منصب شيخ الإسلام فى
أصفهان . وله فضل فى التفسير تحقيق بالذكر .

فبينما كأن المفسرون يطوعون تفسيرهم لخاص من
مذاهبهم كأن يتأثر الصوفى بتصوفه ، والنحوى
بنحوه ، والبلاغى ببلاغته ، والأخبارى ،
بأخباره ، مما أقضى ضرورة إلى صرف بعض
المعانى عن وجهها وخروجها عن حقيقتها
بالتخريجات والتأويلات . جعل بهاء الدين
العاملى على نفسه أن يستمسك بالعلم وحده
ذلك العلم الذى كان أغلب عليه من الأدب
والشعر . فكان استشهاده بالآيات مستقيما
وتفسيره لها صحيحا سائما . وقيل عنه إنه شيخ
المنتهى وأستاذ الحكماء ورئيس الأدباء ولما وفد
على مصر . استقباه علماءؤها وفضلاءؤها
بالترحاب . وفى طليعتهم السيد البكرى —
قيل إنه قال له : يا مولاي أنا درويش فقير
فكيف تعظمنى هذا التعظيم . فرد عليه البكرى
قائلا : شمت منك رائحة الفضل . وجرت
بينهما محاورات وقال كل منهما شعرا رد عليه
صاحبه بمثل معارضا مساجلا . وحقيق بالذكر
أن مطبعة بولاق فى أول عهد إنشائها طبعت من تأليف
بهاء الدين العاملى ما لم يطبع له فى بلاد آخر
فطبع له الكشكول والمختارة وأسرار البلاغة
وخلصة فى الحساب وغير ذلك من بعض
ما ألف بالفارسية ككتاب عنوانه نصيحة أهل
العلم والحجى بلسان القط والفأر وقال
ناشره فى مقدمته إنه يرى وجهها للشبه بينه
وبين لا فونتين — ويذهب إلى أن خيال ذلك
الفارسى أوسع وأروع من خيال الفرنسى .
ويتجاوز ذلك إلى قوله إن العطاء الروحى

والفكرى لجلال الدين الرومى أكبر وأشهر شعراء التصوف من الفرس يفضل عطاء العاملى فى الجلال ، إلى أن عطاء العاملى يفوقه فى الجمال . ولعل أشهر ما أخرج بهاء الدين العاملى كتاب الكشكول . والكشكول فى الفارسية بمعنى المحلاة . وكأنما شاء صاحبه أن يجعل منه زاد أهل العلم ، لأنه يحتوى أشدّات من معلومات يتألف منها قوام الثقافة بتمام المعنى . ولقد ألفه أثناء مقامه فى القاهرة ويذهب بعض الدارسين إلى أنه اختار عنوانا فارسيا لكنه عربى رغبة منه فى أن يجمع العرب والفرس فى وحدة ويصل بين التراث العربى والفارسى برابطة ، والتقريب بين هؤلاء وهؤلاء بالتعريف بعادات الفرس وبلادهم والخاص من شئونهم - لعقد الصلات بين أخوة الإسلام من عرب وفرس . وهذا من صنيعة محاولة للمزج بين الثقافة العربية والفارسية . ونزعة الإسلامىة تتوضح فى أنه لم يتعصب فى كتابه هذا لمذهب على مذهب ولم لشعب على شعب . وجعل من كتابه أشبه شئ بجامعة للمسلمين أجمعين فذكر الباغاء والفضلاء منهم جميعا من عرب وفرس وترك ، وبذلك أضاف إلى التراث الإسلامى جديدا فى منهجيته وغايته وقيمته .

وبعد هذين المستعربين الفارسيين يتسع المجال لذكر مستعرب تركى هو فضولى البغدادى من أهل القرن العاشر ويعد بحق

الأديب الإسلامى بالمعنى الأدق . ولشرح ذلك نقول إن مفهوم الأديب أو الشاعر عند الترك فى العصور القديمة مختلف عنه عند العرب - فالشاعر التركى القديم كان إلى كونه شاعرا كاتباً عالماً بشئى العلوم الفعلية والنقلية مؤلفاً فى كل فروع المعرفة ، راسخ القدم فى علمه بالفارسية والعربية إلى جانب التركية واسع الإطّار على أدب العرب والفرس . وتلك صفات تجرى على فضولى الذى نراه أمير الشعر التركى القديم ولا جدال ، وعبرى الأديب الإسلامى بلاد منازع . فقد نظم ونثر وألف وصنف بالتركية والعربية والفارسية جميعا . ويسر له ذلك كونه من أهل بغداد مجمع ثقافات العرب والفرس والترك . نظم فضولى الشعر فى العربية ، وذكر فى مقدمة ديوانه التركى أنه نظم الأراجيز بها . كما قال فى مقدمة ديوانه الفارسى إنه أطرب فصحاء العرب بفنون الشعر العربى وكان النظم بالعربية أمرا سهلا المأل سلس المقادة لأنها لغة العلوم التى يستبطن دخالها ، يحيط بأصولها وفروعها . وقيل إن ديوانه العربى يتألف من ثلاثين ألف بيت وهذا ما يستدل منه على أنه كان مكثرا ، خاصة إذا أضفنا إليه ما أورده عرضا من شعر عربى إلى جانب شعر تركى وفارسى فى كتبه المنظومة والمنثورة . وهذا مثال من شعره فى النمط المعروف بالدوبيت :

يا من بسط الأرض وأجرى الأفلاك
أدراك كمالك كمال الإدراك
في الأرض والسماء لا رب سواك
لا نعبد يا واحد إلا إياك

وقمين بالذكر أن الاجماع منعقد على أن سوق
الأدب قد كسبت في العراق في عهد فضولي، وهو
يبين عن ذلك في شعره التركي ويقلب عليه كفيه
محزوناً شاكياً، وكان ذلك شأن الأدب العربي
والفارسي على سواء^٩ فانفراده بالعبقريّة
يرفعه درجات ويقدمه خطوات، ويشهد
بأنه تميز بما ليس لسواه. وهذا يدل على
كثير. وما دمنا في ذكر فيض خاطره في
الشعر العربي فلانشر إلى كتاب له بالعربية عنوانه
مطلع الاعتقاد. وهو كتابه الأوحى في لغة
الضاد. وما هو بكتاب في الأدب. بل كتاب
يجمع بين دفتيه فنونا من المعارف من
معقول ومنقول، وتبينا لشتى التيارات
الروحية والفكرية التي ماجت بها البيئات
الإسلامية، وما عن له من رأى فيما كان
مثارا للجدل وسببا للخلاف. على نحو
يبدو فيه بعيد مطرح الفكر يغوص على
الحقائق، ويكد الفكر في الكشف عن
الغوامض. فالكتاب إعلمي بحث لا يخالف فيه
صاحبه على كلامه زخرف البلاغة بل يصرف
عنايته كل عناية إلى الإفادة التي لا تنحصر
إلا في جعل اللفظ على قدر المعنى. ففضولي في
مطلع اعتقاده أهل علم يجادل ملتزما حدود
المنطق. مستمسكا بالحجة آخذا بالمشيقن
لا بالمظنون. وبذلك يتكشف عن جانب فيه

إضافة إلى جوانبه الأخرى وما أكثرها.
وغنى عن البيان أن مثل هذا من تعدد جوانبه
يخرج به عن المتعارف المؤلف من شأن
العباقرة الذين نادرا ما يبرزون إلا في فن
من الفنون، أما هو فتبريزه في كثير كثير. أما
شعره التركي فهو فيه شاعر القلب وسلطان
الآلم كما يمكن أن يسمى والشاعر الغنائي
الذي لا نعرف له نظيرا في أدب الترك
القديم اللهم إلا في الندرة. وعندنا أنه أشعر
شعراء الفارسية في زمانه وأكتب كتابها.
وما نكاد نعرف غرضا ولا فنا في الشعر إلا
وجدنا له فيه روائع المنظومات في التركية
والفارسية، وكل ماله ينماز بالطابع الإسلامي
الجلي. كترجمته إلى شعر تركي أربعين حديثا
للنبي صلى الله عليه وسلم عن الفارسية،
ونقله إلى التركية نثرا أخبار شهداء أهل
البيت رضى الله عنهم - وذكر كل ما فاقت
به قريحته نظما ونثرا في التركية والفارسية
والعربية قد تكون فيه الإطالة التي تخشى
معها الملالة.

أما ما يستخلص مما سلف القول فيه فهو
أن تراثنا الإسلامي تتوزعه اللغات الإسلامية
على تعددها لا العربية وحدها. وهذا التراث
يتشكل من أصول تنشعب عنها فروع وفروع
ومقوماته متداخلة متكاملة متألفة: وليس
من نسبة الفضل إلى غير ذويه قولنا إن غير
العرب ساهموا بالخط الأول في إقامة مرموق
الكيان لذلك التراث كما كان من صنيع العرب.

حسين مجيب المصري
الخبير بالمجمع

الأعراب ظاهرة جمالية

للكنوز عبد الحميد إبراهيم

يورد

ابن فارس أمثلة ،
تكشف عن أن عامة

قد درس وأنت عليه الأيام ، ه قل في أيدي
الناس تداوله ، حتى جاء أبو الأسود الدؤلي
فجدده (١) .

الأعراب لم يعرفوا نحو ولا إعرابا .
فقد سئل أحدهم : أتهمز إسرائيل : فقال
إني إذن لرجل سوء . وقيل لآخر : أتجر
فلسطين ؟ فقال : إني إذن لقوى . وسمع
بعض فصحاء العرب ينشد :

نحن بنى علقمة الأخيارا .

ف قيل له : لم نصبت بنى ؟ فقال : ما
نصبتة .

فالأعراب ليس سليقة تجرى على السنة
الأعراب كما تدعى النبرات الحماسية ، وليس
هو شيئا شائعا بين الناس لا يحتاج إلى تعليم
ومهارة ، بل هو صناعة اكتشفها أبو الأسود
الدؤلي أو غيره . ثم شاعت بين الناس ، حتى
أصبحت دلالة الذكاء .

فالأعرابي لم يعرف من هذه المصطلحات
إلا معناها اللغوي ، الذي يعنى الضغط
والعصر في حالة الهمز ، والشد في حالة الجر
والإقامة في حالة النصب ، ووقف مستغربا
أمام المصطلحات النحوية .

فاو تجرأ أحد وخرج على هذا النسق
لتعرض للتندر من النحاة ، والسخرية من النقاد
ودنت مرتبته في كتب الطبقات ، حتى لو
كان محيدا في جوانب الخيال والتفنن البلاغي
وبذلك تحول النحو إلى قيمة شرفية ، تقاس
به أقدار المثقفين ، ويحرص على التحلي بها
جمهرة الأدباء والبلاغيين .

وقد تبدو على هذه الأمثلة نسخة التندر
وقد لا يوافق عليها ابن فارس ، ولكنه مع
ذلك يرى أن علم النحو، وإن كان قديما، فإنه

(١) المزهري ٢ / ٣٤٥ وقد ولد أبو الأسود الدؤلي بمكة ثم رحل إلى المدينة ، فروى عن عمر وقرأ على عثمان
وعلى ، ثم توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ .

وحين تحدثت كتب النحاة عن وظيفة الإعراب ذكرت أنه يؤدي إلى فهم المعنى ، فهي من حيث تشعر أو لا تشعر ، تجعل الإعراب هو اللغة ، فتخلط بين وظيفة اللغة كوسيلة للفهم ووظيفة الإعراب ، الذي استبد وسيطر حتى أصبح هو اللغة نفسها ، وإن اشتقاقه يدل على هذه الوظيفة ، فهو من أعرب الرجل عما بنفسه ، إذا أبان وعبر عن داخله ؛ وذلك لأن بالإعراب تتميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين ، وذلك أن قائلا لو قال « ما أحسن زيد » غير معرب لم يوقف على مراده ، فإذا قال : ما أحسن زيدا ! وما أحسن زيد ؟ أو ما أحسن زيد ؟ أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده » (١) ويمضى السيوطي في نبرة افتخار لم يعترض عليها النحاة قبله أو بعده ، فيذكر أن للعرب في ذلك ما ليس لغيرهم ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني .

لأنها القيمة الشرفية لذن التي تميز العنصر العربي ، ويسوق السيوطي الأمثلة التي تدل على تلك الوظيفة ، فهم يقولون : هذا غلاما أحسن منه رجلا ، يريدون بذلك الحال في شخص واحد ويقولون : هذا غلام أحسن منه رجل ، فهما إذن شخصان . ويقولون : كم رجلا رأيت ؟ في الاستخبار ، وكم رجل رأيت ، في الخبر يراد به التكثير ويقولون جاء الشتاء والخطب إذا لم يرد

ان الخطب قد جاء ، وإنما أريد الحاجة إليه ، فان أريد مجيئها قال : والخطب .

حقا . . . هذا صحيح . ولكن السامع لا يستطيع أن يدرك هذه الفروق الدقيقة إلا إذا عرف الفرق بين ما التعجبية والاستفهامية والنافية ، والفرق بين معنى الحال ومعنى الخبر ، والفرق بين كم الاستفهامية والخبرية والفرق بين واو المعية وواو العطف ، لأنه سامع من نوع خاص قد تعلم هذه الرموز وأدرك ما وراء هذه المصطلحات وهي رموز خاصة تحتاج إلى تعلم ، وتساعد على التكثيف والاختصار ، بل وتحولت إلى مهارة ذهنية تقتدر ، وبصورة تجريدية ، على تقليب كافة الاحتمالات العقائية ، مثلما كان يفعل أرسطو مع أشكاله الصورية ، وهي مهارة لا يستطيعها رجل من عامة الناس لم يخاطب نحو أو يتلقا لعرابا .

يبقى للإعراب إذن خصيصته ، وهو أنه شئ صناعي ، وراء العبارة في مدلولها الأول ، ويبقى أن الرجل من عامة الناس يستطيع أن يفهم (الاسم) دون حاجة إلى العلامات التي اخترعها النحاة من جروتونين ونداء وال فالاسم هو ما يدل على مسمى ، صديقه أو شارع ، حتى ولو كان في الأصل فعلا مثل تأبط شرا ، وهو ليس

(١) المزمهر ١ - ٣٢٩ وما الأولى تعجبية ، والثانية استفهام ، والأخيرة نفى .

في حاجة إلى أن يعرف المدلول الزمني للفعل في المضارع وعن طريق لم أو السين أو أنه يفهم كل ذلك لأنه يتعامل به مع الناس ، يفهم منهم ويفهمون منه ، ولا يتوقعون ليبحثوا عن علامات أو ليسألوا النحاة عن المصطلحات .

والسيوطي يرد على هؤلاء الذين يزعمون أن ألفاظ الأضداد تؤدي إلى الالتباس في المعاني ، فيرى أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه (١) .

وهذا حق ، فاللغة العربية مثل أية لغة في العالم ، إنما تفهم بسياق الكلام دون حاجة إلى إعراب أو منطق ، هاجم أبو سعيد السيرافي منطق أرسطو ورأى أن الناس كانوا يفكرون قبل منطق أرسطو وبعده ، وقياساً على هذا فالناس كانوا يفكرون أيضا قبل الإعراب وبعده ، لأن الإعراب في ظني قد لعب في الحضارة العربية الدور نفسه الذي لعبه المنطق في الحضارة الإغريقية ، لأنه بناء ذهني ، أو قل هو ميزان صوري ألقى على الفكر العربي ، فحواله إلى قضايا شغل الناس بتشقيقتها ، والكشف عن احتمالاتها ، مثل المنطق الأرسطي الذي جمده الفكر الإغريقي في أشكاله الصورية .

ولكن هناك فارقا هاما بين الإعراب والمنطق ، فالمنطق اختراع فلسفي قصد به صاحبه وزن ، الفكر ، وصدق الناس هذه النية فأخذوا يتعلمونه لكي يقيموا أفكارهم أما الإعراب فهو موجود في بنية اللغة قبل أبي الأسود الدؤلي بعده . لأنه ليس اختراعا بل هو خاصية لغوية ، فهم الناس خطأ وظيفتها في أنها تفيد المعنى ، وإذا كنا هنا نرفض هذا الفهم ، فلا يعني هذا على الإطلاق ، أننا نرفض الإعراب أو ننقص منه ، على العكس نحن نعلي من قدره ، ونبحث له عن وظيفة أخرى لا تقف عند المفهوم المباشر العملي للعبارة ، والتي تجري في الأسواق وبين الجماهير ، بل نبحث له عن وظيفته خاصة وراء العبارة يتفهمها عليّة القوم .

ليكن مفهوم الإعراب هو الإبانة كما يدل الاشتقاق ، ولكن الإبانة في ظني ليست في الكشف عن المعنى اللغوي كما فهم النحاة ، بل هي شيء يتجاوز الوضع اللغوي إلى الإبانة بمعناها الجمالي ، تستخدم (لا) في حالة النفي فنقول « لا تلعب » ونستخدمها في حالة النهي فنقول (لا تلعب) فإن الإعراب هنا لا يكشف عن المعنى المراد من الجملة ، لأن السامع لا يتوقف عند الضمة فيعرف

أن المراد النفي ، أو عند السكون فيعرف أن المتكلم ينهيه عن فعلهما. إن المراد يفهم من السياق ، وفهم السياق هو الذي يحدد في خطوة تالية ، فيما إذا كان يجب على المتكلم أن يستخدم الضمة أو السكون ، إن المتكلم استخدم السكون في ظني لأنه علامة الجزم ، والجزم في اللغة هو القطع والحسم والبت ، فناسب أن يأتي في حالات مثل النهي والأمر والشرط ، أما النفي فهو حالة خبرية لا تحتاج إلى حسم . بل هي تحتل الصدق والكذب ، فناسب أن تأتي بلا جزم . أما لماذا أتى النفي مع لم بالجزم (لم ياعب) ومع لا بالرفع (لا ياعب) ومع لن بالنصب (لن ياعب) فاجعل الإجابة تتضح بعد دراسة العلاقة الصوتية بين حرف النفي وعادة الإعراب ، فقد تكتشف صلة ما بين لم التي تنتهي بحرف ساكن وبين سكون الفعل ، أو بين لا التي تنهى بالمد وبين ضمة الفعل . أو بين لن التي تنتهي بحرف النون وبين فتحة الفعل .

إن الناظر في فواصل القرآن يدرك أن حركة الإعراب قد تلعب دورا جماليا ، في الربط بين آيات القرآن . وفي إضفاء روح الانسجام على السورة ، فمثلا سورة الفرقان تتنوع فواصلها بين الراء واللام والميم والنون والباء، وسورة الفتح أيضا تتنوع فواصلها بين النون والميم والزاي والراء واللام والياء والبدال ، وهي حروف تختلف في مخارجها ، ولكن الفاصلة في

الصورتين تأتي دائما بالفتح فتضفي على السورة جوا من الوحدة والانسجام ، يعوض عن اختلاف الحروف في الفواصل ، بينما نجد سورة محمد مثلا تحتفظ بالفاصلة وهي حرف الميم في أولها وفي آخرها ، لأنها دائما تأتي ساكنة ، فإزم أن تحتفظ بحرف واحد ومخرج واحد ، حتى لا تفقد السورة جو الوحدة والانسجام .

لأن الحس الجمالي تحرص عليه اللغة العربية في بنيتها وتراكيبها ، وقد تضحى بالقواعد الإعرابية المتعارف عليها ، إذا تخصصت هذه القواعد مع فكرة الحس الجمالي ، فمن أجل تقريب الصوت من نظير قرأ بعضهم قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » بكسر الدال مع أنه مبتدأ ، وروى بعضهم قول الشاعر :

وقال اضرب الساقين أمك هابل .

بكسر الميم في « أمك » مع أنه مبتدأ ، وقد سوغت الكسرة هنا وهناك لكي تناسب مع نظيرتها التي وردت قبلها أو بعدها .

وفكرة تقريب صوت من صوت ، لكي تكون الكلمة موسيقية ، يسهل على الأذن التقاطها ، أو بعبارة أخرى فكرة الحس الجمالي في اللغة العربية ، تكمن وراء كثير من آراء سيبويه ، ففي أكثر من موضع في كتابه ، يتحدث عن تحريك الساكن إذا اتقى بساكن آخر ، وأن هذا التحريك واجب ، ويمكن أن يطيح

بالقواعد المتعارف عليها ، فتحت عنوان « باب يحرك أو آخر الكلمة الساكنة » (١) .
 يذكر أن التحريك قد يكون بالكسر كما في قوله تعالى « قل هو الله أحد الله » (٢) ، وقد يكون بالضم نحو « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » (٣) وقد يكون بالفتح نحو « الم . الله » (٤) .

والتحريك لا يقتصر على آخر الكلمة . بل يمتد إلى ما قبل الآخر ، فتحت عنوان « باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكرهيتهم التقاء الساكنين » (٥) يذكر سيبويه أمثلة يتحرك فيها ما قبل الآخر فيقولون في حالة الوقف هذا بكسر ، ويقولون هذا عدل بكسر عين الكلمة لكي تتناسب مع كسر فائها ويقولون في البسر بضم العين لكي تتناسب مع الفاء .

وتحت عنوان « الساكن الذي تحركه في الوقف إذا كان بعده هاء المد » (٦) يضرب سيبويه أمثلة على ذلك فيقول « اضربه ومنه ، وعنه » وقال أبو النجم الراجز :
 فقمرين هذا . وهذا أزحله .

إن فكرة الحس الجمالي تكمن وراء كثير من المشكلات التي وقف عندها النحاة وجادلوا حولها ، لأنهم وجدوها تخالف القواعد النحوية التي تعارفوا عليها ، ففكرة الجر بالمجاورة في المثال المعروف « رب جحر ضب خرب » وفي غيره ، لا تحتاج إلى تأويلات كثيرة إذا أدركنا أن الصفة قد خالفت موصوفها في الإعراب من أجل أن تتناسب مع إعراب الكلمة التي تجاورها . وحتى يمكن أن يكون ذلك سهلاً على الأذن وكثير من الحروف التي يعربونها زائدة لا محل لها من الإعراب . وهي أحرف تتكرر كثيراً في الكلمات العربية . يمكن أن تجد مبررها في أنها زيادات لراحة الأذن ، كتلك الزخارف التي ترد في الألحان العربية ، لتزيد من إيقاعها وتسهل للأذن التقاطها . إن الذين اهتموا بإعراب القرآن من النحاة القدماء ، لم يعربوا تلك الحروف التي لا تفيد شيئاً في المعنى . على أنها زائدة . إذ أن القرآن الكريم يتنزه عن الزيادة ، وإنما أعربوها على أساس أنها قد اجتنبت لتأكيد المعنى فيما يظنون . أو على أساس أنها قد اجتنبت لغرض إيقاعي فيما نعتقد .

* * *

(٢) ٢٠١ / الإخلاص

(٤) ٢٠١ / آل عمران

(٦) الكتاب ٤ - ١٧٩ .

(١) الكتاب ٤ / ١٥٢

(٣) ١٠١ - يونس

(٥) الكتاب ٤ - ١٧٣

(٧) أزحله إزحالا : أبعد ، ومنه سمي زحلا لبعده .

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى هذه الوظيفة الجمالية وذكر أن الذى يحدد الحركة الإعرابية ، ليس هو موقع الكلمة فى الجملة بل هو طبيعة الصوت وإيثاره حركة معينة ، أو انسجام تلك الحركة مع ما يجاورها من حركات أخرى (١) . لأنه باختصار يتحدث عن صفة جمالية للإعراب هى صفة الانسجام ، سواء أكان الانسجام بين حرف وحركة أو بين حركة وأخرى .

ولكن الدكتور إبراهيم أنيس اكتفى بالإشارة السريعة ، ولم يتابع تطبيقات ظاهرة الانسجام ، فيكشف عن كيفية العلاقة بين الحرف والحركة ، أو بين الحركة والأخرى إنه اكتفى بالقول بأن الواو تنفر من الضم والكسر ، وأن الياء تنفر من الكسر .

وأن اللام والعين والنون تؤثر الفتح ، إن ملاحظته صادقة فى دلالتها دون تفصيلاتها ، هى صادقة فى أن للإعراب دلالة جمالية ، ولكن الحرف مهما كانت طبقة الصوتية لا يكتفى بحركة واحدة ، وأن اللام أو العين أو النون قد تكون مرة مضمومة وثانية منصوبة وثالثة مكسورة ، وظاهرة الانسجام وحدها لا تستطيع أن تفسر هذا الاختلاف وربما كان من الأفضل أن تضاف إليها ظواهر أخرى ، أشير الآن إلى ظاهرتين منها ، وهما ظاهرتا الرنين والتنوع .

أما ظاهرة الرنين فهى ترتبط بالتنوين وهو فى أشهر أنواعه - أعنى تنوين التمكن - نون ساكنة تاحق آخر الأسماء المعربة دلالة الخفة والتمكن فى باب الاسمىة ، كما يقول النحاة ، فالمدخل للإعراب لذن هو التنوين .

والتنوين حرف رنان موسيقى ، وقد تنبه الفارابى إلى خاصيته الموسيقية ، فجعله مثيلاً للنقرة القوية . لأنه يقسم النقرات إلى ثلاث : قوية ، ومتوسطة ، وخفيفة ؛ والقوية « تشبه التنوين فى إعراب اللسان العربى ، والمتوسطة تشبه حركة الحرف فى لسانهم » ، واللينى تشبه إشمام الحركة فى الحركة أو روم الحركة (٢) .

وإذا تجاهلنا بعض أنواع التنوين ، فإننا لا نستطيع هنا أن نتجاهل نوعاً من التنوين يدل اسمه على طبيعته الغنائية ، وهو تنوين الترتم ، وقد سمي بذلك لأنهم يترتمون به فى الشعر ، والترتم فى اللغة وهو ترجيع الصوت كما يترتم الحمام والقوس والجندب وكل ما يستلذ صوته (٣) .

إن الأدن العربية تستريح للتنعيم الذى يحدثه التنوين ، وقد استثمر القرآن الكريم فى آياته تلك الخاصية ؛ فخلق جواً من الرنين نجد أمثلة له فى الآيات الآتية :

(١) من أسرار اللغة ص ٢٤١ .

(٢) الموسيقى الكبير ص ٩٨٦ .

(٣) المعجم الوسيط مادة (رنم) .

« الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء
بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من
الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أندادا
وأنتم تعلمون » (١) « وضرب الله مثلاً قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان » (٢)

وإذا كانت التنوينات هنا تتوالى متماثلة ،
والحركة الإعرابية التى قبلها حركة واحدة ؛
وهى النصب فى الاثنين السابقين ، فإن
آية مثل قوله تعالى « ولا تقولن لشيء إني
فَاعِلُ ذَلِكَ غدا » (٣) تختلف فيها الحركة
الإعرابية من جر (شيء) فرفع (فاعل)
فنصب (غدا) ، فتكسب الإيقاع
تنوعاً ، وتجعلنا نفترض أن الرفع والنصب
والجر قبل التنوين ، إنما هو حالات للتنوين
أو أقل بلغة موسيقية لأنه تنويعات على الالحن
الرئيسى ، تقول « جاء محمد ، رأيت
محمدًا مررت بمحمد » ، فتحس أن التنوين
يكتسب مع الحركة التى قبله حالة خاصة ، يختلف
إيقاعها فى الرفع عنها فى النصب وفى الجر ،
ولكن متى تؤثر الرفع ومتى تؤثر النصب
ومتى تؤثر الجر ؟ نعود مرة أخرى إلى
خاصية الانسجام وخاصة بين الحركات
التى أشار إليها الدكتور إبراهيم أنس ،
والى تحتاج إلى إحصائيات صوتية ربما
تقلب النحور رأساً على عقب .

والأسماء المبنية لا تقبل التنوين ، ومن
ثم فهى تلزم حالة واحدة لا تتغير أياً كان
موقعها فى الكلام ، أما الأسماء المعربة
فهى تقبل التنوين ، لأنها علامة الإعراب
كما تقول كتب النحاة . ومن ثم فهى لا
تلزم حالة واحدة ، إنها تتغير فى الرفع
والنصب والجر . نحن هنا وفى وقت واحد
إزاء خصيصتين جماليتين ، خصيصية الرنين
الموسيقى الذى يجلبه نون التنوين ، وهو
حرف رنان يخرج من الحياشيم ، وخصيصية
التنوين التى تعطى النون شكلاً موسيقياً ، أو
حالة إعرابية ، تختلف فى الرفع ، عنها فى
النصب ، أو فى الجر . إن هاتين الخصيصتين
تؤخذان معاً لاتنفصلان ، وتكسبان
معاً الفصحى رنيناً وتنوعاً ، ولأمر ما
وضع النحاة ضمتين فى حالة الرفع على
آخر الاسم المعرب ، فنقول ، جاء محمد .
فترمز إحدى الضمتين إلى التنوين وترمز
الأخرى إلى حالة الرفع ، وهى حالة
من حالات التنوين ، قد تتغير فية تغير معها
الرمز ، فيصبح فتحتين أو كسرتين .

* * *

إن الإعراب فى ظنى يلاعب دوراً
كبيراً فى لكساب الفصحى جمالية ، تسهل من
وقعها على الأذن ، إنه شيء صناعى قد اجتلب

(٢) ١١٢ - النحل .

(١) ٢٢ - البقرة .

(٣) ٢٣ - الكهف .

ليكسب الكلام رنيناً وتنوعاً ، ويكسب الحروف انسجاماً . إنه لا يمكن أن يكون سابقة ، فهو يحتاج إلى تفكير ووعي ، وهو لا يأتي لمجرد إفادة المعنى ، فالمعنى يفهم في سياق الكلام ، والعامية لا تحتاج إلى إعراب ، لكى يتبادل الناس به معاني الكلام . إنهم يفهمون على الرغم من أن أواخر الكلمات ساكنة ، وقد تخلصت من التنوين ومن حالات الإعراب . .

فالإعراب إذن خصيصة من خصائص الفصحى ، يحتاج إلى تعلم ، ولا يقدر عليه إلا الخاصة ، ومن هنا نظروا إليه بتقدير ، واعتبروه « قيمة شرفية » وتحول إلى قالب قاسوا به أقدار الرجال . كما كان الحال على المنطق الأرسطى ، الذى تحول إلى قالب صورى . يقاس به الفكر ، وتمتحن به صحته ، وأصبح مقياساً شرفياً ؛ بغض النظر عن قيمته الحقيقية فالفكر موجود قبل المنطق وبعده ، وليس المعيار بالوزن ولكن بقيمة الموزون . هل هو ذهب أو فضة أو نحاس ، كما يقول أبو سعيد السيرافى وهو يعترض على منطق أرسطو .

إن الإعراب شيء خارجى وصناعى ، هو مستوى ثان للغة ، لا يعرفه العامة ، ولا يستطيعونه حتى لو أرادوه . جاء فى

الصاحبى « إن الناس لم يزالوا يلهون ويتلهون ، فيما يخاطب به بعضهم بعضاً اتقاء الخروج عن عادة العامة ، فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة^(١) . لقد ورد هذا النص فى معرض الدفاع عن مالك ابن أنس ، فقد قيل إنه كان يلحن مع العامة . إن هذا النص يشير صراحة إلى مستويين : مستوى العامة ، الذى لا يحرصون على الإعراب فيه ، ومستوى الخاصة الذين يحرصون على الإعراب ، وعلى الظواهر الجمالية .

والعلماء يترخصون فى اللحن متى استعملوا لغتهم اليومية ، وتخطبوا مع الصغار والتجار والموالى وسائر العوام ، ولكنهم حين ينشدون الشعر ، ويتعاملون على المستوى الخاص ، فإنهم يستخدمون الفصحى ، ويحرصون على خصائصها ، ويعتبرون اللحن ضالاً وكفراً^(٢) أو على الأقل يعتبرونه جهلاً ، يزرى بصاحبه ، إنهم حينئذ يحتكمون إلى « القيمة الشرفية » التى أضفوها على الإعراب .

إن هذا البحث يرتفع بالإعراب إلى كونه قيمة ثقافية ، وينظر إليه كمستوى ثان فى الأداء اللغوى ، يكسب الكلام رنيناً وتنوعاً ، ويضفى على الحروف انسجاماً ، إنه ينمى عنه المستوى الدلالي

(١) الصاحبى ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .

الأول للغة ، فالناس يتفهمون ولو لم يستخدموا الإعراب ، كما كانوا يفكرون قبل منطق أرسطو .

ومن ثم فلا ينبغي أن ننزعج حين نلاحظ في حياتنا المعاصرة مستويين . مستوى قد تخلص من الإعراب ، واستراح إلى تسكين أواخر الكلمات ، عملاً بقاعدة « سكن تسرح » وهو ما نشاهده في تمثيلات التليفزيون « وعلى خشبات المسارح ، إنه مستوى يلجأ إلى هدفه بأقصر الطرق ، لا يبنى عنه الجمال اللفظي ، ورنين الحروف بقدر ما يهتم بنقل تجربته إلى المخاطب .

أما المستوى الآخر ، فهو الذي يختص باللفظ ، وهو ما نشاهده في ندوات الشعر ، وفي المسرحيات الكلاسيكية ، وخاصة المترجمة . إن المبدع هنا يحرص على الإعراب . لأنه يدرك بحاسته الفنية أن الإعراب قادر على خلق الجو الموسيقي . وعلى اختفاء الرنين والإيقاع والانسجام وعلى الإيهام بجو كلاسيكي ينعش الخيال .

إن هذين المستويين هما امتداد لما لاحظته القداماء ، من أن هناك لغة للحياة اليومية ، يتندر بها الناس ويتفكهون ، ويخاطب بعضهم بعضاً ، وهي لغة قد تخلصت من الإعراب ، ولا يجد العلماء حرجاً حين يلحنون بها ويتلاحنون ، لأنهم يريدون أن يفهمهم الناس .

وهناك أيضاً لغة الخاصة التي يتعلمون فيها النحو . ويحرصون عليه ، حتى يبدو متميزين عن سائر الناس وهي لغة نموذجية « فصحي » . قد تعرضت للانتقاء والتهديب .

* * *

إن الإعراب قد تحول إلى ذئب رياضي . مثلما حدث لمنطق أرسطو ، أخذ الناس يميلون فيه إلى التشقيق والمعادلات والأقسام العقلية . والافتراضات الذهنية والاستمتاع بالحركة الذهنية الصورية ، دون نظر إلى الرصيد العملي الذي ينجم عن كل ذلك .

إن الاهتمام بالنتيجة العملية ، سيجعلنا نواجه هذا البناء الصوري الرهيب ، الذي تحول إلى سيف مصات على رقاب المثقفين والعلماء والأدباء ، وسيمنحنا هذا مواجهة جديدة للإعراب . وسنجد في النهاية . وبعبدا عن التشقيقات غير العملية أن الإعراب ليس شيئاً رهيباً . يخيف الأطفال في مدارسنا . ويشيب من أجله العلماء ، فمن الممكن حصره في دائرة ضيقة فالأدوات المبنية التي تلتزم حالة واحدة أكثر إحصائياً من الأدوات المعربة ؛ ففي الأسماء نجد أسماء الإشارة والموصول والضمائر وأدوات الشرط والاستفهام وغير ذلك مبنية ، حتى في الأعلام نجد الاسم المقصور والمنقوص يازم في أغلب أحواله حالة واحدة . حتى وإن أعربه النحاة بحركة مقدرة وفي الأفعال نجد الماضي وفعل الأمر مبنيين

الافتراضات والتفريعات ، وتقبل الناس كل ذلك لأنها تحولت إلى « لعبة عقلية » يستمتع بها العلماء ، ويمارسون من خلالها سطوتهم على الأدباء .

ولاحل لهذه القضية إلا بالنظر إلى كل ما جاء في كتب النحاة ، نظرة عملية ، تتخلص من الافتراضات الذهنية ، والقياسات العقلية ، وحينئذ سنجد أنفسنا في حاجة إلى خطوة أبعد مما يسدونه تيسير النحو أو تجديده ؛ خطوة لا تكفي بعمليات الترقيع وإنما تهدف إلى ثورة جذرية .

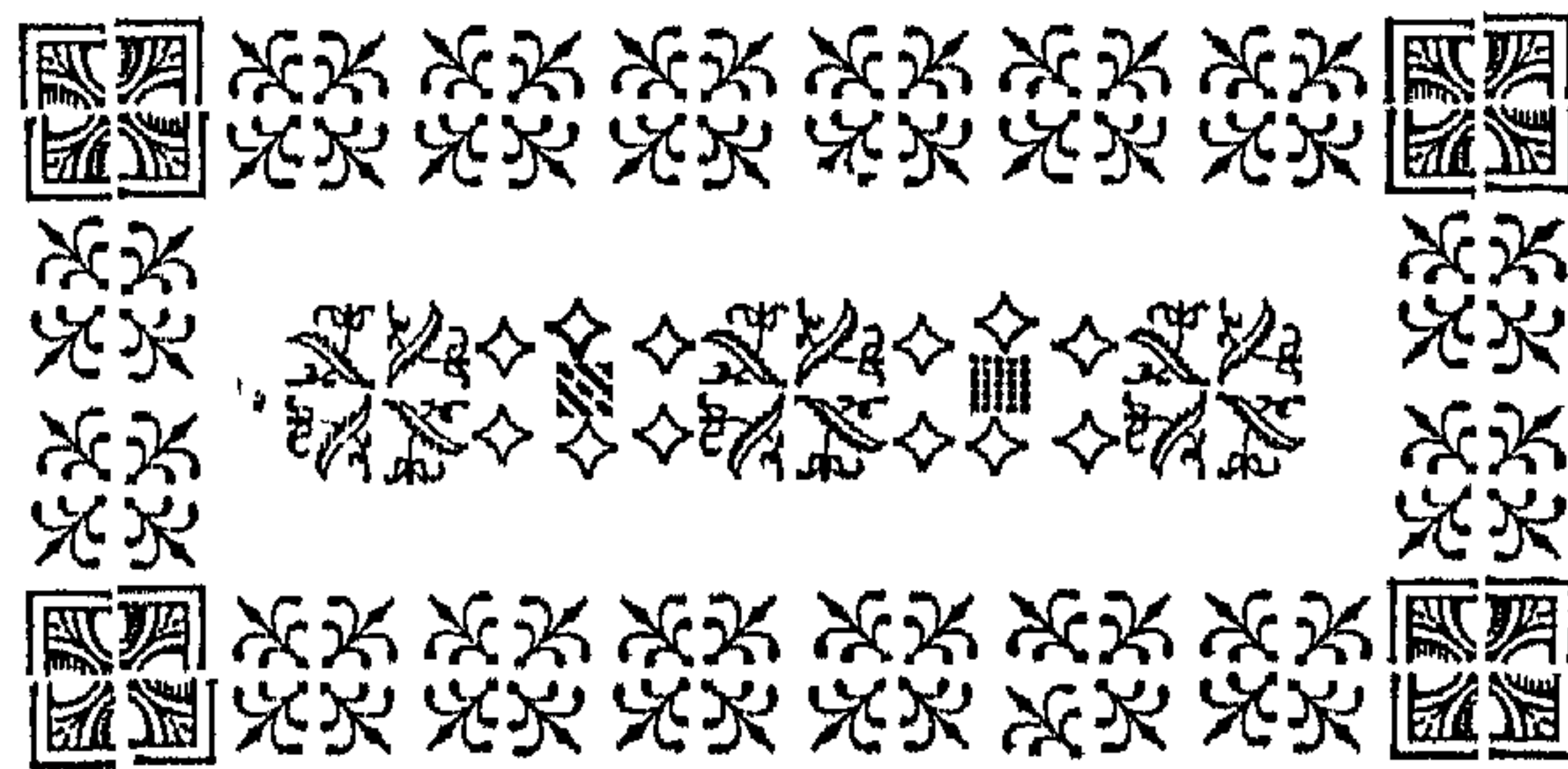
عبد الحميد ابراهيم

رئيس قسم اللغة العربية

كلية الآداب بجامعة المنيا

أما المضارع فهو معرب ، ولكنه غالبا ما يميل إلى الرفع ، ما لم تسبقه أدوات محددة ومعروفة ، قد تجعله منصوبا أو مجزوما ، أما الحروف - وهي أكثر أدوات الكلام انتشارا - فهي كلها مبنية .

إن قضية الإعراب قد تضخمت ، لأنها قد تحولت إلى بناء ذهني ، وإلى قيمة شرفية ، ووجد فيها العقل العربي ما وجدته العقل الإغريقي في المنطق ، فأخذ يستعرض قدراته الذهنية ، فتضخمت القواعد واكتظت كتب النحاة ، ومالت إلى



المستدرك معاني حرفي التنفيس

للكاتب صبحي عبد المنعم سعيد

تقديم

عنى السابقون من النحاة بالإعراب وعوامله، والبناء وأحواله، وكادت هذه العناية تصرفهم عن استيفاء مدلول كثير من حروف المعاني، ولا سيما مالا يعمل منها.

وحاول المتأخرون من النحويين استدراك ما فات أسلافهم فعنوا بهذه الحروف من خلال اشتغالهم بالقرآن الكريم تفسيراً لمعانيه، أو شرحاً لعلومه، ومنهم من خصصها بالكتب أو الأبواب الطوال، يشرحون فيها معانيها المختلفة، ويصفون وظيفة كل حرف منها في الجملة؛ ولقد يسر الله لشيخ من شيوخ هذا العصر - رحمه الله - أن يبذل في جمع هذا التراث والتعليق عليه جهداً مشهوراً مشكوراً.

وإذا كان طلب العلم أمانة محمولة حتى يقبض الله الدنيا - فقد انكشف لي - وأنا أنظر في آيات القرآن الكريم، وأقوال الشعراء القدماء - معنى لحرفي التنفيس أراه قد فات النحاة قبلاً فلم يُبَن لأحد منهم.

ولقد بذلت قصارى جهدي في بيان هذا المعنى، وعرض أدلته مستأنساً بما قال السابقون في شرح النصوص تارة، مجتهداً في استنباط ما يحتمله النص وأراه الوجه تارة أخرى.

وجزى الله خيراً من نظر في مقالى هذا فدلني على ثغرة فيه خفيت عليّ؛ أو رأى فيما قلت غير الذى رأيت، فأهداه إلى.

الحدث في المستقبل ، فإن (السين)
تدل على إيجابه في المستقبل .

ويقول ابن هشام :

« (السين) المفردة حروف يُختص
بالمضارع ، ويخلصه للاستقبال ، وينزل
منه منزلة الجزء . ولهذا لم يعمل فيه
مع اختصاصه به ، وليس مقتطعا من
(سوف) خلافا للكوفيين^(١) . ولامدة
الاستقبال معه أضيق من (سوف)
خلافاً للبصريين^(٢) ، ومعنى قول المعربين

فيها : « حرف تنفيس » حرف توسيع ،
وذلك أنها نقلت المضارع من الزمن
الضيق . وهو الحال إلى الزمن الواسع .
وهو الاستقبال ؛ وأوضح من عبارتهم
قول الزمخشري وغيره : « حرف

يقول سيبويه في معنى (السين) :

« فإذا قال : ذهب ، فهو دليل على
أن الحدث فيما مضى من الزمان ، وإذا
قال : سيذهب ، فإنه دليل على أنه يكون
فيما يُستقبل من الزمان^(٣) . . . »

ويقول في (باب علة ما يكون عليه
الكلم) :

« والسين التي في قولك : سيفعل ،
وزعم الخليل أنها جواب لن يفعل^(٤) . »

« فالسين » في رأى سيبويه حرف
يخلص المضارع للاستقبال ، وزعم الخليل
أن (سيفعل) جواب (لن يفعل) ،
ومعنى ذلك أن (السين) نقيض (لن)
في المعنى ، فإذا دلّت (لن) على نفي

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه ١٨٠ هـ ، الكتاب ، تحقيق هاون ، ج ١ ، القاهرة ،
ص ٣٥ — بولاق ج ١ ، ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ، هارون ، ج ٤ ، القاهرة ، ص ٢١٧ — بولاق ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر تفصيل هذا الاختلاف عند كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ٨٥٧٧
الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق محمد محي الدين ، ج ٢ ، ط ٤ ، ١٣٨٠ هـ
١٩٦١ م ، المسألة ٩٢ ، ص ٦٤٦ وما بعدها ، وانظره أيضا عند يعيش بن علي بن يعيش ، ٦٤٣ هـ شرح
المفصل ، ج ٨ ، القاهرة بدون ، ص ١٤٨ وما بعدها .

استقبال^(١) « ... وزعم الزمخشري
 أنها إذا دخلت على فعل محبوب
 أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ،
 ولم أر من فهم وجه ذلك . ووجهه أنها
 تفيد الوعد بحصول الفعل ، فدخولها

إلى حين^(٢) ؛ وصرح به في (سورة
 براءة) فقال في « أولئك سيرحهم
 الله »^(٣) (السين) مفيدة وجود الرحمة
 لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد
 إذا قلت : سأنتقم منك »^{(٤)(٥)}

على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى

لتوكيده وتشبیه معناه ، وقد أومأ إلى
 ذلك في (سورة البقرة) . فقال في
 « فسيكفيهم الله »^(٦) : ومعنى (السين)
 أن ذلك كائن لا محالة . وإن تأخر

ويقول بدر الدين الزركشى :
 « وفرق ابن بابشاذ بينهما بأن (سوف)
 تستعمل كثيراً في الوعيد والتهديد ، وقد
 تستعمل في الوعد . . . ، والأكثر في
 (السين) الوعد ، وتأتي للوعيد^(٧) . »

(١) انظر المرجع السابق حيث يقول الزمخشري : « ومن أخصاف الحرف حروف الاستقبال ، وهي سوف
 السين . . . » . وانظر ذلك أيضا عند محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي ٧٥٤ هـ البحر المحیط ج ٥ ، ط ٢ ،
 ١٣٩٨-١٩٧٨ م ، ص ٧١ حيث يقول : « وليس مدلول السين توكيد ، ما دخلت عليه إنما تدل على تخليص المضارع
 للاستقبال فقط » .

(٢) سورة ٢ (البقرة) : ١٣٧ .

(٣) وانظر أيضا : جاز الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٥٣٨ هـ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم
 التأويل في وجوه التأويل ج ١ ، بيروت ، منقولة عن طبعة تهران ، بدون ، ص ٣١٥ .

(٤) سورة ٩ (التوبة) ٧١ .

(٥) انظر أيضا : الكشاف عن حقائق التنزيل ، ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٦) جال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري ٧٦١ هـ ، معنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق
 محمد محيي الدين ، القاهرة ، بدون ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ وانظر أيضا أحمد بن عبد النور الماقي ٧٠٤ هـ رصف المباني
 في شرح حروف المعاني ، تحقيق أحمد الخراط ، دمشق ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ص ٣٩٦ - ٣٩٨ .

(٧) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ج ٤ ط ١ ، ١٣٧٧ هـ

١٩٥٨ م ، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ص ٢٨٣ .

أما جلال الدين السيوطي فقد روى
ما قاله ابن بابشاذ في الفرق بين (السين) :
« وجاءت (السين) للوعيد في هذه
المواضع :

١ - « فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ » ٢٦ (الشعراء) : ٦ .

٢ - « مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ
سَيُبْطِلُهُ » ١٠ (يونس) : ٨١ .

٣ - « سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ
آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ » ٦ (الأنعام) : ١٥٧ .

٤ - « سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ »
٦ (الأنعام) : ١٣٨ .

٥ - « سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ » ٦ (الأنعام) : ١٣٩ ... (٣) »

وقد عد الشيخ عضيمة في هذا القسم
خمسة وأربعين شاهدا قرآنياً^(٤) جاءت

و (سوف) ، ولم يُعَلَّقْ بشيء^(١) .

وأما الشيخ محمد عضيمة فقد حكي
قول ابن بابشاذ ، وأضافه إلى البرهان
لِلوالتقان ، ثم قال بعد ذلك :

« قد تبين لي بعد استقراء مواضع
(السين) في القرآن أنَّ مواضع استعمالها
في الوعيد تزيد عن مواضع استعمالها
للوعيد^(٢) » .

ثم بين ذلك مُفَصَّلاً في مكان آخر
من كتابه دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،
فقال :

(١) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ، تحقيق محمد أبو الفضل ،
القاهرة ١٩٧٤ م ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ج ٢ ، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية ، مطبعة السعادة ، بدون ، ص ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

إفادة (السين) للوعيد في معظمها واضحة
جلية^(١) ثم قال بعد ذلك :
٥ - « وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » ٣
[(آل عمران) : ١٤٤ .

« وجاءت (السين) للوعد في هذه
المواضع^(٢) :
٦ - « وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ » ٣
(آل عمران) : ١٤٥ .

١ - « إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا
بِخَبَرٍ » ٢٧ (النمل) ٧^(٣) .
٧ - « إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا »
١٩ (مريم) ٩٦ .

٢ - « وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ
فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » ٤٨ (الفتح) : ١٠ .
٣ - « سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ »
٩ (التوبة) : ٥٩^(٣) .
٨ - « سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا »
٦٥ (الطلاق) : ٧ .
٩ - « وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى » ٩٢ (الليل)
١٧ .

٤ - « وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا » ٤ (النساء)
١٦٢ .
١٠ - « فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُندِخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » ٤
(النساء) : ١٧٥ .

(١) نقول في معظمها لأن بعض هذه الشواهد يحتمل أن تفيد فيه (السين) الوعد مثل الشاهد ذي الرقم ٤٠ ، ص ١٨٠ « سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب » سورة ٨ (الأنفال) : ١٢ ، فسياق هذا الشاهد قوله - تعالى :
« إذ يوجي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » قال أبو حيان في البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ « ويحتمل أن يكون « سألقى » إلى آخر الآية خبرا يخاطب به المؤمنون عما يفعله بالكفار بالمستقبل « أي أنه وعد من الله - تعالى - للمؤمنين بإلقاء الرعب في قلوب الكفار . ويقال مثل ذلك في الشاهد رقم ٤١ ، ص ١٨٠ : « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب » سورة ٣ (آل عمران) : ١٥١ فأبو حيان يقول في تفسيره البحر المحيط ، ج ٣ ص ٧٧ : « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب أي هؤلاء الكفار وإن كانوا ظاهرين عليكم يوم أحد فإننا نخذلهم بإلقاء الرعب في قلوبهم ، وأتى بالسين القربة الاستقبال وكذا وقع ، ألقى الله في قلوبهم الرعب يوم أحد . . . » ومعنى ذلك أنه وعد صادق من الله ، وقد وقع : إذن فعدهذين الشاهدين من شواهد إفادة (السين) للوعيد وهو .

(٢) سنثبت ما ذكره الشيخ عزيمة من شواهد ما أفادت فيه (السين) وعدا ، وما لم تفد فيه (السين) وعدا أو وعيدا لأن هذين المجموعين من الشواهد هما اللذان اخترنا منهما شواهدنا التي جعلناها موضوع المناقشة والاستنباط .
(٣) ستكون هذه العبارة موضوع نقاشنا بعدا .

١١ - « أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ » ٩ (التوبة) : ٩٩ .

١٢ - « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » ٤ (النساء) : ٥٧ .

١٣ - « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » ٤ (النساء) : ١٢٢ .

١٤ - « سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ » ٢١ (الأنبياء) : ٣٧^(١) .

١٥ - « أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ٩ (التوبة) : ٧١ .

١٦ - « وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا » ٢٧ (النمل) : ٩٣^(٢) .

١٧ - « وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ » ٢ (البقرة) : ٥٨ .

١٨ - « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ » ٤١ (فصلت) : ٥٣ .

١٩ - « وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ » ٧ (الأعراف) : ١٦١ .

٢٠ - « قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ » ٢٨ (القصص) : ٣٥ .

٢١ - « قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى » ٢٠ (طه) : ٢١ .

٢٢ - « قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي » ١٩ (مريم) : ٤٧ .

(١) وضع الشيخ عزيمة هذه العبارة ضمن شواهد إفادة (السين) الوعد ، ولعل هذا كان سهوا منه ، فأبو حيان يقول في البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ٣١٢ عجز : « . . . » « سَأُرِيكُمْ آيَاتِي » أى آيات الوعيد فلا تستعجلون في رؤيتكم العذاب . . . » فحق العبارة أن تكون في شواهد إفادة (السين) الوعيد .

(٢) يقول أبو حيان في البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، صدر : « سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ » تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته « فحق العبارة إذن أن تجعل في شواهد إفادة (السين) الوعيد .

(٣) يقول أبو حيان في البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٥٠٥ ، وسط : « ثم توعدهم بما هو كائن لا محالة ، فقال : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ » ، قال أبو المنهال والسدي وجماعة : هو وعيد للكفار بما يفتح الله على رسوله من الأقطار . . . » فد (السين) في الآية تفييد الوعيد وفاقا لأبي حيان ومن نقل عنه .

٣٢ - « سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ » ٤٧

(محمد) : ٥

٣٣ - « فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى *

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى »

٩٢ (الليل) ٥ - ٧ .

واستعملت الميم في غير الوعد والوعيد

في هذه المواضع ^(٢) :

١ - « قَالَ سَأَوْى إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي

وَمِنَ الْمَاءِ » ١١ (هود) : ٤٣ .

٢ - « فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ » ٦٨

(القلم) : ٥ .

٣ - « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ

قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا » ١٨

(الكهف) : ٨٣ .

٤ - « وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا

لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ » ٩ (التوبة) : ٤٢ .

٥ - « سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذْ أُنْقَلَبْتُمْ

إِلَيْهِمْ لِيَعْرِضُوا عَنْهُمْ » ٩ (التوبة) : ٩٥ .

٢٣ - « وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا » ٧

(الأعراف) : ١٦٩ .

٢٤ - « سَنَقْرَأَكَ فَلَا تَنْهَى » ٨٧

(الأعلى) : ٦ .

٢٥ - « وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا »

١٨ (الكهف) : ٨٨ .

٢٦ - « فَسَاكُتِبْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ٧ (الأعراف) : ١٥٦ .

٢٧ - « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ » ٢ (البقرة)

١٣٧ .

٢٨ - « قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

صَابِرًا » ١٨ (الكهف) : ٦٩ ^(١) .

٢٩ - « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

الصَّالِحِينَ » ٢٨ (القصص) : ٢٧ ^(١) .

٣٠ - « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

الصَّابِرِينَ » ٣٧ (الصافات) : ١٠٢ ^(١) .

٣١ - « قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ

٢٦ (الشعراء) : ٦٢ ^(١) .

(١) ستكون هذه العبارة موضوعا للنقاش بعدا .

(٢) اكتفى الشيخ عفيمة في الإشارة بذكر أرقام السور والآيات ، واكتنا فضلنا أن تكون نصوص العبارات

بين يدي القارئ تيسيرا عليه ، وكمينا له من المشاركة في استنباط الحقائق .

- ٦ - « قُلْ لِلّٰهِ مُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ
 سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ » ٤٨
 (الفتح) : ١٦ .
- ١٠ - « قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا
 لَنَنَاعِلُونَهُ » ١٢ (يوسف) : ٦١ (٢٢) .
- ٧ - « عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ »
 (البقرة) : ٢٣٥ .
- ١١ - « سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ » ٤٧
 (محمد) : ٢٦ (٢٣) .
- ١٢ - « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
 وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ » ٣ (آل عمران) :
 ١٢ (٢٤) .
- ٨ - « سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَاهُ » ٨٧
 (الأعلى) : ١٠ .
- ٩ - « وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَخْرِضُ لَهَا
 أُخْرَىٰ » ٦٥ (الطلاق) : ٦ (١١) .
- ١٣ - « وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ »
 (الروم) : ٣ .

(١) ستكون هذه العبارة موقوفة للنقاش بعدا .

(٢) (السين) في هذه العبارة مفيدة للوعد ، قال أبو حيان في النهر الماد من البحر ، حاشية البحر المحيط ج ٥ ، ص ٣٢٠ عجز : « (قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) أَيْ سَنُخَادِعُهُ ، وَنَسْتَمِيحُهُ فِي رَفْقٍ إِلَى أَنْ يَتْرَكَهُ يَأْتِي مَعَنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ أَكْدُوا ذَلِكَ الْوَعْدَ بِأَنَّهُمْ فَاعَلَوْا ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ لَا نَقُصِّرُ فِيهِ وَلَا نَتَوَانِي » . إذن فوضع هذه العبارة فيما لا تنفيده فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهو .

(٣) في النهر الماد من البحر ، حاشية البحر المحيط ، ج ٨ ص ٨١ عند تفسير قوله - تعالى : « ذلك بأنهم قالوا للذين كفروا ما نزل الله سنعطيكهم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم » - قال أبو حيان : « ذلك بأنهم قالوا » روى أن قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين في أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلاف عليه بنصرة ومؤازرة ، وذلك قوطم : « سنطيعكم في بعض الأمر » . ف (السين) في هذه العبارة إذن مفيدة للوعد وفاقا لأبي حيان ووضع هذه العبارة فيما لا تنفيده فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهو .

(٤) في النهر الماد من البحر . حاشية البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ عند تفسير هذه الآية قال أبو حيان : « قل للذين كفروا » هم معاصروه عليه السلام ، وفي سبب نزولها اختلاف : قيل إن يهود قينقاع قالوا بعد وقعة بدر : إن قريشا كانوا أغمارا ، ولأى حاربتمنا لرأيت رجالا ، ، وناسب ما سبق من الوعد الصادق في قوله فيما آل إليه الكفار السابق ذكرهم في أخذ الله إياهم ومآلهم إلى النار ذلك الوعد الصادق في قوله : « ستغلبون وتخشرون » الآية ا . هـ ، ف (السين) في قوله : « ستغلبون » مفيدة للوعد وفاقا لأبي حيان حيث الوعد إلى رسول الله (ص) أو مفيدة للوعيد الموجه إلى الذين كفروا . إذن فوضع هذه العبارة فيما لا تنفيده فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهو .

هذا وقد أشير إلى آية هذه العبارة في كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ، ج ٢ ص ١٨٢ بالرقم ١١٢ : ٣ ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وهو ١٢ : ٣ لأنه لا يوجد مضارع مسبوق بـ (السين) في الآية ٣ : ١١٢ كما أن الترتيب المعجمي للشرائح يقتضي ما أثبتناه .

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ « ١٠ »

١٤ - « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ »

٥٥ (الرحمن) : ٣١^(١)

(يونس) : ٣١ .

١٥ - « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ

مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الْأَتَى كَانُوا عَلَيْهَا »

٢ (البقرة) : ١٤٢ .

٢٠ - « قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَلِيدًا *

أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ

مَنْ يُعِيدُنَا « ١٧ (الإسراء) : ٥١ .

١٦ - « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ

اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا « ٦ (الأنعام) : ١٤٨^(٢) .

٢١ - « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ »

١٨ (الكهف) : ٢٢ .

١٧ - « سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ

الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا « ٤٨ (الفتح) :

١١ .

٢٢ - « قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ « ٢٣

(المؤمنون) : ٨٥ .

١٨ - « سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ

إِلَى مَغَانِمَ لِنَاخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ « ٤٨

(الفتح) : ١٥ .

٢٣ - « قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ « ٢٣

(المؤمنون) : ٨٧ .

١٩ - « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ

(١) في تفسير هذه الآية قال أبو حيان في البحر المحيط، ج ٨ ، ص ١٩٤ ، صدر : « وقال : « سنفرغ لكم »

أى ننظر في أموركم يوم القيامة لا أنه - تعالى - كان له شغل فيفرغ منه ، وجرى هذا على كلام العرب في أن المعنى : سيقصد لحسابكم ، فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهده : سأفرغ لك أى سأتجرد الإيقاع بك من كل ما شغلنى عنه حتى لا يكون لى شغل سواه ؛ والمراد التوفر على الانتقام منه . قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون التوعد بعذاب فى الدنيا ، والأول أبين . انتهى ، يعنى أن يكون ذلك يوم القيامة « . إذن فد (السين) فى الآية مفيدة للوعيد وفاقاً لأبى حيان ابن عطية ، ووضع الآية فيما لا تفيد فيه (السين) وعداً أو وعيداً سهواً .

(٢) أشير إلى آية هذه العبارة فى كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، ج ٢ ، ص ١٨٢

بالرقم ٦ : ٢٨ ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وهو ٦ : ١٤٨ ؛ لأنه لا يوجد مضارع مسبوق بالسين فى الآية ٦ : ٢٨ ، كما أن الترتيب المعجى للشواهد يقتضى ما أثبتناه .

٢٤ - « قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » ٢٣ (المؤمنون) :

. ٨٩ .

٢٥ - « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ
مَذَا إِفْكُ قَلِيلٍ » ٤٦ (الأحقاف) : ١١ .

٢٦ - « قُلْ لَنْ تَسْبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ
اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا »
٤٨ (الفتح) : ١٥ .

٢٧ - « وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا
يُسْرًا » ١٨ (الكهف) : ٨٨^(١) .

٢٨ - « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَذَّابًا سَيَكْفُرُونَ
بِعِبَادَتِهِمْ » ١٩ (ریم) : ٨٢ .

٢٩ - « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا »
٧٣ (المزمل) : ٥٠ .

٣٠ - « قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا »
١٨ (الكهف) : ٧٨ .

٣١ - « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ » ٦ :
(الأنعام) : ٩٣ .

٣٢ - « إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي
آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » ٢٧ :
(النمل) : ٧^(٢) .

٣٣ - « .. فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ » ١٧ (الإسراء) : ٥١ .

٣٤ - « ... فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً » ٨ (الأنفال) : ٣٦ .

٣٥ - « سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ
يَأْتَوْكُمْ وَيَأْمُرُوا قَوْمَهُمْ » ٤ (النساء) :
٩١ .

(١) إفادة (السين) للوعد في هذه العبارة واضحة جلية ، وقد وضعها صاحب دراسات لأسلوب القرآن الكريم قبلًا فيما تفيد فيه (السين) وعدا ، وأعطى لها الرقم ٢٥ إذن فوضعها هنا فيما لا تفيد فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهو واضح .

(٢) جعل الشيخ عزيمة قبلًا هذا النص أول شاهد فيما جاءت فيه (السين) للوعد ، والآن يذكره فيما استعملت فيه (السين) لغير الوعد والوعيد ، ولعل هذا الترجيح قرينة على صواب ما سنقوله بعدا من أن ل (السين) في هذا الشاهد مدلولاً لم يقع لنحوى من قبل .

هل تفيد (السين) معنى الاستمرار^(٥)؟

٣٦ - سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

٥٤ (القمر) : ٤٥^(١) .

(السين) (وسوف) يخلصان

٣٧ - « وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي »

المضارع إلى معنى الاستقبال^(٦) .

سَيَهْدِين ٣٧ (الصفات) : ٩٩^(٢) .

(سَوْفَ) أشد تراخياً في الاستقبال

٣٨ - « إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

من (السين)^(٧) .

إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي

ليس لحرفي التنفيس صدر الكلام^(٨) .

فَإِنَّهُ سَيَهْدِين ٤٣ (الزخرف) : ٢٧^(٣)

وقوع الجملة المصدرة بعلامة الاستقبال

ثم أتم الشيخ عضيمة كلامه عن

خبراً للمبتدأ^(٩) .

(السين) في مجموعة فقار جعل لها

العنوانات الآتية :

الجملة المصدرة ب (السين) مقول

هل تفيد (السين) و (سوف)

للمقول^(١٠) .

تحقق الوقوع^(٤) ؟

(١) قال أبو حيان في البحر المحييط ، ج ٨ ، ص ١٨٣ : « وفي قوله — تعالى — : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ » عدة من الله — تعالى — لرسوله — صلى الله عليه وسلم — بهزيمة جمع قريش » ، فد (السين) في هذا الشاهد مفيدة للوء وفاقاً لأبي حيان ، ووضعها فيما لا تفيد فيه (السين) وعدا أو وعيدا سهواً .

(٢) سيكون هذا الشاهد موضوع بحث بعدا .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

وقال - عز وجل - في سورة (القصص)
من القصة ذاتها :

« فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ »
« أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا
بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ » (٢)

ونلاحظ في هاتين الآيتين أَنَّ الجملة
الفعلية « آتِيكُم » واقعة خبراً لـ « لعل » ،
ومعنى هذا الحرف عند سيبويه : « طمع »
وإشفاق (٣) ، أو كما يقول المبرد :
« الترجى » (٤) . أو « التوقع لمرجو »
أو مخوف (٥) ، وهذا يفيد أن موسى
- عليه السلام - كان يترجى أن يعود
من عند أصحاب تلك النار بخبر أو جذوة
منها ؛ ومن المعلوم أَنَّ المترجى لا يأمن أن
يوقع ما ترجاه على النحو الذى أحب لأنَّ
أمر ذلك ليس بيده بل بيد غيره ؛
يقول المبرد :

وإذا كان صاحب دراسات لأسلوب
القرآن الكريم نحويًا معاصرًا قد استعان
في تصنيف كتابه بما انتهى إليه النحويون
والمفسرون من قبله - كنا على يقين من
أَنَّ النحويين جميعاً قدماء ومحدثين
لم يجدوا لـ (السين) الداخلة على
المضارع فى القرآن الكريم إلا ما ذكرناه
قبلاً من أنواع الاستخدام غير آتى أرى
أَنَّ الإنعام فى النظر إلى بعض أساليب
القرآن الكريم يكشف عن معنى لـ (السين)
أراه لم يقع لنحوي من قبل ، وبيان ذلك
فيما يأتى من القول :

قال - تعالى - فى سورة (طه) من
قصة موسى عليه السلام :

« إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِي امْكُثُوا إِنِّي
آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » (١)

(١) سورة ٢٠ (طه) ١٠ .

(٢) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

(٣) الكتاب ، هارون ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣٣ - بولاق ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٤) محمد بن يزيد المبرد ، المقتضب ، تحقيق عزيمة ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ، ص ١٨٣ . هذا ،

ومن المعلوم أن للحرف (لعل) معانى أخرى ذكرها النحاة ، مثل التعليل ، والتشبيه ، والرجاء المنخفض . انظر
دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ج ٢ ، ص ٥٩٦ ، وما بعدها .

(٥) المقتضب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

« فَإِذَا قُلْتُمْ : لَعَلَّ زَيْدًا يَأْتِينَا ، وَلَعَلَّ
عَمْرًا يَزُورُنَا - فَإِنَّمَا مَجَازُ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ
الْقَائِلِ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَذَا »^(١)

وكذلك كانت حال موسى - عليه
السلام - حين عَادَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَارًا ، وَتَرَجَّى أَنْ يَأْتِيَ مِنْهَا بِخَبَرٍ عَنِ
الطَّرِيقِ أَوْ قَبَسٍ يَصْطَلِي بِهِ أَهْلُهُ ، فَهُوَ
لَمْ يَكُنْ آمِنًا أَنْ يَعُودَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِ تِلْكَ
النَّارِ بِمَا كَانَ بِشْتَهَى .

وَقَالَ - عَزَّ شَأْنُهُ - فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ مِنَ
سُورَةِ (النَّمْلِ) .

« إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
نَسَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ .
فَقَبَسَ » .

رَتِّلَا حَظًّا . أَنَّ مَضْمُونَ آيَةِ (النَّمْلِ)
هُوَ مَضْمُونُ آيَتِي (طه) وَ (القصص)
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَتْ الْعِبَارَةُ
الْقُرْآنِيَّةُ فِي آيَةِ (النَّمْلِ) مُضْمِنَةً مَعْنَى
التَّرَجُّى الْمَذْكُورَ عَلَيْهِ بِالْحَرَكَةِ (لَعَلَّ)
فِي آيَتِي (طه) وَ (القصص) ، وَيُؤَيِّدُ

هَذَا أَنَّ مَالَ مَرْيَمَ (ح) الَّتِي أَخْبَرَتْ
عَنْهَا آيَةُ (النَّمْلِ) فِي حَالِهَا الَّتِي أَخْبَرَتْ
عَنْهَا آيَتَا (طه) وَ (القصص) . فَهُوَ

لَمْ يَكُنْ آمِنًا أَنْ يَعُودَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِ
تِلْكَ النَّارِ الَّتِي آنَسَهَا بِخَبَرٍ عَنِ الطَّرِيقِ ،
أَوْ قَبَسٍ مِنَ النَّارِ يَصْطَلِي بِهِ أَهْلُهُ ، لَكِنْ
الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ (آتَى) الْمَطْوُوفُ عَلَيْهِ
فِي آيَةِ (النَّمْلِ) مَصْدَرٌ بِ (السَّيْنِ) :
« نَسَاتِيكُمْ » بَدَلًا مِنْ (لَعَلَّ) فِي آيَتِي
(طه) وَ (القصص) : « لَعَلَّ » نَسَاتِيكُمْ
وَإِذَا عَاقَبْتَ (السَّيْنِ) (لَعَلَّ) فِي تَرْكِيبِ
لَعَوَى وَاحِدًا ، وَفِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ - دَلَّ ذَلِكَ
عَلَى أَنَّ (السَّيْنِ) فِي « نَسَاتِيكُمْ » مُفِيدَةٌ
مَا أَفَادَتْهُ (لَعَلَّ) مِنَ التَّرَجُّى فِي « لَعَلَّ
نَسَاتِيكُمْ » .

مَا قَالَه أَبُو حِيَان :

قَالَ أَبُو حِيَان الْأَنْدَلُسِيُّ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ
(النَّمْلِ) : « إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي
آنَسْتُ نَارًا نَسَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ
بِشَّهَابٍ قَبَسَ » :

(١) المصدر السابق ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ص ٧٣ .

(٢) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

« سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » أي من موقدها
 بِخَبَرٍ يدل على الطريق ، « أَوْتَاتِيكُمْ
 بِشَهَابٍ قَبَسٍ » أي إن لم يكن هناك من
 يخبر فإني قد أستصحب مائدة فؤون
 به منها ، وهذا الترديد بـ (أو) ظاهر ،
 لأنه كان مطلوبه أولاً أن يلقى على النار من
 يخبره بالطريق ، فإنه مسافر ليس بمقيم .
 فإن لم يكن أحد فهو مقيم ، فيحتاجون لدفع
 ضرر البرد ، وهو أن يأتيتهم بما يصطلون ،
 فليس محتاجاً للشيشين معاً ، بل لأحدهما :
 الخبر إن وجد من يخبره فيرحل ، أو
 الاضطلال إن لم يجد وأقام ، فمقصوده
 إما هداية الطريق ، وإما اقتباس النار ،
 وهو معنى قوله : « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
 بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » [٢٠ طه]
 : [١٠] ، وجاء هذا « سَأَتِيكُمْ مِنْهَا
 بِخَبَرٍ » وهو خبر ، وفي (طه) :
 « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ » ، وفي
 (القصص) : « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
 بِخَبَرٍ » ، وهو ترج ، ومعنى الترجى
 مخالف لمعنى الخبر ، ولكن الرجاء إذا
 قوى جاز للراجي أن يُخبر بذلك ، وإن

كانت الخيمة يجوز أن تقع ، وأنى بـ
 (سين) الاستقبال إما لأن المسافة كانت
 بعيدة ، وإما لأنه قد يمكن أن يبطل لما قدر
 أنه قد يعرض له ما يبطله ^(١) .

الرد على أبي حيان :

والناظر في قول أبي حيان الذي بناه
 على ما أخذه من صاحب الكشف ^(٢) يلاحظ
 أنه فسر قول موسى (ع) : « سَأَتِيكُمْ
 مِنْهَا بِخَبَرٍ » في (سورة النمل) على
 أنه خبر ، وجعل (السين) فيه مفيدة
 للاستقبال ، ثم حاول أن يقرب الترجى
 المصرح به في « لَعَلِّي آتِيكُمْ » من سورتي
 (طه) و (القصص) من الخبر الذي
 فهمه من « سَأَتِيكُمْ » ، فقال : « ولكن
 الرجاء إذا قوى جاز للراجي أن يخبر
 بذلك . وإن كانت الخيمة يجوز أن
 تقع » ، لكننا على يقين أن موسى (ع)
 حين آنس من جانب الطور ناراً ،
 ورغب أن يأتيتها لم يكن آمناً أن يعود
 من عند موقد تلك النار بما كان يشتهي ،
 فحاله لم تكن حال المخبر الموقن بما يأتي

(١) البحر المحيط ، ح ٧ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) الكشف ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

وما يدع بل حال من يترجى أمراً ليس على يقين من شأنه ، فحرف الترجي (لعل) هو أوفى دليل يمكن أن يستخذه مفسر في شرح قوله : « سَتَاتِيكُمْ » من هذه الآية ، وإذا عاقبت (السين) (لعل) في هذا المقام كانت (السين) مفيدة ما تفيد (لعل) من الترجي أو الطمع والإشفاق .

كذلك يلاحظ من يتأمل الآيات التي ضُمِّنت قصة النار التي آنسها موسى (ع) أنها ثلاث آيات ، صُرح في اثنتين منها بالحرف (لعل) المفيد للترجي ، وعاقبت (السين) (لعل) في آية واحدة ، وهذا يقتضي حمل معنى « سَتَاتِيكُمْ » في آية (النمل) على معنى « لَعَلِّي عَاتِيكُمْ » في آيتي (طه) و (القصص) إجراءً للكلام في الآيات الثلاث على سنن واحد ، وتجاوياً عن أن نجعل موسى (ع) موقناً مترجياً في مقام واحد .

شواهد قرآنية أخرى :

وليست إفادة « السين » للترجي

مقصورة على قوله تعالى : « سَتَاتِيكُمْ » في (سورة النمل) بل إنها ملحوظة في آيات أخرى من كتاب الله ، ومن تلك الآيات ما يأتي :

قال - تعالى - على لسان موسى (ع) مخاطباً الخضر (ع) :

« قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ^(١) »

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية : « رجا موسى - عليه السلام - لحرصه على العلم وازدياده أنه يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر . فوعده بالصبر معلوماً بمشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته . وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق . . . » ^(٢)

وقال أبو حيان في تفسير الآية ذاتها :

« وعده بوجدانه صابراً ، وقرن ذلك بمشيئة الله علماً منه بشدة الأمر وصعوبته

(١) سورة ١٨ (الكهف) : ٩٦ .

(٢) الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

إِذْ لَا يَصْبِرُ إِلَّا عَلَىٰ مَا يَنَاقِي مَا هُوَ عَلَيْهِ
إِذَا رَآهُ . . . (١) .

فَوَعَدُ إِسْمَاعِيلَ (ع) فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ
وَعَدُ الْمُتَرَجِّى الشَّفِيقِ ، لَا وَعَدُ الْمُخْبِرِ الْمُوقِنِ .

وَقَالَ - تعالى - فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ
وِإِسْمَاعِيلَ (ع) :

وَقَالَ - تعالى - فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ وَمُوسَى
.. عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - :

« فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي
أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَىٰ قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (٢) »

« قَالَ إِنِّي أَزِيدُ . . . أَنْ أَذْبَحُكَ إِنْ حَدَىٰ
أَبْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حَبَجَ
فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الصَّالِحِينَ (٤) »

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ :
« وَأَيُّ حِلْمٍ أَعْظَمَ مِنْ قَوْلِهِ - وَقَدْ عَرَضَ
عَلَيْهِ أَبُوهَ الذَّبْحَ - : « سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ
اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (٣) »

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ :
« . . . سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ » وَعَدُّ صَادِقٌ مُقْرُونٌ بِالْمَشِيعَةِ (٥)

وَيُمْكِنُ أَنْ نَضِيفَ إِلَى تَفْسِيرِ أَبِي حَيَّانَ
قَوْلَنَا : إِنْ اسْتَعْظَامَ إِسْمَاعِيلُ (ع) لِأَمْرِ
الذَّبْحِ الَّذِي عَرَضَهُ عَلَيْهِ أَبُوهَ جَعَلَهُ يَقْرُنُ
وَعْدَهُ الصَّبْرَ عَلَيْهِ بِمَشِيعَةِ اللَّهِ لِأَنَّ الصَّبْرَ
عَلَى الذَّبْحِ شَيْءٌ يَعْجِزُ عَنْهُ الْبَشَرُ عَادَةً ،

وَمِنَ الْيَسِيرِ أَنْ نَلَاظِهُ مَعْنَى التَّرَجُّى
فِي قَوْلِهِ « سَتَجِدُنِي » فِي هَذِهِ الْآيَاتِ
الثَّلَاثِ حَيْثُ رَجَاءُ الْوَجْدَانِ صَابِرًا
أَوْ صَالِحًا مُقْرُونٌ بِمَشِيعَةِ اللَّهِ - سَبِّحَانَهُ - ،
وَالْمُتَرَجِّى فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ لَا يَأْمَنُ أَنْ

(١) (البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ٦٤٨ .

(٢) (سورة ٣٧ (الصافات) : ١٠٢ .

(٣) (البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ، وسط .

(٤) (سورة ٢٨ (القصص) : ٢٧ ..

(٥) (البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ١١٦ عجز .

يَقَعُ مَا تَرْجَاهُ عَلَى النُّجُومِ الَّذِي آ- ب ، بَل
هُوَ طَامِعٌ فِيهِ مَشْفِقٌ مِنَ الْعِجْزِ عَنْهُ ،
وَنَسْتَدِلُّ عَلَى صِحَّةِ ملاحظتنا بما صرح به
به الزمخشري في تفسير الآية الأولى حيث
قَالَ : «

« رجا موسى - عليه السلام - أن
يَسْتَطِيعَ مَعَهُ صَبْرًا فَوَعَدَهُ بِالصَّبْرِ مُعَلِّقًا
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عِلْمًا مِنْهُ بِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَصَعُوبَتِهِ (١) .

وإذا كان الوعدُ في الآيات الثلاث
مُعَلِّقًا عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ كَانَ وَعْدُ الْمُتَرْجِي
لَا الْمَوْقِنَ ، فَالْكَلِمَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ
بِهَا (السَّيْنُ) فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ هِيَ
(لَعَلَّ) ، وَإِذَا حُلَّتْ (السَّيْنُ) مَحَلَّهَا
فِي « سَتَجِدُنِي » كَانَتْ مُفِيدَةً مَا تَفِيدُهُ
(لَعَلَّ) مِنْ الطَّمَعِ وَالْإِشْفَاقِ ، مَثْلُهَا فِي

ذَلِكَ مَثَلُ (سَيْن) « سَتَأْتِيَكُمْ » مِنْ
قَوْلِهِ - تَعَالَى - : « إِنِّي عَانِسْتُ قَارًا
سَتَأْتِيَكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » (٢) حَيْثُ عَاقَبْتُ
(السَّيْنُ) (لَعَلَّ) وَأَفَادَتْ مَعْنَى التَّرَجُّيِ (٣)
وَمِنْ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَةِ الَّتِي تَفِيدُ فِيهَا
(السَّيْنُ) الدَّخْلَةُ عَلَى الْمَضَارِعِ مَا تَفِيدُهُ
(لَعَلَّ) مِنَ التَّرَجُّيِ قَوْلُهُ - تَعَالَى فِي
شَأْنِ الْمَطْلَقَاتِ :

« أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ
وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِنُتِصِّتُوا عَلَيْهِنَّ
وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حِمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ
حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ
فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ
وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى » (٤)

يَقُولُ أَبُو حَيَّانٍ جَامِعًا مَلْخَصًا مَا قَالَهُ

(١) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٥١ .

(٢) سورة ٢٧ (النمل) : ٨ .

(٣) انظر قبلا حيث ذكر هذا الاستنباط أول مرة .

(٤) سورة ٦٥ (الطلاق) : ٦ .

الطبرى^(١) ، والزمخشري^(٢) في تفسير هذه الآية :

« وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ » أى تضايقتم ، وتشاكستم فلم ترض [الأم المرضع] إلا بما ترضى به الأجنبية ، وأبى الزوج الزيادة ؛ أو إن أبى الزوج إلا الإرضاع مجاناً وأبت هى إلا بعوض « فسترضع له أخرى » أى يستأجر غيرها وقيل : « فسترضع » خبر فى معنى الأمر ، أى فلترضع له أخرى . وفى قوله : « فسترضع له أخرى » يسيّر معاتبه للأم إذا تعاسرت كما تقول لمن تستقصيه حاجة فيتوانى : سيقضيها غيرك ، تريد : لن تبقى غير مقضية وأنت مأوم^(٣) . . . »

فأصحاب التفسير إذن مترددون فى معنى قوله - تعالى - « فسترضع له أخرى » فمنهم من يعدّها جملة خبريّة حملاً على الظاهر ، ومنهم من يجعلها خبراً فى معنى الأمر ؛ لكن حملاً على الخبر يضعفه أن وقوع الإرضاع فى المستقبل من امرأة أخرى غير متيقّن الحدوث ؛ كذلك جعلها خبراً فى معنى الأمر يضعفه أن توجيه الأمر بالإرضاع إلى الأجنبية إلزام بلا مقتضى ، وإذا صُرف الأمر إلى الأب ليسترضع أخرى كانت الاستجابة لهذا الاسترضاع غير متيقنة كذلك ، وحاجة الوليد إلى الإرضاع ضرورة عاجلة ؛ أما إذا حملنا الجملة على الترجى ، وجعلنا معناها - والله أعلم - :

(١) يقول أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى جامع البيان عن تأويل القرآن ، القاهرة ، ط . مطبى الحلبي ، ١٩٥٤ ، ج ٢٨ ، ص ١٤٨ : « وقوله : « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » يقول : وإن تعاسر الرجل والمرأة فى رضاع ولدها منه فامتنعت من رضاعة فلا سبيل له عليها وليس له إكراهها على إرضاعه ، ولمكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائدة منه . وب نحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل : ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد قال : ثنا أحمد ، قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله : « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » ؛ قال : إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى ، الأم أحق إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها ، فلا ينبغى له أن يفتزع منها .

حدثنا ابن حميد ، قال ، ثنا مهران عن سفيان قال : إن هى أبت أن ترضعه ، ولم تواتك فيما بينها وبينك وعاسرتك فى الأجر فاسترضع له أخرى .

(٢) قال الزمخشري فى الكشاف ، ج ٤ ، ص ١٢٢ : « « وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى » فستوجد ولا تموز مرضعة غير الأم ترضعه ، وفيه طرف من معاتبه الأم على المعاصرة كما تقول لمن تستقصيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك ، تريد : لن تبقى غير مقضية وأنت مأوم . وقوله : « له » أى الأب ، أى سيجد الأب غير معاصرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه . »

(٣) البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٢٨٥ ، عجز .

فلعل أخرى ترضع له - كان في ذلك تصوير يستشير الرحمة لحال وليد تعاسر أبواه فيما يحفظ عليه حياته مع أنهما سبب وجوده ، كما أن في الترجي - وهو طمع وإشفاق - شيئاً غير يسير من المعاتبة للأم لتركها وليدها في حال لا يؤمن معها الإبقاء على حياته على النحو الذي تحبه وترضاه له .

من أجل ذلك نرى أن حمل معنى جملة « فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى » على الترجي وجعل (السنين) فيها مفيدة ما تفيد (لعل) من الطمع والإشفاق - أكثر مطابقة لمقتضى الحال ، وأصدق تصويراً له من حمل معناها على كل من الخبر أو الأمر .

ولا يصح لنا عن حمل معنى هذه الجملة على الترجي قول قائل : إن الترجي في هذه الحال يكون مسنداً إلى الله - سبحانه - ولا يقال ذلك على الله ؛ لأننا نقول ردّاً على ذلك : إن الكلام هنا جرى على طريقة كلام العباد ، واستعمل فيه ما يستعمله العباد من الألفاظ والمعاني في مثل هذا المقام ؛

رمن قبل أجاب القدماء من النحاة على - مثل هذا الاعتراض بهذا الجواب ، يقول محمد بن يزيد المبرد في (باب التعجب) :

« ومن هذا الباب قول الله - عز وجل - « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ »^(١) ، ولا يقال لله - عز وجل - تعجب ، ولكنه خرج على كلام العباد ، أي هؤلاء ممن يجب أن يقال لهم : ما أسمعهم وأبصرهم في ذلك الوقت ؛ ومثل هذا قوله : « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى »^(٢) و (لعل) إنما هي للترجي ، ولا يقال ذلك لله ؛ ولكن المعنى - والله أعلم - اذهبا أنتما على رجائكما ، وقولا القول الذي ترجوان به ويرجو به المخلوقون تذكّر من طالبوه »^(٣) .

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نقول ردّاً على من يرى في حمل جملة « فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى » على الترجي إسناد الترجي إلى الله - سبحانه - : إن المعنى - والله أعلم - : وإن تعاسر الأب والأم في إرضاع وليدهما فإن حالهما تكون

(١) سورة ١٩ (مريم) : ٣٨ .

(٢) سورة ٢٠ (طه) : ٤٤ .

(٣) المقتضب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

مما ينبغي أن يقال معها : لعلَّ أخرى :
ترضع لهذا الأب وليده .

ومن الشواهد التي عاقبت فيها (السين)
(لعل) ، وأفادت ما تفيدته من (الترجى)
قوله - تعالى - في شأن من سخط القسمة
في الصدقات :

« وَمِنْهُمْ مَّن يَلُحْزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا
مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ
رَاغِبُونَ » (١٢) .

ويقول أبو حيان في تفسير الآية
الثانية :

« هذا وصف لحال المستقيمين في
دينهم أي رضوا قسمة الله ورسوله
وقالوا كفانا فضل الله ، وعلّقوا آمالهم
بما سيؤتيه الله إياهم . وكانت رغبتهم

إلى الله لا إلى غيره . وجواب (أ لو) :
محذوف ، تقديره : لكان خيراً لهم
في دينهم ودنياهم » (٢) .

ومن يتأمل قول أبي حيان يجد أنه قد
فسر جملة « سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » على
أنها - لو قيلت - قول الآلين في عطاء
الله إياهم ، والآمل في عطاء الله مترج
مشفق ، فهو ليس على يقين من أن يقع
ما أمّله على النحو الذي أحبه ، ومن
اليسير على من يفسر هذه الآية أن يجعل
(لعل) في محل (السين) من قوله
« سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ » ، وإذا كان
ذلك كذلك كانت (السين) في هذه
الآية مفيدة ما تفيدته (لعل) من
الترجى أو الطمع والإشفاق .

ومن الشواهد القرآنية التي نرى أن
(السين) الداخلة على المضارع فيها مفيدة
معنى الترجى هذه المجموعة من الآيات :

(١٤) سورة ٩ (التوبة) : ٥٨ : ٥٩ .

(٢) (البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٥٦ ، وانظر أيضاً : أبو السعود محمد بن محمد العبادي ٩٥١ هـ إرشاد
المعقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود ، ج ٣ ، بيروت ، بادون ، ص ٧٦ حيث يقول :
« سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ » بعد هذا حسبها نرجو ونؤمن » .

قال - تعالى - في شأن بعض أهل
الكتاب :

« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ
مِثْلُ يَأْخُذُوهُ ... »^(١)

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :
« ... وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا » قطع على
الله بغفران معاصيهم ، أى لا يؤاخذنا
الله بذلك ، والمناسب إذ ورثوا الكتاب
أن يعملوا بما فيه ، وأنه إن قضى عليهم
بالمعصية أن لا يجزوا بالمغفرة وهم مصرّون
على ارتكابها ... »^(٢)

وقال - تعالى - في قصة موسى (ع) :
« فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجُمُعَاتِ قَالَ أَصْحَابُ

مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيَهْدِينِ »^(٣)

وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :
« ... إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » عن
قريب إلى طريق النجاة ويعرفني »^(٤)

وقال - تعالى - في قصة إبراهيم (ع) :
« فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ *
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ »^(٥)
وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية :
« ... سَيَهْدِينِ » يوفقني إلى ما فيه
صلاحى ... »^(٦)

وقال - تعالى - في قصة إبراهيم (ع)
أيضا :

(١) سورة ٧ (الأعراف) : ١٦٩ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

(٣) سورة ٢٦ (الشعراء) : ٦١ ، ٦٢ .

(٤) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٥) سورة ٣٧ (الصافات) : ٩٨ ، ٩٩ .

(٦) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الْإِلَهَ الْأَنَّى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ »^(١)

وقال أبو حيان في تفسير ذلك :

(.. « فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ » أى يهديهم هدايتي^(٢)) .

ومن يتأمل تفسير أبي حيان للآيات السابقة يجد أنه لم يَجْرُ على نسق واحد في تفسير المضارع المبدوء بـ (سين) التنفيس ، فبينما هو يفسر قول بعض أهل الكتاب : « سَيُخَفِّرُ لَنَا »^(٣) بأنه « قطع على الله بغفران معاصيهم »^(٤) نجد أنه يذهب في تفسير قول موسى (ع) : « إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ »^(٥) إلى ما صرح به في تفسير

آية أخرى من أن (السين) « تدل على تقارب الزمن المستقبل لا تراخيه »^(٦) ، فيقول : « .. « إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » عن قريب إلى طريق النجاة ويعرفنيه »^(٧) ،

ويذهب في تفسير قول إبراهيم (ع) « إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ »^(٨) إلى أن (السين)

في « سَيَهْدِينِ » تفيد استمرار الفعل في الحال والاستقبال ، فيقول : « ... » « فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ » أى يهديهم هدايتي^(٩) ؛ أما في

تفسيره لقوله - تعالى - حكاية عن إبراهيم - عليه السلام - : « وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ »^(١٠) فإنه يسكت عن

الإشارة إلى ما تفيد (السين) في هذه الآية حيث يقول : « سَيَهْدِينِ » يوفقني إلى ما فيه صلاحى^(١١) .

(١) سورة ٤٣ (الزخرف) : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٩ .

(٣) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ١ ، ص ١٩٠ .

(٤) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٢ ، ص ١٩٠ .

(٥) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٣ ، ص ١٩٠ .

(٦) انظر البحر المحيط ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ عند تفسير قوله - تعالى - : « علم الله أنكم ستذكرونهن » من

سورة البقرة ، الآية ٢٣٥ حيث قال أبو حيان : « وجاء الفعل بالسين التي تدل على تقارب الزمان المستقبل لا تراخيه

وانظر أيضاً : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٧) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٨) سورة ٤٣ (الزخرف) : ٢٧ .

(٩) البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٩ .

(١٠) سورة ٣٧ (الصافات) : ٩٩ .

(١١) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

والحق أن تفسير أبي حيان لقول بعض أهل الكتاب : « سَيُغْفَرُ لَنَا » بأنه « قَطَعَ عَلَى اللَّهِ بِغُفْرَانِ مَعْصِيَتِهِمْ »^(١) فيه نظر ، فمن اليقين أن الراغب في غفران ذنبه يدين بالخضوع لمن يملك هذا الغفران ، وما كان لإنسان مهما تكن عقيدته أن يقطع على ربه بغفران معصية ؛ لكن الزمخشري يقول في تفسير عبارة « وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِرْهُمْ عَرْضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ »^(٢) : « أى يرجون المغفرة وهم مُصِرُّون »^(٣) ؛ ومن قبل الزمخشري قال الطبري : « وَيَقُولُونَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ سَيُغْفِرُ لَنَا تَمَنِّيًّا عَلَى اللَّهِ الْبَاطِل »^(٤) .

من أجل ذلك ينبغي لنا أن نفهم قول القائلين : « سَيُغْفَرُ لَنَا » على أنه قول المشفق الطامع في أن يغفر الله ذنبه ،

وهو لا يأمن أن يكون هذا الغفران على النحو الذى أحب ، أى أن معنى قول بعض أهل الكتاب : « سَيُغْفَرُ لَنَا » هو - والله أعلم - : لعل الله يغفر لنا ، أى أن (السين) فى هذه الآية قد عاقبت (لعل) فأفادت معناها من الطمع والإشفاق كما أفادت (السين) ذلك المعنى عندما عاقبت (لعل) فى قوله - تعالى - « إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٥)

وكذلك ينبغي لنا أن نفهم ما جاء على لسان إبراهيم وموسى (ع) من قول الله - تعالى - : « سَيَهْدِينِ »^(٦) لأنه إذا كنا نستبشع أن يقطع بعض أهل الكتاب على ربهم بغفران معاصيهم فإننا ننزه رسل الله (ع) عن أن يبدوا وكأنهم آمنوا مكر الله فيُخبروا عن الله - عز وجل -

(١) البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

(٢) سورة ٧ (الأعراف) : ١٦٩ .

(٣) الكشاف ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ج ٢ ، ١٩٥٨ م ، ص ٢١١ وانظر أيضاً أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ، ص ٥٧ حيث يقول : « . . . وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا » وهذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب ، إذا أشرف لهم شئ من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً ويتمنون على الله المغفرة » (٥) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٦) انظر سورة ٢٦ (الشعراء) : ٦٢ ، وسورة ٣٧ (الصافات) : ٩٩ ، وسورة ٤٣ (الزخرف) : ٢٧ .

بأنه سيهديهم عن قريب إلى طريق النجاة
ويُعرفهم إِيَّاهُ^(١) ، أو أنه سيُديم
هدايتهم كما قال أبو حيان^(٢) والزمخشري
من قبله^(٣) ، ولو أننا فسرنا ذلك بالقول
على أنَّ (سين) « سيهدين » في الايات
الثلاث^(٤) مفيدة ما تفيده (لعل) من
الطمع والإشفاق ، مثلها في ذلك مثل
(السين) في « إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ
مِّنْهَا بِخَبَرٍ »^(٥) - لكان ذلك - والله أعلم -
أقرب إلى الصواب ، وأصدق تصويراً لما
يعمر قلوب رسل الله (ع) من خشية لله
- تعالى - ورهبة .

شواهد الشعر :

عرضنا فيما سبق من القول شواهد من
القرآن الكريم تؤيد دعوانا أنَّ (السين)

الداخلة على المضارع تفيد في حال معينة
ما تفيده (لعل) من الطمع والإشفاق ،
وقد عولنا في اختيارنا هذه الشواهد على
أن تكون دلالتها على ما ندعيه دلالة
صريحة واضحة ؛ والآن ينبغي لنا أن
نعرض ما وقع لنا من شواهد الشعر مما يظاهر
الشواهد القرآنية في إثبات هذه الدعوى :

يقول امرؤ القيس^(٦) :

إِنِّي لِعَمْرٍو مَا انْتَمَيْتُ ، فلم

أَعْدِلَ إِلَى بَدَلٍ ، وَلَا مِثْلَ

لَاخٍ رَضِيتُ بِهِ ، وَشَارِكٍ فِي الْ

أَنْسَابِ وَالْأَصْهَارِ وَالْفَضْلِ

وَلَمْثَلُ أَسْبَابِ عِلِقتُ بِهَا

يَمْنَعُنِ مِنْ قَلَقٍ وَمِنْ أَزَلٍ

(١) البحر المحيط ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٩ .

(٣) الكشف ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ .

(٤) انظر ما أشارت إليه التعليقة رقم ٦ ، ص ١٩٢ .

(٥) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٦) من قصيدة له مطلعها :

تنكرت إيلي عن الوصل

انظر التعليقة رقم ٢ ، ص ١٩٤ .

وآية ذلك أن أمراً القيس قد ردّف
قوله هذا بما يُنبئ عن إشفاقه ، فقال :
« فذا ظنى به » ، فكلامه إذن محمول على
الظن والتوقع لا على اليقين ، وأننى للشاعر
أن يكون على يقين من شأن إصاحبه في
مستقبل أيامه ؟

لما سما من بين أقرن فال
أجبال قلت : فداؤه أهلى
همّ سيبلغه التمام ^(١) ، فذا
ظنى به ، سينال أو يُبلى ^(٢)

ويقول الأعلام الشنتمرى فى شرح البيت
الأخير :

« همّ » يعنى همّة . و « التمام » :
العلاء ، والمرتبة التى يريدّها ؛ يقول :
سينال ذلك ، أو يُبلى عذرا إن قصر
دونه ^(٣) .

ومن يتأمل قول امرئ القيس : « همّ
سيبلغه التمام » يجده يعبر عن ترجّيه
أن تكون همّة صاحبه سبباً يبلغه التمام ،
وهو فى هذا الترجى طامع مشفق لا يأمّن
أن يقع ما ترجّاه على النحو الذى أحب ،

وبمثل ذلك نقول فى عبارة « سينال
أو يُبلى » ؛ فهى تفسير لما سبقها من
القول المفيد للترجى ؛ ولو أن أمراً القيس
جعل فى هاتين العبارتين ، (لعل) مكان
(السين) لحسن ذلك حسنه فى قوله
- تعالى - « لَعَلَّ آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » ^(٤) .

من أجل ذلك نقول : إن (السين)
فى قول امرئ القيس : « همّ سيبلغه

(١) ضبطت كلمة « التمام » بضم الميم الآخرة ، وكذلك عند حسن السندوبى ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه
أخبار المراقسة وأشعارهم فى الجاهلية ، والإسلام ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٥٩ م ، ص ١٧١ ، ولعل هذا تحريف
فى المطبوعين والصواب فتح الميم الآخرة حتى يتفق البيت وشرح الأعلام المشار إلى موضعه فى التعليقة الآتية .

(٢) ديوان امرئ القيس بشرح الأعلام الشنتمرى ، (القسم الثانى ، رواية المفضل من نسخة الطوسى مما لم
يروه الأصمعى) ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

التَّمام « ، وقوله : « سينال أو يُبلى »
مفيدة ماتفيده (لعل) من الطمع
والإشفاق ، مثلها في ذلك مثل (سين)
« سَآتِيكُمْ » من قوله - تعالى - « إِنِّي
عَآنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِّنَ النَّارِ »^(١) التي عاقبت (لعل)
المصرح بها في قوله - تعالى - : « إِنِّي
عَآنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي عَآتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى »^(٢) ، وقوله
- تعالى - : « إِنِّي عَآنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي
عَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ »^(٣) .

سيأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتاً ، ولم تضرب له وقت موعد^(٤)

ومن الواضح أَنَّ طَرَفَةَ يترجى في قوله
« ستبدي لك الأيام . . . » ، وقوله :
« سيأتيك بالأخبار . . . » فهو لا يأمن
أَن يقع ماعبر عنه في البيتين على النحو
الذي يحب ، لأنه لا يهلك أمره ، فهو
لا يملك أَن تُظْهَرَ الأيام لمخاطبه مالم يكن
يعلمه ، أو أَن يحصل لذلك المخاطب
العلم بما يشاء من الأخبار من غير أَن
يبذل المال والجهد لمعرفة .

ويقول طرفة بن العبد :

من أجل ذلك نستطيع أَن نقول : إِنَّ

(السين) في كل من العبارتين :

« ستبدي . . . » و « سيأتيك . . . »

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلاً

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٢) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

(٣) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

(٤) من قصيدة له مطلعها :

نحولة أطلال ببرة شهيد ظلمات بها أبكى وأبكى إلى الغد

انظر محمد بن القاسم الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ،
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ . ورواية البيت الثاني هنا : « سيأتيك بالأخبار . . . » ،
وقد فضلناها لسبق ابن الأنباري ، أما رواية الخطيب البريزي فيالواو : « ويأتيك بالأنباء . . . » ، وكذلك رواية
الديوان : « ويأتيك بالأخبار . . . » . انظر : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب البريزي ، شرح القصائد السبع مع
المصنف إليها المشهور بشرح القصائد العشر ، تحقيق فخر الدين قباوة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١٥٨ . وديوان
طرفة بن العبد ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، بدون ، ص ٤١ .

مفيدة ما تفيده (لعل) من الطمع والإشفاق
ولو أننا جعنا (لعل) مكان (السين)
في كل من العبارتين لحصل المعنى الذى
فهمناه من قول طرفة بلا زيادة أو نقصان؛
وإذن ، ف (السين) في قول طرفة :
« سُبُلِي . . . » و « سَيَّاتِيكَ . . . »
قد عاقبت (لعل) مثل (السين) في قوله
- تعالى - : « إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَيَّاتِيكُمْ
مِنْهَا بَخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ » (١).

ومن الشواهد التى كثر ذكرها في
مصادر اللغويين قول الشاعر :

سَيُغْنِيَنِى الَّذِى أَغْنَاكَ عَنِى

فلا فقرٌ يدومُ ، ولا غِنَاءُ (٢)

ومن يتأمل كلام الشاعر في الشطر
الأول يجده يعبر عن طمعه في أن يُغنيه
الله ، ولكنه طامع مشفق غير آمن أن
يقع له الغنى على نحو ما أحب ، فحاله
حال المترجى لا الموقن (٣) ، وما كان
لبشر أن يقطع على ربه بأن يُغنيه ،
ولو أننا فسرنا قول الشاعر : « سيغنينى
الذى أغناك عنى » بقولنا : لعل الذى
أغناك عنى يغنينى لكننا معبرين عن مضمون
قول الشاعر أصدق تعبير ؛ وإذن
ف (السين) في قول الشاعر : « سيغنينى
الذى أغناك عنى » قد عاقبت (لعل)
وأفادت ما تفيده من الطمع والاشفاق
: شأنها في ذلك شأن (سين) « سَمَاتِيكُمْ »

(١) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٢) أنشده ثعلب في شرح بيت زهير :

يجرون البرود وقد تمشت حيا الكأس فيهم والغناء

حيث قال : « . . . والغناء مدود من الصوت ، والغنى من المال مقصود ، وقد مداه الشاعر فقال : سيغنينى . . . » .
أنظر أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م ، ص ٧٣ . عجز . وهذا البيت ذكره
ابن هشام ٧٦١ هـ في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين ، بيروت ، بدون ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ ،
وهو الشاهد رقم ٥٣٧ . والبيت بشطريه ذكره أبو الحسن على نور الدين بن محمد بن عيسى الأشموني ٨٩٢٩ هـ في شرحه على
ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، عيسى الحلبي ، القاهرة ، بدون ، ج ٤ ، ص ١١٠ ، والمطبوعة
بعنوان حاشية الصبيان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعيني . هذا ، وقد قال بدر الدين
محمود بن أحمد العيني ٨٥٥ هـ في مختصر شرح شواهد الألفية ويعرف : بالشواهد الصغرى المطبوع بحاشية المرجع السابق
نفسه : « . . . السين هنا وإن كان للاستقبال ولكنه يفيد معنى التأكيد » .

(٣) انظر ما قاله بدر الدين العيني وأثرنا إليه آنفا .

في قوله - تعالى - : « إِنِّي عَانَسْتُ نَارًا سَاسَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ » (١)

ويقول عبد الله بن عنمة الضبي (٢) :

أَشْتُ بَلِيلِي هَجْرُهَا وَبِعَادُهَا

بِمَا قَدْ تَوَاتَيْنَا وَيَنْفَعُ زَادُهَا

سَنَلَهُو بَلِيلِي وَالنَّوَى غَيْرُ غَرْبَةٍ

تَضَمَّنْهَا مِنْ رَامَتَيْنِ جِمَادُهَا

لِيَالِي لَيْلِي إِذْ هِيَ الْهَمُّ وَالْهَوَى

يَرِيدُ الْفُؤَادُ هَجْرُهَا فَيَصَادُهَا

فَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّارَ قَفْرًا سَأَلْتُهَا

فَعَيَّ عَلَيْنَا نُؤْيُّهَا وَرَمَادُهَا

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دِمْنَةٌ وَمَنَاظِلُ

كَمَا رُدُّ فِي خَطِّ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا

إذا الحارث الحرابُ عادى قبيلةً

نكأها ، ولم تبعد عليه بلادُها (٣)

ويقول محققا متن المفضليات الشيخ

أحمد شاکر والأستاذ عبد السلام هارون -

في وصف جو هذه القصيدة : « هاجه

بُعد ليلي وهجرها ، وتوقع أن تتبدل

الحال فيلتئم الشمل مرة أخرى ، ثم

يصف أطلال دارها ، ووقوفه عندها

يسألها ، ثم يصير إلى الغرض الأول

من كلمته وهو مدح الحوقزان . . » (٤)

وإذا فتشنا في الأبيات عن العبارة

التي أوحى إلى هذين العالمين المحققين

بأن يقولوا دون تكلف : « وتوقع أن

تتبدل الحال فيلتئم الشمل مرة أخرى » (٥)

(١) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٢) هو شاعر إسلامي مخضرم . انظر ترجمته في حاشية كتاب المفضل بن محمد بن يعلى الضبي : المفضليات ،

تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٧٩ من المفضلية رقم

١١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٩ . والأبيات المذكورة أيضا في كتاب الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب ،

الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٢٦ ،

الأصمعية ٨٥ .

(٤) المرجع السابق ، حاشية ص ٣٧٩ .

(٥) المرجع السابق .

بها في قوله - تعالى - : « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى »^(٤)

وقوله - تعالى - : « إِنِّي آتَيْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ »^(٥)

أما بعد ، فإنه يصح لذا أن نقول
مطمئنين :

إن (سين) التنفيس تفيد ما تفيده
(لعل) من الطمع والإشفاق في كل
موضع يحسن أن تحل فيه (لعل)
محلها .

فإننا لانجد غير قول الشاعر : « سنلهو
بليلى والنوى غيرُ غربةٍ »^(١) ؛ ويقول
صاحب اللسان في معنى التوقع : « وتوقع
الشيء واستوقعه : تنظره وتخوفه »^(٢) ،
وإذن ف (السين) في « سنلهو » هي التي
أفادت هذا التنظر والتخوف ، أو الطمع
والإشفاق ، أي أن (السين) في بيت
ابن عَنَمَةَ « سنلهو بليلى . . . » قد عاقبت
(لعل) وأفادت ما تفيده من الطمع
والإشفاق ، مثلها في ذلك مثل (سين)
« سَآتِيكُمْ » من قوله - تعالى - :
« إِنِّي آتَيْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٣)
حيث عاقبت (السين) (لعل) المصرح

(١) انظر الأبيات قبلا .

(٢) محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور ٧١١ هـ ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٨١ م ، مادة (وقع) .

(٣) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٤) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

(٥) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

سوف

ويقول ابن هشام :

« (سوف) مرادفة لـ (السين) ،
أو أوسع منها على الخلاف^(٤) ، وكأن
القائل بذلك نظر إلى أنَّ كثرة الحروف
تدل على كثرة المعنى ، وليس بمطرد ؛
ويقال فيها : « سف » ، و « سو »
بحذف الأخير^(٥) ، و « سى » بحذفه
وقلب الوسط ياءً مبالغة في التخفيف ،
حكاه صاحب المحكم . وتنفرد عن
(السين) بدخول اللام عليها زه و :
« وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى »^(٦) ،
وبأنها قد تُفصل بالفعل المُلغى ، كقوله :

ويقول سيبويه في معنى (سوف) :

« وأما (سوف) فتنفيس فيما لم يكن
بعد ، ألا تراه يقول ؛ سوفته^(١) يعني
إذا قال له مرة بعد مرة : سوف أفعل^(٢) .

ويقول في (باب الحروف التي لا يليها
بعدها إلا الفعل) :

« ومن تلك الحروف أيضاً سوف يفعل ،
لأنها بمنزلة (السين) التي في قولك :
سيفعل وإنما هي إثبات لقوله : لن يفعل ،
فأشبهتها في أن لا يفصل بينها وبين
الفعل^(٣) » .

(١) سيبويه الكتاب ، هارون ج ٤ ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢٣٣ - بولاق ، ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) انظر هذا الشرح عند الجوهري إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، مادة (سوف) بتصرف حيث جعلنا « قال » مكان « قلت » .

(٣) الكتاب ، هارون ، ج ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ١١٥ - بولاق ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .

(٤) يعلق الشيخ محمد محيي الدين على ذلك بقوله : « يريد خلاف البصريين الذين يقولون : إن المدة مع (سوف) أوسع منها مع (السين) ، والكوفيون الذين يقولون : إنها مترادفان ، وليست المدة مع (سوف) أوسع بل هما مستويان » انظر حاشية الصفحة المشار إليها في التعليقة الآتية ؛ كذلك انظر ما نقلناه قبلاً عن ابن هشام عند الكلام على « السين » ، ص ١٧١ .

(٥) انظر مراجع ذلك الخلاف المشار إليها في التعليقة رقم ٣ ، ص ١٧١ .

(٦) سورة ٩٣ (الضحى) : ٥ .

وما أدرى وسوف إخال أدرى

أقومُ أَلْ حِصْنُ أُم نَسَاءُ»^(١)

(سَوْفَ) أشد تراخياً في الاستقبال من

(السين) ؛ وأنه ليس لحرفي التنفيس

صدر الكلام ؛ وأنَّ الجملة المصدرة بعلامة

الاستقبال من (السين) و (سَوْفَ)

وقعت في بعض آيات القرآن الكريم

خبراً للمبتدأ^(٥) .

وقد نقل بدر الدين الزركشى ،

وجلال الدين السيوطى عن ابن بابشاذ

أن (سَوْفَ) تُستعمل كثيراً في الوعيد

والتهديد ، وقد تستعمل في الوعد^(٢) .

وإذا كان الشيخ عزيمة نحويًا معاصرًا

قد لخص فيما كتبه عن (سَوْفَ) جميع

ما قاله النحويون من قبله كنا على يقين

من أنَّ النحويين جميعاً قدماء ومُحدثين

لم يجدوا لحرف التنفيس (سوف)

إلا ما نقلناه قبلاً من أنواع الاستخدام ؛

لكنَّ الإِنعامَ في النظر إلى بعض أبيات

الشعر يكشف عن معنى آخر لـ (سوف)

أراه لم يقع لنحوى من قبل ، وبيان ذلك

فيما يأتى من القول :

وقد عد الشيخ محمد عزيمة ثمانياً

وعشرين آية قرآنية جاءت فيها (سَوْفَ)

للوعيد ؛^(٣) وعشر آيات جاءت

فيها (سَوْفَ) للوعد^(٤) ، ثم أتبع

ذلك بمجموعة من الفقار عالج فيها أحكاماً

تشترك فيها (سَوْفَ) مع (السين)

من إفادة (السين) و (سَوْفَ) تحقق

الوقوع ؛ والاستمرار ؛ وأنَّهما يخلَّصان

المضارع إلى معنى الاستقبال : وأنَّ

(١) انظر ما أشير إليه في التعليقة رقم ٦ ، ص ١٧٢ ، والبيت ازهير بن أبي سلمى ، وسنناقشه بعداً .

(٢) انظر ما نقلناه قبلاً عن الزركشى والسيوطى عند الكلام على (السين) ، وعلقنا عليه في الصفحتين ١٧٢ و ١٧٣ .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، ج ٢ ، ص ١٧٥ — ١٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٧ — ١٧٨ . ولم نعن هنا بنقل شيء من الشواهد القرآنية على إفادة (سوف)

الوعيد أو الوعد كما فعلنا عند معالجة (السين) ، لأننا لم نختَر شيئاً من هذه الشواهد ليكون دليلاً لنا على ما نقوله .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٨٣ — ١٩٣ ، وانظر المرجع مفصلاً في حاشية ص ١٨٠ .

يقول ذو الإصبع العدواني^(١) :

ولى ابن عم على ما كان من خلقي

مختلفان ، فأقلية ، ويقليني

أزرى بنا أننا شالت نعمتنا

فخالني دونته ، بل خلته دوني

لا هـ ابن عمك لا أفضلت في حسب

عني ، ولا أنت دياني فتخزوني

إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها

إن كان أغناك عني سوف يغنيني^(٢)

ومن يتأمل قول ذي الإصبع في البيت

الأخير يجد أنه محمول على معنى غير

معنى الخبر واليقين ، فأمر استغنائه عن

ابن عمه بيد الله الذي يقبض الدنيا ،

ويبسطها ، وليس بيده هو ، وما كان لدى الإصبع

أن يقطع على الله بأن يغنيه عن ابن عمه

كما أغنى ابن عمه عنه ، فكلامه إذن

هو كلام المترجي لا المخبر الموقن ،

و (سوف) في قوله : « سوف يغنيني »

قد عاقبت (لعل) كما عاقبت (السين)

(لعل) في قوله - تعالى - : « إني

ءانست نارا سأتيكُم منها بخبر »^(٣) ؛

ولو أن شارحا فسر قول الشاعر « سوف

يغنيني » بقوله : لعله يغنيني ماجاوز

الصواب ، وإذا حسن أن تحل (لعل)

المفيدة للترجي محل (سوف) في قول

ذي الإصبع : « سوف يغنيني » كانت

(سوف) في ذلك القول مفيدة ماتفيده

(لعل) من الترجي ، أو الطمع والإشفاق .

(١) اسمه حرثان بن الحرث بن محرث ، شاعر فارس قديم جاهلي . انظر ترجمته في حاشية المفضليات ، تحقيق

أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٩ م ، ص ١٥٣ . وانظر أيضا أبو الفرج الأصبهاني على بن الحسين ٣٥٦ هـ الأغاني ، ج ٣ ، بولاق ، بدون ، ص ٢ وما بعدها .

(٢) أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كارلوس لايل ، بيروت ،

١٩٢٠ م ، ص ٣٢٥ . كذلك انظر أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ٣٥٦ هـ ، كتاب الأمالي ، بيروت ، بدون ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ . وكذلك انظر الأغاني ، ج ٣ ، بولاق ، بدون ،

ص ٩ .

(٣) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

ويقول زهير بن أبي سلمى^(١) :

وما أدري ، وسوف إخال أدري

أقوم آل حصن أم نساء

فإن تكن النساء مخدرات

فحق لكل محصنة هداء^(٢)

قال أبو العباس ثعلب في شرح هذين

البيتين :

« يقول : ما أدري أرجال هم أم

نساء . . . فإن قالوا : هن النساء اللاتي

يختبئن في الخدور فينبغي أن يزوجن

إذا »^(٣) .

وقال عبد القادر البغدادي :

« وفي قوله : « وسوف أدري »

مبالغة ، يقول : لشدة شبههم بالنساء

لا يمكن الآن معرفتهم ، ويمكن أن أعرفهم

في المستقبل بمزاولة فكر »^(٤) .

ونقول بناء على ما تقدم : إنه إذا

ألقى زهير في روعنا مبالغاً أنه تعذر عليه

معرفة حقيقة آل حصن إخال قوله هذا

الكلام فإن معرفة هذه الحقيقة فيما يستقبل

من الزمان بمزاولة الفكر - إذا قدرنا هذه

المبالغة - أي لا يدخل في باب اليقين ،

بل هو شيء مراد محبوب للمتكلم به

لكنه لا يأمن أن يقع في المستقبل ،

على نحو ما أحب ، ويؤيد ما نقول جعل

زهير جملة « إخال » معترضة بين

« سوف » ، و « أدري » تأكيداً لمبالغته ،

(١) من قصيدة له يهجو فيها أهل بيت من كلب من بني غليم بن جناب ، مطلعها :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن ، فالقوادم ، فالحساء

انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) عبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٩٣ هـ ، شرح أبيات مغنى اللبيب ، تحقيق عبد العزيز إرباب أبو أحمد

دقاق ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٧٣ م ، ص ١٩٦ .

و « إخال » بمعنى أظن ؛ ويؤيد ما نقول
أيضاً ما أثاره زهير من التشكيك بقوله :

فإن تكن النساء مُخَدَّرَاتٍ

فَحَقُّ لِكُلِّ مُحَصَّنَةٍ هِدَاةٌ

وإذن فقول زهير : « وسوف إخال
أدرى » يصدق عليه ما قاله المبرد في
تفسير جملة (لعل) المفيدة للترجى :

« فإذا قلت : لعل زيدا يأتيُنَا ، ولعل
عمراً يزورنا - فإنما مجاز هذا الكلام من
القائل أنه لا يَأْمَنُ أَنْ يكون هذا كذا »^(١)

ولو أن شارحاً جَرَّد قول زهير :
« وسوف إخال أدرى » من جملة إخال
المعترضة ، وجعل (لعل) مكان « سوف »
لحسن ذلك منه ، أى أَنَّ « سوف »
في قوله : « وسوف إخال أدرى » مفيدة
ماتفيده (لعل) من الترجى أو الطمع

والإشفاق كما أفادت (السين) في
« سَأَتِيكُمْ » من قوله - تعالى - : « إِنِّي
عَآنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٢) -
الترجى حيث عاقبت (لعل) المصرح
بها في قوله - تعالى - : « إِنِّي عَآنَسْتُ
نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ »^(٣) ،
وقوله - تعالى - : « إِنِّي عَآنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي
ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ »^(٤) .

من أجل ذلك يصح لنا أن نجعل
(سوف) شريكة (السين) في المعنى
الذى قلنا إن (السين) تفيده ، فنقول :

إن كلا من حرفى التنفيس يفيد
ما تفيده (لعل) من الطمع والإشفاق
في كل موضع يحسن أن تحل فيه (لعل)
محلّه .

هذا ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت
وإليه أنيب .

(١) انظر ماتشير إليه التعليقة رقم ١ ، ص ١٨٢ .

(٢) سورة ٢٧ (النمل) : ٧ .

(٣) سورة ٢٠ (طه) : ١٠ .

(٤) سورة ٢٨ (القصص) : ٢٩ .

المراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن ، الحافظ جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود ، أبو السعود محمد بن محمد العمادى ٩٥١ هـ ، بيروت ، بدون .
- ٣- الأصمعيات، الأصمعى سعيد بن عبد الملك بن قريب ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٤- الأغاني ، أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني ٣٥٦ هـ ، بولاق ، بدون .
- ٥- الأمالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ٣٥٦ هـ ، بيروت ، بدون ، مصورة عن طبعة دار الكتب .
- ٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ٥٧٧ هـ ، تحقيق محمد محي الدين ط ٤ ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري المصري ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محي الدين ، بيروت ، بدون .
- ٨- البحر المحيط ، محمد بن يوسف المشهور ببأبي حيان الأندلس ٧٥٤ هـ ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، مصورة عن طبعة ١٣٢٨ هـ .
- ٩- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، القاهرة ، عيسى الحلبي ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

١٠- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٣هـ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

١١- جامع البيان عن تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ١٣١٠هـ ، القاهرة ، ط ٢ ، مصطفى الحلبي ، ١٩٥٤ م . وطبعة أخرى بتحقيق محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

١٢- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ، محمد عبد الخالق عضيمة ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، مطبعة السعادة ، بدون .

١٣- ديوان امرئ القيس ، بشرح الأعلام الشنتمرى أبي الحجاج يوسف بن سليمان النحوى [٤٧٦ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

١٤- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق أكرم البستاني ، بيروت ، بدون .

١٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالتى ٧٠٤ هـ ، تحقيق أحمد الخراط دمشق ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

١٦- شرح أبيات مغنى اللبيب ، عبد القادر بن عمر البغدادى ١٠٩٣ هـ ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد دقاق ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٧٣ م .

١٧- شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقبة وأشعارهم في الجاهلية والإسلام ، حسن السندوبى ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٥٩ م .

١٨- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى ثعلب ٢٩١ هـ ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .

١٩- شرح ديوان المفضليات ، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشاره الأنباري ٣٠٤ هـ ،
تحقيق كارلوس لايل ، بيروت ، ١٩٢٠ م .

٢٠- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨ هـ ،
تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٢١- شرح القصائد العشر ، أو شرح القصائد السبع^٥ مع^٦ المضاف إليها ، يحيى بن علي
الخطيب التبريزي ٥٠٢ هـ ، تحقيق/فخر الدين قباوة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٢٢- شرح المفصل ، يعيش بن علي بن يعيش ٦٤٣ هـ ، القاهرة ، بدون .

٢٣- الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه ١٨٠ هـ ، تحقيق
عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٢٤- الكشاف عن^٧ حقائق التنزيل وعيون^٨ الآقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود
ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ٥٣٨ هـ ، تحقيق قمحاوي ، مطبعة الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٢٥- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور ٧١١ هـ دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٨١ م .

٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ٥٤٨ هـ ،
بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

٢٧- مختصر شرح شواهد الألفية ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ٨٥٥ هـ ،
والمختصر مطبوع مع حاشية الصبيان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، القاهرة
عيسى الحلبي^٩ ، بدون .

٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري
المصري ٧٦١ هـ ، تحقيق محمد محي الدين ، القاهرة ، بدون .

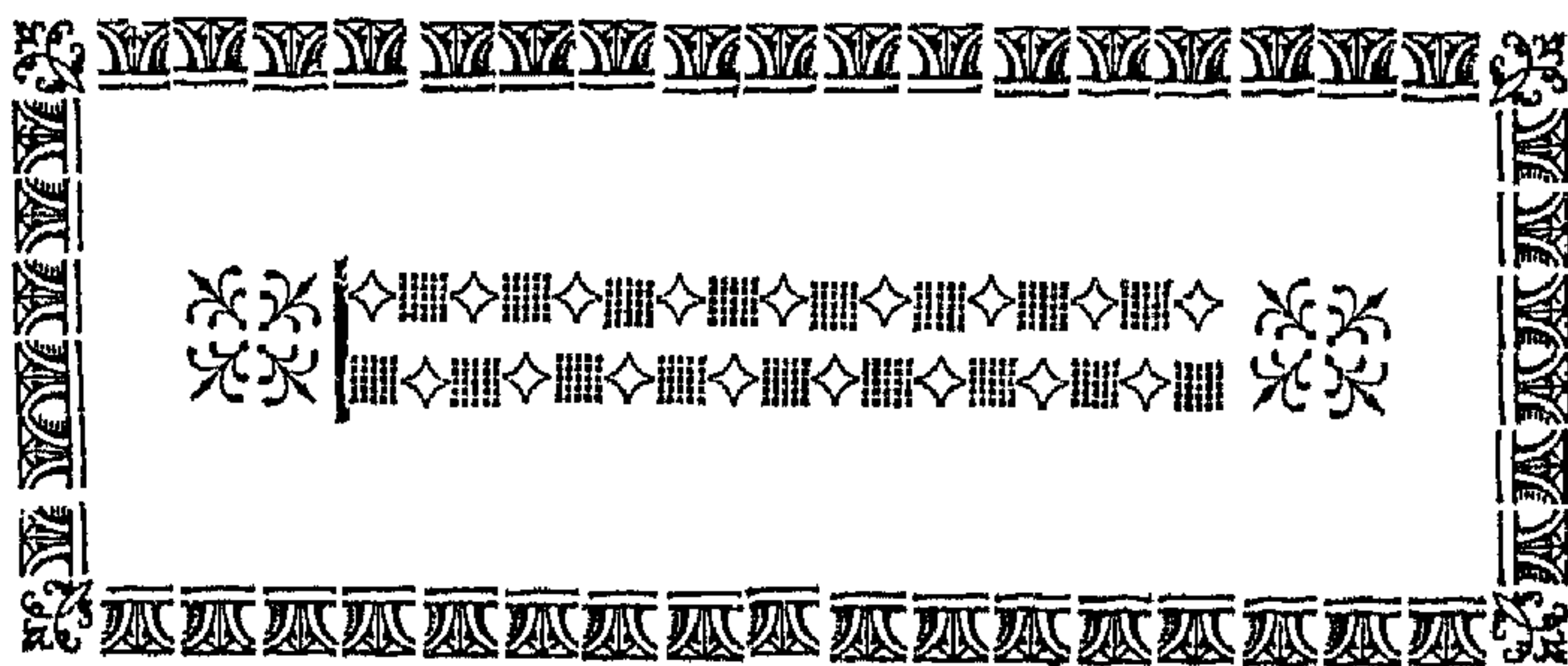
٢٩- المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ١٧٨ هـ ، تحقيق أحمد شاكر
وعبد السلام هارون ، ط. ٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٣٠- المقتضب ، محمد بن يزيد البرد ٢٨٥ هـ ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ،
القاهرة ، ١٣٨٥ هـ .

٣١- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك المعروف بشرح الأشموني ، أبو الحسن علي
نور الدين ابن محمد بن عيسى الأشموني ٩٢٩ هـ ، وهو مطبوع مع حاشية الصبان
ومختصر شرح الشواهد للعيني بعنوان حاشية الصبان على شرح الأشموني على
ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، عيسى الحلبي ، القاهرة ، بدون

٣٢- النهر الماد من البحر ، محمد بن يوسف المشهور ببأي حيان الأندلسي ٧٥٤ هـ ،
والكتاب مطبوع بحاشية البحر المحيط للمؤلف نفسه ، ط. ٢ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
مصورة عن طبعة ١٣٢٨ هـ .

صبحي عبد المنعم سعيد



صدف البحر ومحار للدكتور على السكري

قبيلة الرخويات :

قبيلة الرخويات تعتبر من أكبر قبائل المملكة الحيوانية ، وبالذات من أكبر قبائل اللافقاريات ، وتضم مجموعة متباينة من الأنواع يصل عددها إلى نحو ٨٠,٠٠٠ نوع . سميت بهذا الاسم « الرخويات » لأن أجسامها تتكون من كتلة لحمية دهنية هلامية دون وجود هيكل عظمي داخلي يقومها ، وتحمل نفسها بواسطة صدف خارجية قد تكون من نوع ذات المصراعين أو من نوع ذات المصراع الواحد مثل الحلزون . ويقوم بإفراز هذا الصدف عضو متخصص من جسم الحيوان يسمى البرنس حيث يغطي غالبية أجزاء الجسم الداخلية ويفرز هذا العضو أيضاً اللآلئ ، وهي لا تختلف كثيراً في تركيبها الكيميائي عن الصدف الذي يحويها . تتحرك الرخويات بواسطة عضو عضلي يقال له القدم وحركتها بطيئة ويكون تنفسها غالباً من خلال الخياشيم .

البرنخر البحر بأنواع من الصدف والمحار والقواقع والحلزون (شكل ١) وهي ذات أشكال وأحجام مختلفة وكذلك ذات ألوان وزخارف متباينة ، وهي تكون في مجموعها قبيلة كبيرة من الحيوانات البحرية اللافقارية تسمى قبيلة الرخويات . هذه الأصداف عموماً ذات فائدة كبيرة للإنسان : فقد تكون مادة غذائية له أو قد يستخرج من بعض أنواعها اللآلئ أو قد تدخل في بعض الصناعات الزخرفية وغيرها ، كذلك قد تكون ضارة بصحة الإنسان حيث تقوم في ظروف معينة بدور الوساطة في انتقال عدوى بعض الأمراض . كان لقدماء المصريين السابق في استخدام الأصداف في عمليات الزينة ، والزائر للمتحف المصري بالقاهرة سوف يجد بعضاً من الآثار الصدفية التي تركها الأقدمون ، ومما اشتهروا به قطع هذه الأصداف إلى قطع صغيرة ثم نظم القطع في عقود .

العلبة الحيرية التي تحتوى أجزاء الحيوان الرخو قد تتكون من شقين؛ أى أنها مزدوجة وتسمى في هذه الحالة : ذات المصراعين والحيوان بداخلها يتنفس بالخياشيم؛ وهى إما أن تعيش في البحار أو الأنهار أما العلبة ذات المصراع الواحد مثل الحلزون فصدفتها مكونة من شق وحيد ذو شكل حلزوني أو لولبي، والحيوان في هذه الحالة يتنفس بواسطة الرئة أو الخياشيم، وهذا النوع يعيش إما في البحار أو المياه العذبة كالأنهار والبحيرات العذبة وعلى الأرض . وتتركز هذه الحيوانات مادة كربونات الأتالسيوم من الماء وترسبها في أنسجتها لتكون هياكلها الحيرية .

تتركب الصدفة من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وتنمو في نفس الوقت، ترسب الطبقة الخارجية أولاً وتتركب من مادة اسمها الكونكيولين وهى مادة عضوية ذات لون بني تشبه الكيتين ، أما الطبقة الوسطى فتتكون من منشورات دقيقة من معدن الكالسيت تلاحمها مع بعض مادة الكونكيولين المذكورة أما الطبقة الداخلية فتتكون من بلورات معدن الأراجونيت الدقيقة مع وجود مادة الكونكيولين اللاحمة وهذه الطبقة الأخيرة تسمى طبقة أم الأواو وهى نفس الطبقة التي يتكون منها الأواو ولها على وجه الخصوص تركيب كيميائي مشابه لتركيبه . يستخرج معظم الأواو من الرخويات البحرية ذات المصراعين

غير أن بعض رخويات المياه العذبة من ذوات المصراعين يمكن أن تنتج أنواعاً معينة من اللآلى ويستخرج اللؤلؤ . من بعض الرخويات ذات المصراع الواحد (الحلزون) التي تعيش في البحار والسبب المباشر في تكون اللآلى هو حدوث التهاب مفاجئ نتيجة مرض يصيب الحيوان الرخو أو دخول طفيل إلى جسمه الاحمى أو حبة غريبة مثل حبة رمل أو قطعة صغيرة من فتات صدفة .

الصدف والمحار والودع في اللغة

وضع العرب ١٢ اسماً مختلفاً تصف أنواع الصدف والمحار والودع والحلزون التي تعيش في المياه المالحة أو العذبة ، ونورد هنا هذه الأسماء بشرحها كما جاءت بكتاب الإفصاح في فقه اللغة الجزء الثاني من عمل حسين يرسف موسى وعبد الفتاح الصعیدی (١٩٦٧) :

١ - انصدف . غشاء الدر . الواحدة صدفة .

٢ - المحارة : الصلابة ونحوها من العظم .

٣ - الودعة : الودعة والودعة (فتح الدال وسكونها) : خرزة بيضاء تخرج من البحر ، شقها كشق النواه ، تعلق لدفع العين ، الجمع ودعات .

٤ - الدلاع : ضرب من محار البحر . والدولة : صدفة منحوية إذا أصابها

ضصبح النار خرج منها كهيئة الظفر فيستل قدر
أصبح ، فهو هذا الاظفار الذى فى القسط

٥ - القرثع : دويبة بحرية لها صدفة
تكون فى البحر .

٦ - الجحيم : (ضم الجحيم) صدف من
أصداف البحر .

٧ - السليج : أصداف بحرية فيها شيء
يؤكل .

٨ - الحارزون : من أصداف البحر .
والحارزون دويبة رمثة (ضعيفة) لحمها
جيد للمعدة وجراحة الكلب ، ومحروق
صدفه يجاو الحرب .

٩ - الدوك : ضرب من صدف البحر .

١٠ - القيقب : ضرب من صدف
البحر يعلق على الصبيان من العين .

١١ - لاقنقن : القيقب

١٢ - الجسحل : لحم يكون فى جوف
الصدف .

يمكن إضافة كلمة القوقع لهذه القائمة
ومعناها كما ورد فى المعجم الوسيط - الجزء
الثانى (١٩٧٣) : حيوان لا فقارى
رخو يفرز حول جسمه صدفة مفردة
حارزونية الالتفاف ، وهو يعيش فى البر

أو البحر أو الماء العذب ، وفى أثناء الحركة
والنشاط يبرز جسمه من الصدفة (شكل
٢) ، واحدته قوقعة .

هذه القائمة تحوى العديد من المصطلحات
التي تصف أنواعاً مختلفة من الصدف
والحار والحارزون . ويمكن أن نضيف لها
مصطلحات أخرى مستحدثة مثل : ذات
المصراعين إذا كان الحيوان الرخويينى علية
جيرية ذات شقين ، أو ذات المصراع الواحد
إذا كان الرخويينى علية جيرية من شق
حارزوني واحد ، أو الرخويات ، إشارة
إلى القبيبة التي تضم كل هذه
الأنواع وغيرها . ومن المدهش أن العرب
خصصوا ثلاثة مصطلحات لوصف الصدف
ذات المصراع الواحد (شكل ٣) وهى :
الودعة ، ووصفوها بأنهم خرزة بيضاء شققها
كشق النواة وهو وصف جميل مختصر
لنوع من الحارزونات البحرية التي تعيش
فى المياه المالحة للآن ، ثم لفظ الحارزون
والقوقع إشارة إلى أن الحيوان يبنى حول
جسمه اللحمى صدفة مفردة متعددة الغرف
حارزونية الهيئة (شكل ٤) . ولم يفهم
وضع مصطلح خاص بالجزء الرخو من
الحيوان أو لحم الحيوان الذي يعيش فى
جوف الصدف حيث أسموه الجسحل .
وفى وصفهم لحيوان الرخو الدلاع أنه
إذا أصابها ضبح النار خرج منها كهيئة
الظفر ، فكأنهم يشيرون إلى خروج ذلك
العضو العضلى المستخدم فى حركة الحيوان

وهو القدم ، ويمكننا الاستفادة بهذه الألفاظ الكثيرة في ترجمة مصطلحات الرخويات .

ورد في معجم المصطلحات الجيولوجية الذى أعده المعهد الجيولوجى الأمريكى [١٩٦٢] بخصوص تعريف كلمة Shell أنها بصفة عامة ، الغطاء الصلب المتين لحيوان ، ويكون هذا الغطاء عادة من مادة جيرية ، وفي حالات أخرى يكون كليا أو جزئيا من مادة كيتينية أو سليسية . يمكن أن يقابل هذا المصطلح الإنجليزى كلمة صدفة أو محارة في العربية ؛ حيث لا توجد دلالة خاصة تشير ما إذا كان أحد هذين اللفظين (صدفة أو محارة) مخصصا لوصف ذوات المصراعين أو ذوات المصراع الواحد وهو ما تدل عليه كتب المعادن التى تصف استخراج الأولو من أصدافه . وهنا يلتقى اللفظ الإنجليزى Shell مع الترجمة العربية صدفة أو محارة في عموم الإشارة إلى الأصداف من ذوات المصراعين أو من ذوات المصراع الواحد . أما كلمة Snail فيمكن أن يقابلها كلمة الحلزون أو القوقع أو الودعة ، أما كلمة Gastropoda فلها ترجمة حديثة وهى القدمعويات وهى الرخويات ذات المصراع الواحد الحلزوني .

شجر البحر

كان العرب يشيرون إلى المستعمرات المتفرعة لحيوان المرجان ، وهو حيوان

بحرى يبنى هياكل خارجية جيرية ، على أنها أشجار المرجان وهناك بعض المصطلحات التى تصف تجمعات هذا الحيوان وغيره من حيوانات بحرية أخرى نوردها فيما يلى (كتاب الإفصاح الذى سبقت الإشارة إليه) :

١ - المرجان : عروق حمرة تطلع من البحر كأصابع الكف .

٢ - الإسفنج : عروق شجر نافع في القروح العفنة . وقيل جنس حيوانات مائية ، والإسفنج الليفى الذى نستعمله في الاغتسال هو بمثابة عظم الكتلة اللحمية من جسم الحيوان .

٣ - القرم : نبت كالذلب ، غلظا وبياضا ينبت في جوف البحر ، ورقه مثل ورق اللوز والآراك ، وثمره مثل ثمر الصומר .

عرف معجم المصطلحات الجيولوجية المشار إليه آنفا كلمة مرجان Coral بأنه حيوان جوففعوى بحرى غير متحرك ويسكن القاع ، يوجد بعضه في صورة آحاد متفرقة ولكن غالبيته تنمو في مستعمرات ، وتفرز هذه الحيوانات هياكل خارجية من كربونات الكالسيوم ويمكن أن يشير المصطلح كذلك إلى الهيكل الجيرى الخارجى للحيوان أو المستعمرة منه . وعليه فكلمة المرجان تقابل مصطلح Coral في اللغة الإنجليزية ، هذه الهياكل المرجانية يمكن

أن تأخذ ألوانا مختلفة مثل الأبيض والأحمر والأسود :

التي تحويها الصدف : يمكن إضافة مصطلحات مستحدثة أخرى مثل ذوات المصراعين وذوات المصراع الواحد والقدمعويات والرخويات ، وهكذا . كلمة صدفة أو محارة يقابلها في الإنجليزية كلمة Shell ، كذلك فإن كلمة Snail يمكن أن يقابلها في العربية كلمة الحلزون أو القوقع أو الودعة .

في تعريف كلمة Sponge ذكر معجم المصطلحات الحيولوجية أنه الكائن الحي الذي ينتمي إلى أبسط القبائل الحيوانية متعددة الخلايا وأقلها تطورا ؛ وهي المساميات وتمتلك بصفة عامة هيكلًا شوكيًا ، ومن الممكن أن تقابل كلمة إسفنج لفظ Sponge .

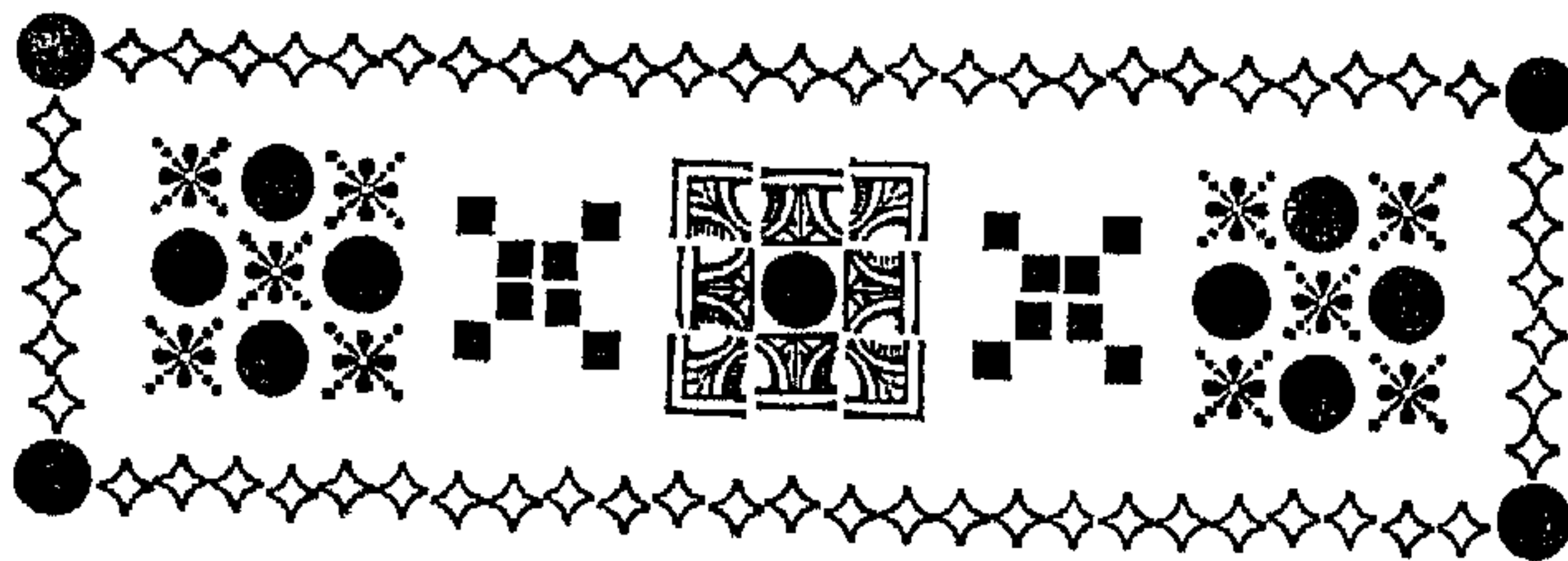
الخلاصة

درسنا في هذا المقال قبيلة الرخويات وأشرنا إلى الأصداف ذات المصراعين والأخرى ذات المصراع الواحد وتركيب الصدفة وتكوين اللالي* . أوضح البحث وجود اثني عشر اسما مختلفا تصف أنواع الصدف والمحار والودع ، هذه الأسماء هي : الصدف - المحار - الودع - الدلاع - القرثع - اللحم - السلج - الحلزون - الدوك - القيقب - القنقن - القوقع . مع وجود مصطلح خاص / الحمحل / يطلق على المادة الرخوية

من ناحية أخرى وجد أن كلمة المرجان في العربية يقابلها كلمة Coral في الإنجليزية وكذلك كلمة الإسفنج يمكن أن يقابلها في الإنجليزية كلمة Sponge :

هذه الألفاظ الوفيرة يمكن الاستفادة بها في ترجمة المصطلحات الخاصة بالرخويات والمرجان والإسفنج وما شابهها وذلك في إطار مصطلحات علم الحياة القديمة الذي يكون أحد الفروع المتعددة لعلوم الأرض .

على على السكرى

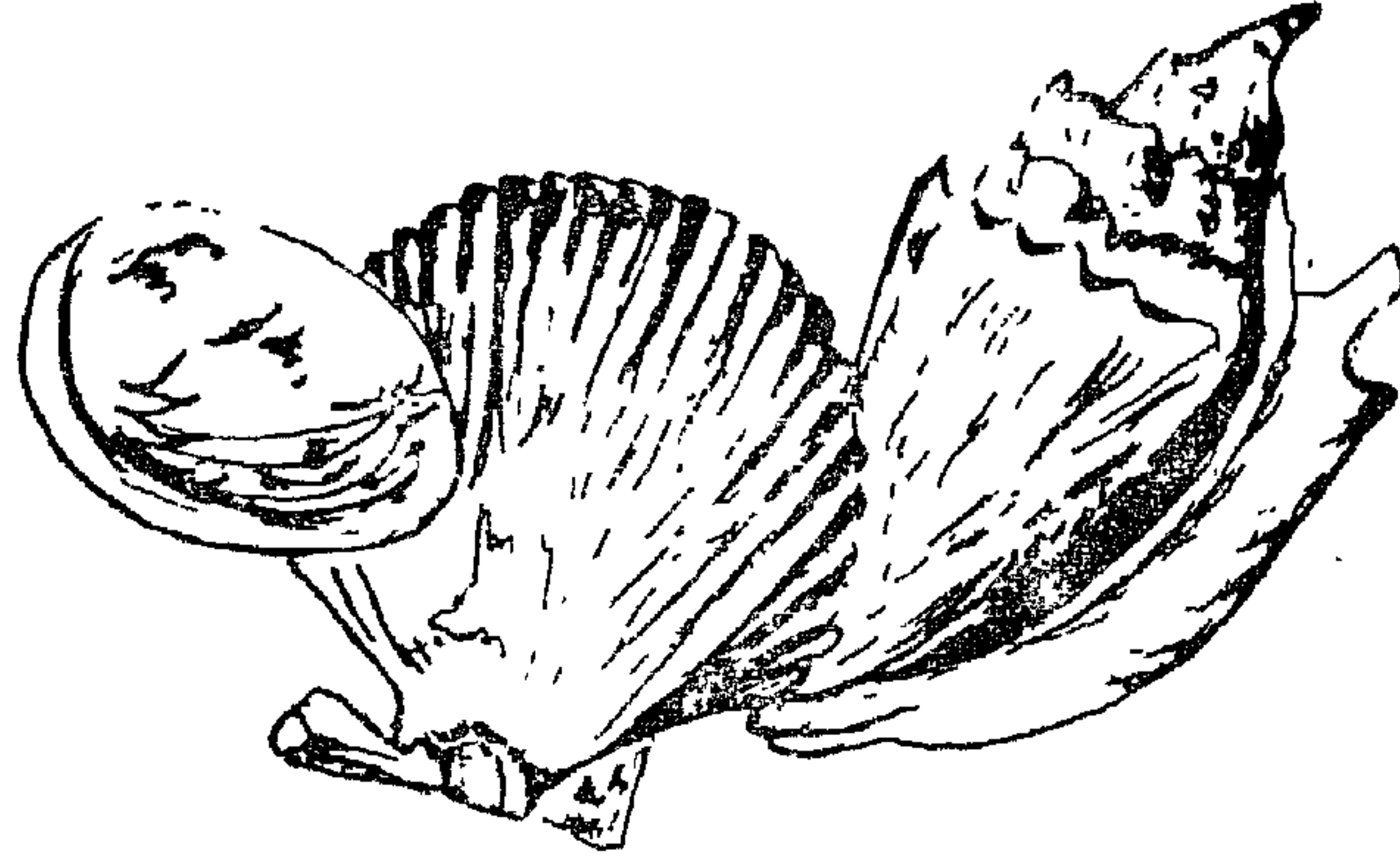


المراجع

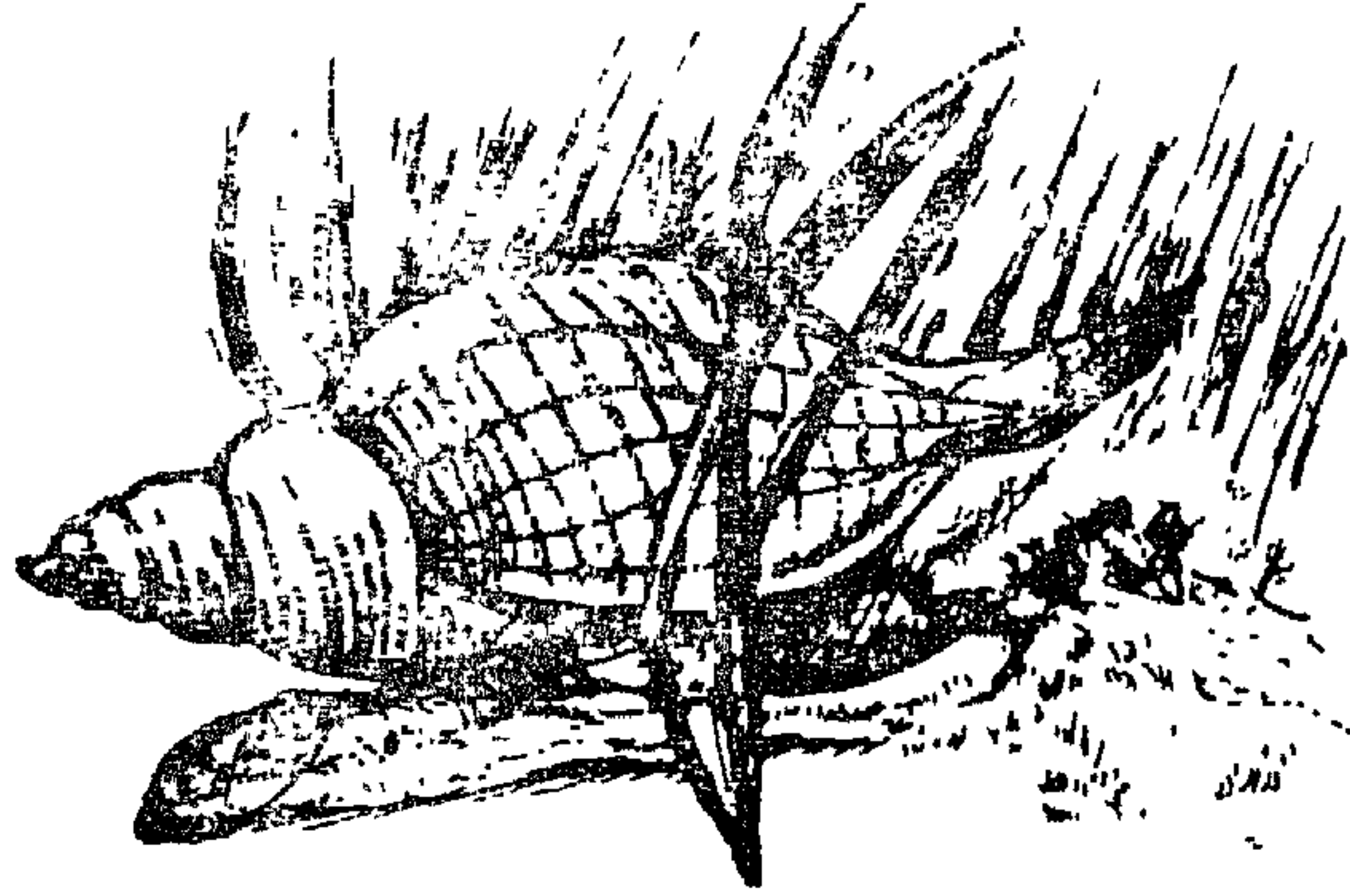
- ١ - الإفصاح في فقه اللغة - الجزء الثاني تأليف حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعیدی . الناشر : دار الفكر العربي ١٩٦٧ .
- ٢ - المعجم الوسيط ، أخرجه : إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطيه الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد . مجمع اللغة العربية - الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ .
- ٣ - كتاب صبح الأعشى - الجزء الأول . تأليف : الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي . المطبعة الكبرى الأميرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٣ .
- ٤ - اللؤلؤ . عمل توفيق محمد أبو طيرة ، مجلة رسالة العلم ، العدد ٨ ، مايو ١٩٣٧ .
- ٥ - عالم الحيوان . تأليف : الدكتور محمد رشاد الطوبی . سلسلة كتابك رقم ٥ الناشر : دار المعارف ١٩٧٧ .

6. American Geological Institute (1962) : Dictionary of geological terms Dolphin Books.
7. Carson, R. (1959) : The edge of the sea. Pub. : The New American Library.
8. Pearl, R.M. (1948) Popular gemology. John Wiley and Sons, Inc.
9. Whitten, D.G.A. and BRooks, J.M.V. (1974) : Dictionary of gology. Penguin Books.
10. Woods H. (1937) : Palaeontology : Invertebrate. Cambridge, At the University Press.

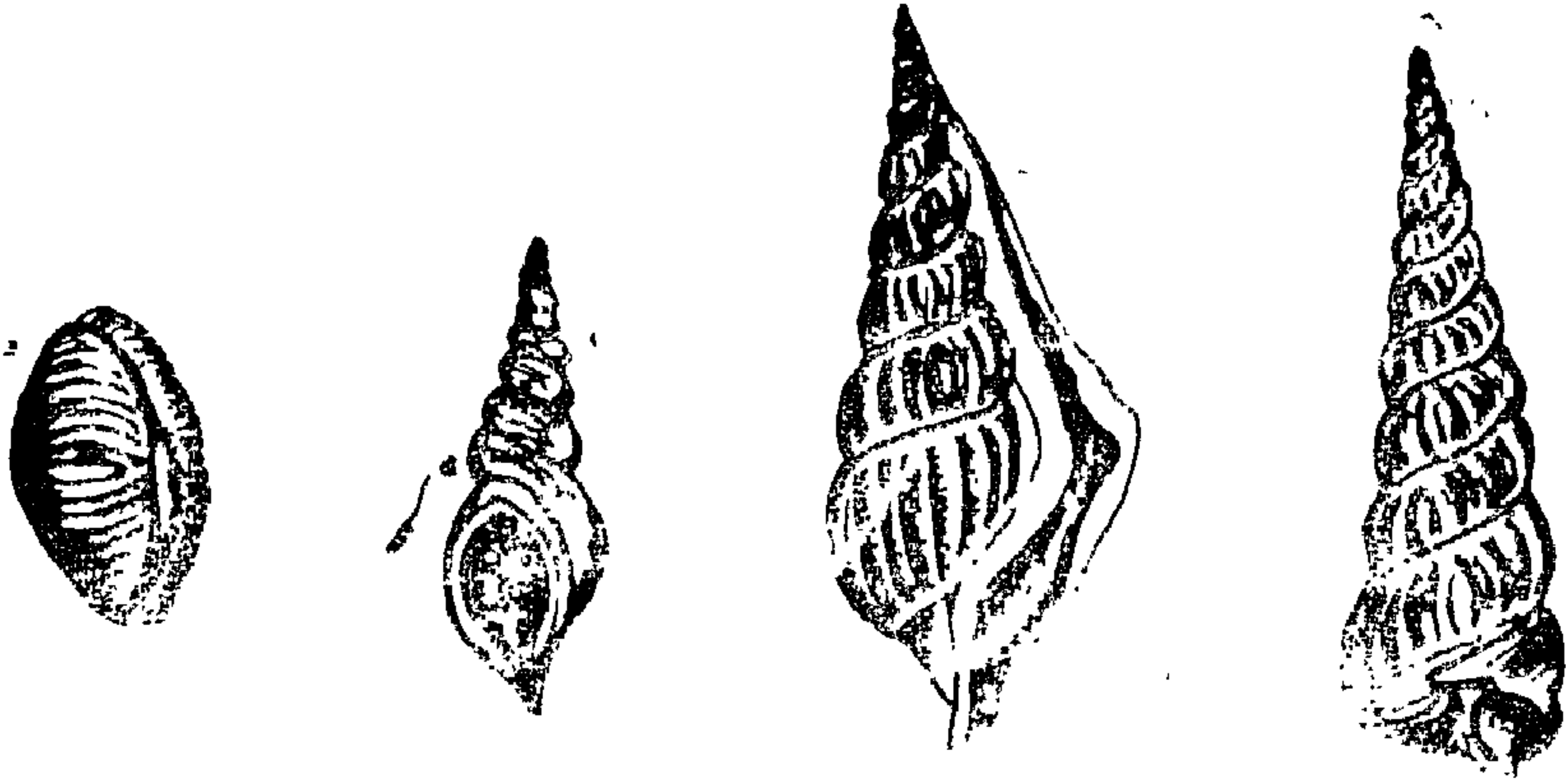
على على السكری
الخبر بالمجمع



شكل ١ : صدف البحر ومخاره منه ذات المصراع الواحد أو الحلزون (الصدقة يمين الصورة) ومنه ذات المصراعين (الصدفتان شمال الصورة) .



شكل ٢ : الحلزون حيا يخرج من أسفله العضو العضلي المسمى القدم والمستخدم في الحركة .



شكل ٣ : أنواع متباينة من الحلزون والودع ومنه ما وصفه العرب على أنه خرزة بيضاء تخرج من البحر شققها كشق النواة (الودعة الأخيرة في الصورة) .



شكل ٤ : قطاع طولى فى حلزون يوضح الغرف المختلفة التى كان يسكنها الحيوان .



في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٨ من رجب سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٨ من أبريل سنة ١٩٨٥ م أقيم المجمع حفلا لاستقبال ثلاثة من أعضائه الجدد هم : الدكتور حسين مؤنس ، والدكتور عبد العظيم حفنى صابر والدكتور كمال بشر . وهاهى ذى الكلمات التى أقيمت فى هذا الحفل :

●● كلمة الافتتاح للدكتور مهدى علام

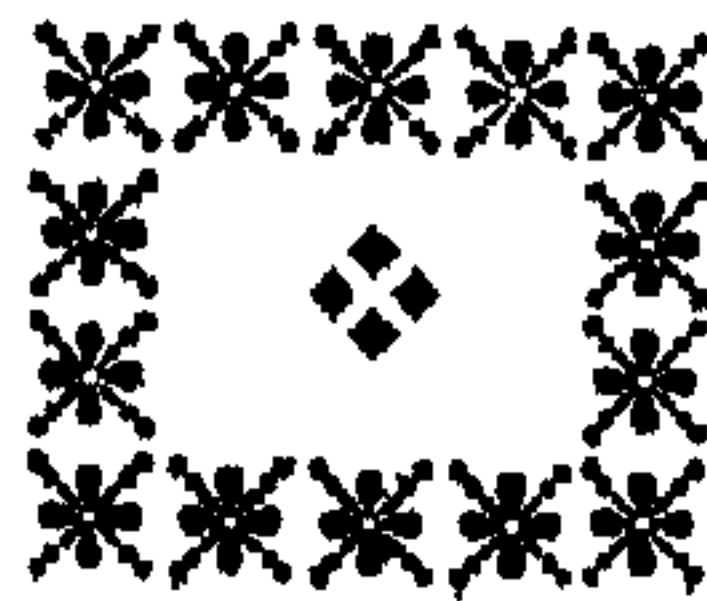
نائب رئيس المجمع

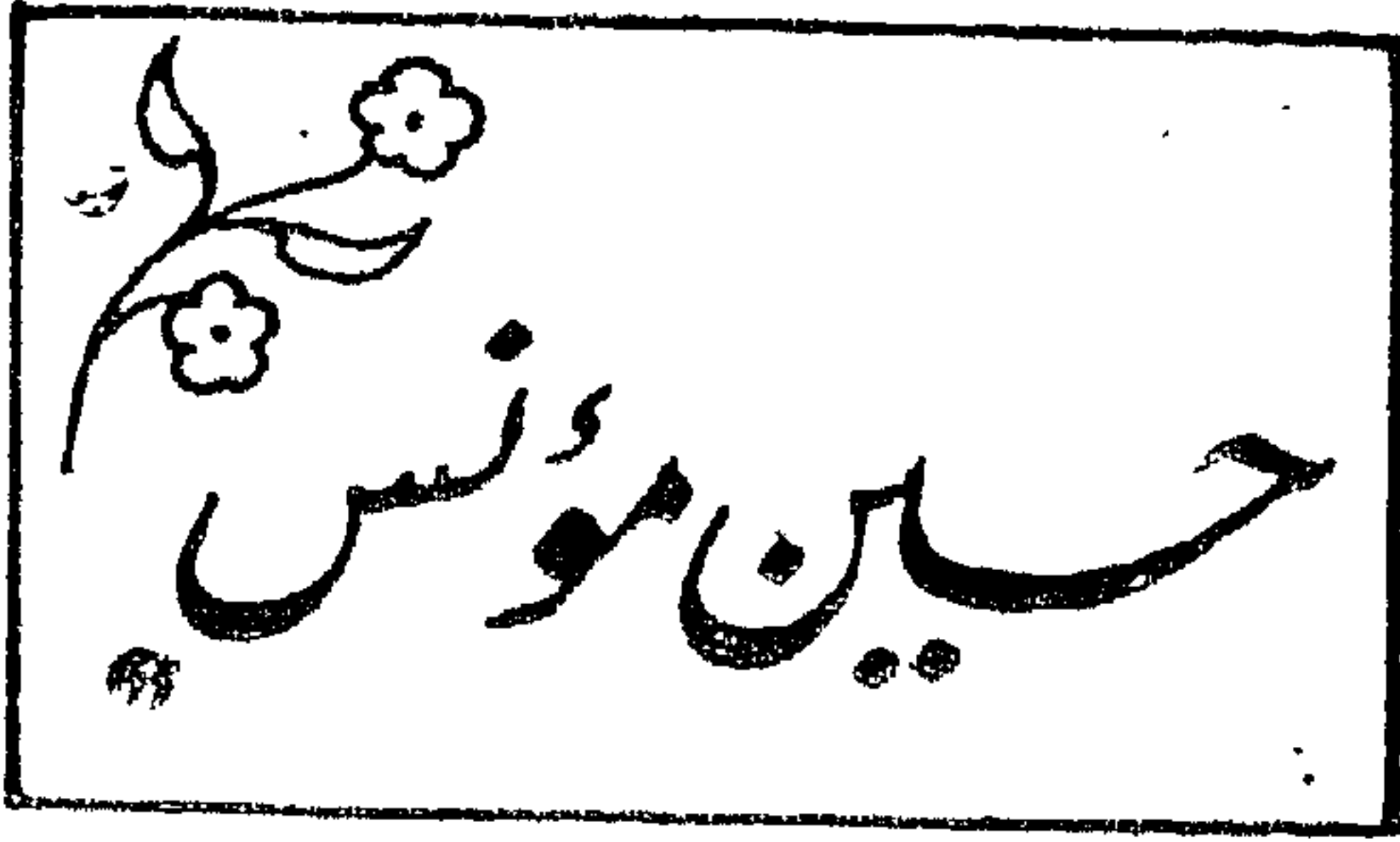
وفى يومنا هذا أو فى يوم عيدنا هذا نستقبل ثلاثة من زملائنا الجدد هم : الدكتور حسين مؤنس والدكتور عبد العظيم حفنى صابر ، والدكتور كمال بشر ، ويقوم باستقبالهم ثلاثة من زملائنا القدامى هم : الدكتور شوقى ضيف ، والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر ، والأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع :

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أنقل إليكم اعتذار الزميل الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع الذى كان حريصا أشد الحرص على أن يكون معنا اليوم لولا ظروف القاهرة حالت دون حضوره .

كان من عادة أجدادنا العرب أنه إذا ظهر فيهم شاعر أقاموا له احتفالا كبيرا ودعوا إليه القبائل الأخرى تعبيرا عن ابتهاجهم بمولد شاعر فيهم لأن هذا كان يعنى بالنسبة لهم مولد لسان يتحدث باسمهم ويعدد مآثرهم ، ويشيد بأعجادهم .

وبحكم الوراثة الروحية انتقل إلينا هذا التقليد الكريم ، وفى مجتمعا تمثل هذا التقليد فى ذلك الحفل الذى اعتاد المجمع أن يقيمه فى كل عام احتفاء بمن ينضم إلى صفوفه من ركب العلماء ، ومن ثم فإن يوم الاستقبال هو بالنسبة لنا يوم عيد ، وكم فى هذا المجمع من أعياد .





في استقبال العضو الجديد الدكتور

ودابه في البحث، وتخرج سنة ١٩٣٤ متفوقا على أقرانه ، غير أن كلية الآداب لم تكن قد أخذت - بعد - بنظام المعيدين فعين بيدنك التسليف مترجما عن الفرنسية .

وألفت - حينئذ - جماعة من الخريجين النابهين في كلية الآداب لجنة سموها لجنة الجامعيين لنشر العلم ، كان من بين أعضائها حسين مؤنس واعتزمت اللجنة أن تعرض على القراء ذخائر الفكر الإنساني مستعينة بالترجمة تارة وبالتأليف تارة أخرى . وكان أول كتاب اختارته للترجمة كتاب تراث الإسلام بأقلام نفر من المستشرقين لما يصور من آثار هذا التراث في الثقافة ، الأوروبية وتوزع أعضاء اللجنة فصول الكتاب فيما بينهم ، وكان نصيب حسين مؤنس ترجمة الفصل الخاص بإسبانيا والبرتغال ، وهو يصور مدى تأثير الحضارة الأندلسية في الحضارة الأسبانية والأوربية وكأنما كان ذلك إرثا صا لتخصص حسين مؤنس - فيما بعد

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع ، سيداتي سادتي كان من حسن حظي أن دعيت لاستقبال زميلي الأستاذ الدكتور حسين مؤنس بتهنئة طيبة أتحدث فيها عن سيرته وجهوده القيمة التاريخية والأدبية ولا ريب في أنكم تعرفونه وتقدرونه حق قدره ويقدره معكم أبناء الضاد في ديارنا العربية - لكثرة بحوثه وأعماله . وقد ولد بمدينة السويس سنة ١٩١١ وظل والده يتعهده - منذ نعومة أظفاره وطوال تعليمه - ويحسن تعهده وظل قرة عين لوالديه لسبقه وتفوقه بين أترابه في التعليم ، حتى إذا نال الشهادة الثانوية في التاسعة عشرة من عمره جذبته إليها كلية الآداب بمن كان فيها من أعلام نهضتنا الأدبية والفكرية ودخلها الطالب حسين مؤنس ، وأخذ يختلف إلى محاضرات هؤلاء الأعلام ، واختار لتخصصه قسم التاريخ وفيه ، أخذ يلفت أساتذته بمجده

في تاريخ الأندلس والمغرب، وألف -حينئذ- كتابه : الشرق الإسلامي في العصر الحديث وفيه يعرض تاريخ العالم الإسلامي من القرن السابع عشر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى في القرن الحاضر وما اختلف على أمم هذا العالم من أحداث وأطوار منذ اتصالها بأوروبا والحضارة الأوروبية . وأضاف إلى ذلك في سنة ١٩٣٦ عددا من مجلة المقتطف خاصا بتراث مصر القديمة.

وفي سنة ١٩٣٧ حصل على درجة الماجستير برسالة كان موضوعها « فتح العرب للمغرب » ظفرت بإعجاب لجنة الامتحان وكانت الكلية قد أخذت - حينئذ - بنظام المعيدين ، فاجتمع رأى أساتذته في قسم التاريخ على تعيينه معيدا بالقسم حتى يفرغ لحياته العلمية . ولم يلبث أساتذته أن رأوا من الخير إرساله في بعثة إلى فرنسا لإكمال دراسته العليا ، وسرعان ما حصل في سنة ١٩٣٨ على دبلوم دراسات العصور الوسطى من جامعة باريس . وفي السنة التالية حصل من نفس الجامعة على دبلوم في الدراسات التاريخية من مدرسة الدراسات العليا .

ونشبت الحرب العالمية الثانية في هذا القرن فانتقل إلى سويسرا وجامعة بازل بها وأكمل دراسته في جامعة زيورخ ، ونال منها درجة

الدكتوراه في التاريخ سنة ١٩٤٣ وعين مدرسا بها في معهد الأبحاث الخارجية .

ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فعاد الدكتور مؤنس إلى القاهرة وجامعتها سنة ١٩٤٥ وعين مدرسا بقسم التاريخ في كلية الآداب وأخذ يرقى في وظائفه العلمية إلى أن عين أستاذا لتاريخ الإسلام سنة ١٩٥٤ وانتدبته وزارة التربية والتعليم - فيما بين سنتي ١٩٥٢ ، ١٩٥٧ - مديرا عاما للثقافة بجانب عمله العلمي في الجامعة فأنشأ بها مشروعا لتثقيف الشباب باسم مشروع الألف كتاب ، ليزودهم بمواد كثيرة من المعرفة العامة ، وقد نشرت منه مئات من الكتب النافعة المفيدة .

وفي سنة ١٩٥٧ عين الدكتور مؤنس مديراً لمعهد الدراسات الإسلامية وظل به اثني عشر عاما مشرفا على طلاب البعثات المصرية بمدريد في الدراسات الإنسانية وفي الفنون ، وعنى بمجلة المعهد وأخذت تزخر ببحوث علمية تتناول الأندلس تاريخا وأدبا وفكرا وله في هذه البحوث مشاركة علمية قيمة .

وأحيل إلى المعاش فدعته جامعة الكويت للمساعدة في طور إنشائها وتأهيل طلابها وعين بها أستاذا بقسم التاريخ ثم رئيسا له

حتى سنة ١٩٧٧. وعاد إلى القاهرة فعين أستاذا غير متفرغ في قسم التاريخ بآداب جامعة القاهرة ، واستقبلته الصحافة مرحبة ورأس تحرير مجلة الهلال سنوات متعاقبة ، وتحول منها إلى مجلة أكتوبر الأسبوعية - يابج فيها مقالاته إلى اليوم .

والدكتور حسين مؤنس عالمٌ كبير في التأليف والتحقيق والترجمة والبحوث العلمية والكتابة الأدبية ، أما التأليف فتكثر مصنفاته فيه ، وخاصة في تاريخ المغرب والأندلس وتاريخ الإسلام وحضارته ومن مصنفاته في الموضوع الأول كتاب فتح العرب للمغرب وكتاب فجر الأندلس وكتاب معالم تاريخ المغرب والأندلس وكتاب شيوح الفكر بالأندلس ، ويتصل بذلك كتابه : (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس) ومعروف أن الجغرافية تعد توأم التاريخ ومن مصنفاته في الموضوع الثاني كتابه : دراسات في السيرة النبوية وكتاب عالم الإسلام وهو نظرات تحليلية في سكانه وخصائصه وثقافته وحضارته ، وكتاب الإسلام الفاتح وفيه يتناول البلاد التي فتحها دون حرب مثل أندونيسيا والقارة السوداء ، وكتاب المساجد وفيه يصور دورها في بناء الجماعة الإسلامية ويفيض في تاريخها وتطورها وطرزها المعمارية ويلم بها في عالم الإسلام الحديث من الفلبين إلى أمريكا اللاتينية .

وبجانب هذين الموضوعين الكبيرين اللذين يستغرقان أكثر مصنفات الدكتور مؤنس : موضوع الإسلام وحضارته وموضوع تاريخ المغرب والأندلس تلقانا عنده مؤلفات متنوعة ، منها أطلس تاريخي للشعوب الإسلامية نشر في أمستردام ومنها كتاب مصر ورسالتها وفيه يتحدث عن طبيعتها وخصائصها وعلاقاتها بأفريقية والعرب والبحر المتوسط ومنها نور الدين محمود بطل الحروب الصليبية وفيه يصور طموحه إلى تحقيق الوحدة العربية الإسلامية في القرن السادس الهجري ومنها كتابه عن ابن بطوطة ورحلاته ومنها كتابه عن الحضارة وفيه يوضح معانيها ونشأتها ومسيرتها في الأمم وفصائلها وأنواعها مع الحديث عن الحضارة الراهنة ومستقبلها وعن الثقافة وكنهها والفروق بينها وبين الحضارة .

والدكتور حسين مؤنس تحقيقات علمية غزيرة الفائدة لطائفة مهمة من كتب التراث استلها في سنة ١٩٥١ بتحقيق كتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكى وهو في تراجم فقهاء إفريقية وعبيادها في حقها الإسلامية الأولى . وحقق في سنة ١٩٥٧ كتاب أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصراني ولم يهاجر للونشريشى ، وهو مهم في بيان الأحوال الاجتماعية للعرب المدجنين الذين ظلموا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة وفي سنة ١٩٦٠ حقق كتاب ضوابط دار

السكة لأبي الحسن بن يوسف الحكيم ،
والكتاب مهم لأن الكتب المتصلة بموضوعه
نادرة . وحقق في سنة ١٩٦٣ كتاب الحلة السراء
لابن الأبار في مجلدين ، وهو يترجم ترجمات
جيدة لأعلام العرب على مر القرون حتى
القرن السابع الهجري وبخاصة أعلام الأندلس
والمغرب ، ووضع الدكتور مؤنس بين يدي
الكتاب مقدمة طويلة تحدث فيها عن حياة
مؤلفه وعصره وموطنه ومؤلفاته وأهمية كتابه
وفي سنة ١٩٦٥ حقق وصفا قديما لقرطبة
نشره في المجلد الثالث عشر من صحيفة معهد
الدراسات الإسلامية بمديره .

وبجانب ما تقدم من التحقيقات العلمية
والمؤلفات للدكتور حسين مؤنس نشاط
خصب في الترجمة وأسلفنا أنه ترجم عقب
تخرجه في كلية الآداب - الفصل الخاص
باسبانيا والبرتغال في كتاب تراث الإسلام
وفي سنة ١٩٥٠ ترجم (بالاشتراك) - عن
الإنجليزية - كتابا عن الدولة البيزنطية لنورمان
بينز . وفي سنة ١٩٥٢ ترجم عن الإسبانية
كتاب الشعر الأندلسي لغرسية غومس وترجم
أيضا - عن الإسبانية - في سنة ١٩٥٥
كتاب تاريخ الفكر الأندلسي لبالنشيا وهو
موسوعة في الأدب الأندلسي شعره ونثره
والفكر الأندلسي من جميع نواحيه اللغوية
المعجمية والفلسفية والصوفية والعلمية في
الطب وغير الطب وكل ما يتصل به من علم
الحديث النبوي والقراءات والتفسير والفقه

وأصوله ، مع بيان أثر الفكر الأندلسي أدبا
وفلسفة وعلميا في الفكر الإسباني والأوربي
وفي سنة ١٩٥٦ اقتبس من قصة « غاب
القمر » لجون شتاينيك مسرحية في ثمانية
مناظر . وترجم في سنة ١٩٦٤ عن الإسبانية .
رواية الزفاف الدامي لاوركا ، كما ترجم عنها
في سنة ١٩٦٨ رواية ثورة فلاحين للوب
دي فيجا . وفي نفس السنة ترجم - عن
الألمانية - بحثا عن طب الأسنان عند العرب
لاوتو شبيس . وفي سنة ١٩٧٨ ترجم
بالاشتراك (خمسة فصول من كتاب تراث
الإسلام المنشور بالكويت شغلت منه جزئين
وهي خاصة بالأدب والفلسفة وعلم الكلام
والتصوف والفقه والموسيقى وعلوم الأوائل
من رياضية وغير رياضية .

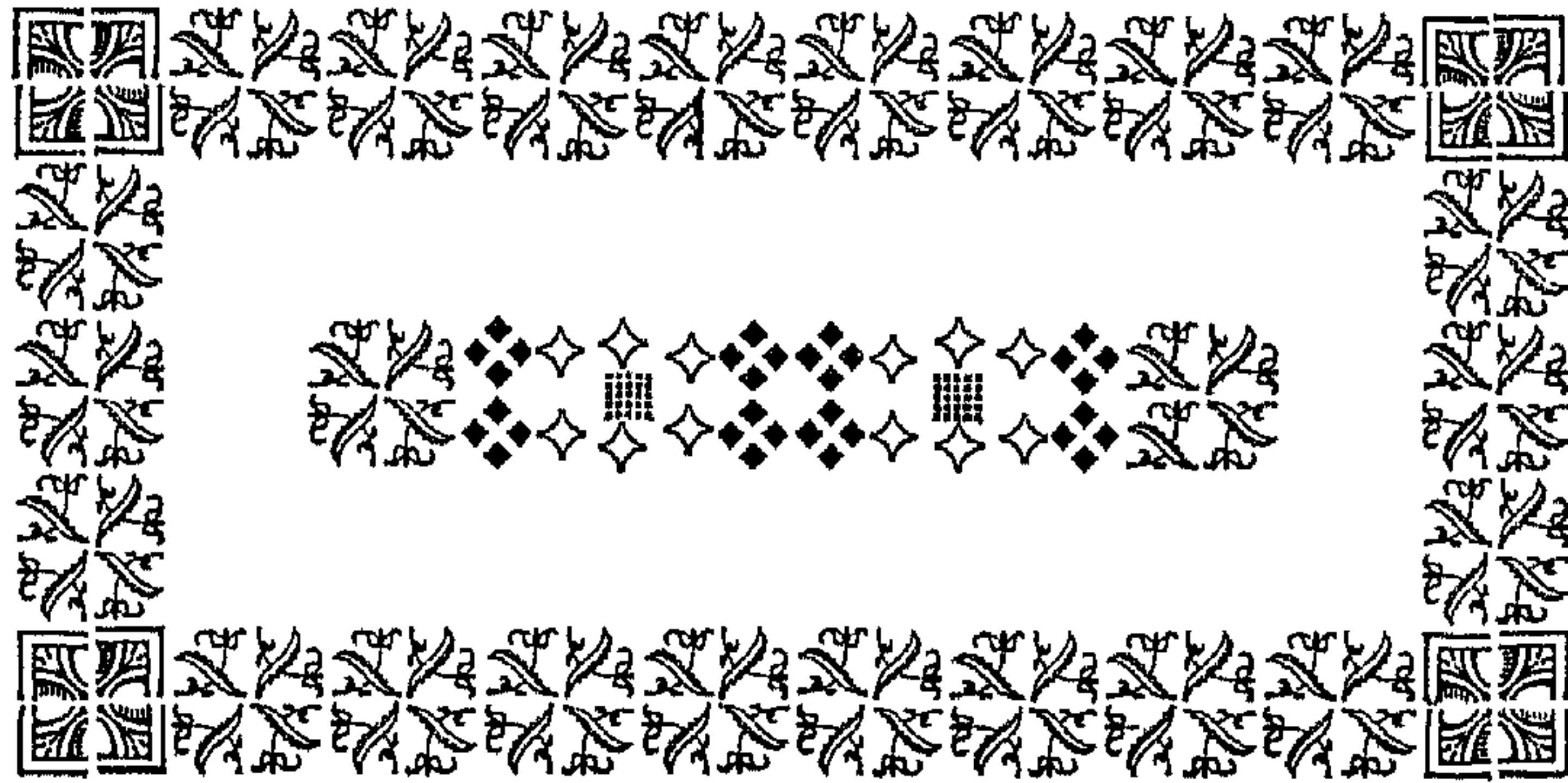
وللدكتور حسين مؤنس بحوث تعد
بالعشرات منشورة في المجلات العلمية والعربية
والأجنبية منها : السيد القنيطور وعلاقاته
بالمسلمين ، ومنها غارات النورمايين على
الأندلس بين سنتي ٢٢٩ و ٢٤٥ ، ومنها
سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين ،
ومنها البربر والفتح الإسلامي للمغرب
(بالإنجليزية) ومنها نصوص سياسية عن
فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين
ومنها الفلولكلور : تاريخه ومدارسه ومناهجه
ومنها الصحراء الكبرى وطرق التجارة
الإسلامية (بالإسبانية) ومنها أدارسة حقلية ،
ومنها فزان وأثرها في انتشار الإسلام في أفريقيا .

وهذا النشاط للعلمي للدكتور مؤنس كان
يرافقه دائماً نشاط أدبي ، إذ نشأ صاحب
قلم وفكر وشعور مرهف ، مما جعله
يكتب مبكراً في الصحف والمجلات الأسبوعية
والشهرية مصوراً قضايا قومه وحقائق حياتهم
وظل ذلك ديدنه إلى اليوم ، ومن حين إلى حين
كان يخلص لكتابة عمل أدبي مثل كتابه : رحلة
الأندلس وروايته : أهل وسهلا ، وآدم
يعود إلى الجنة ، وأقاصيصه : حكايات خير
ستان وإدارة عموم الزير :

ولعلني بما ذكرت - أكون قد استطعت
الإلمام في إيجاز بنشاط الزميل الدكتور
حسين مؤنس الأدبي والعلمي وهو نشاط
جدير بالثناء والتقدير ، وأنا أهنيء المجمع
بعضويته العام له فيه كما أهنيء زملائه للمجمعين
الأجلاء في خدمتهم الفصحى خدمة مخصصة
صادقة :

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف
عضو المجمع



في حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيدى العالم الجليل الأستاذ الدكتور مهدي
علام نائب رئيس المجمع سادتي العلماء الأجلاء
أعضاء المجمع سيداتي وسادتي

كلما عانت بالإنسان السن تلاشت من
وجدانه الآمال شيئاً فشيئاً وحلت محلها
الذكريات ، والماضي يحل رويداً رويداً
محل المستقبل ، والأمس يصبح الغد ومحل
طموح الشباب والكهولة محل حنان الذكريات
الماضية ويزايد في إحساسه الحنين إلى أصدقاء
الماضي وأحبائه وشأني في هذا شأن مقال
فبعد أن تخطيت سن الوظائف وعكفت على
البحث والدرس والتأليف هفاني الشوق إلى
هذا المجمع الذي ضم جماعة من أحب الناس
إلى القلب وتاقت النفس إلى الصحبة
والاشتراك معهم في الجهد العلمي المبارك
وهنا لابد من تحية إلى أول من حدثني في
أمر الانتساب إلى هذا المجمع الكريم وهو
صديق المغفور له الأستاذ محمد عبد الغنى
حسن الذي تجشم يوم التصويت على عضويتي
عناء الحجى من داره رغم المرض للدلاء
بصوته من باب البر والوفاء . وهذه مناسبة
أستمطر فيها رحمت المولى عز وجل على

روحه الطاهرة وأتوجه فيها بأصدق الشكر
إلى إخواني الذين شجعوني وأيدوني وفتحوا
لي بأيديهم الكريمة أبواب مجملهم وأخذوني
في ركبهم ، ومهما أقل غان أبلغ من شكرهم
شيئاً مما أريد فقد فتحوا أمامي باباً جديداً من
أبواب العمل في خدمة العربية وفكرها أعاني
الله على نواف بحقهم وبحقها إن شاء الله .

وبعد . فقد كان من آمالي أن أنضم إلى
أخوي الكريمين الأستاذين الجليلين محمد
عبد الله عنان ومحمد الطيب النجار في خدمة
التاريخ ومصطلحه في هذا المجمع وقد أحصينا
في تاريخنا الفكري ما بين خمسة آلاف وستة
آلاف مؤرخ لكل منهم ثلاثة مؤلفات في المتوسط
وبعضها من أجزاء تصل إلى العشرين والثلاثين
بل المائة ، وقد قرر فرانز روزنتال في كتابه
« تاريخ التاريخ عند المسلمين » أن كتب
التاريخ تجيء في المرتبة السادسة من كتب
التراث بعد علوم الدين واللغة والأدب ،
وهذه ثروة فكرية طائلة لم تخدم بعد من
وجهة النظر العلمية ، بل هي لم تفهرس
الفهرسة الدقيقة ، لم تدرس تقنياتها أو
تكنولوجيتها من حيث المصطلحات والمذاهب
والمدارس . والعمل أمامنا في هذا المجال
واسع جداً هنا .

وقد مضى الزمن الذى كان الواحد منا لا يبدأ بحثاً أو كتاباً فى التاريخ إلا بالشكوى من المراجع وقتها وقصورها ، فأصبحنا نرى الآن أن مؤرخنا العربى قام بواجبه فى التاريخ لهذه الأمة على أحسن وجه سمحت له به عصوره وظروفها وهذا هو ماضينا لا يخفى علينا شئ من حقائقه ووقائعه وتفاصيله والطبيون عرفناهم والحيثيون عرفناهم حتى دخلنا مخادع الملوك والخلفاء ووقفنا على جرائم الظالمين ، وعرفنا أحوال الناس ونظم الدول وشئون الإدارة والمال وما إلى ذلك فإذا عسانا نطلب إلى المؤرخين المسلمين أكثر من ذلك ومزيد من عرفاننا لفضائلهم أنهم كتبوا فى عصور سوداء أظلمها الظلم والعسف وهان فيها أمر صاحب العلم والفكر فى أعين معظم أهل السلطان . وعلى طول أربعة عشر قرناً إلا قليلاً جداً كان جهد معظم الحكام موجهها إلى تحطيم وحدة هذه الأمة وتخريب عمرانها فيأبى أهل التاريخ إلا أن يحافظوا لهذه الأمة على وحدة الأجيال وربط الماضى بالحاضر فى حين اجتهد الجغرافيون والرحالة فى المحافظة على وحدة الوطن الإسلامى ، فلا حدود عندهم بين بلد وبلد . وهذان الاثنان المؤرخ والجغرافى - حافظا على وحدة الأمة فى الزمان والمكان : رأسياً وأفقياً فى حين اجتهد علماء الدين فى المحافظة على وحدة العقيدة وصفاء السنة وسلامة الجماعة ،

وعلماء اللغة وأهل الشعر والأدب ربطوا الأمة بحزام من الفصحى متين . ورجل العلم العربى والمسلم هو صانع وحدة هذه الأمة ، وبينما نجد أن أوروبا من صنع الملوك فإن عالم الإسلام من صنع أهل العلم والفكر ، وتلك حقيقة مشرقة يبيض لها وجه العالم العربى والمسلم فمن عجب أن نشكو من علمائنا السابقين حق ذلك ونرميهم بالقصور ، واعدود الآن إلى الارتباط بين التاريخ والجغرافية فى تاريخنا الفكرى فأقول إن كل الجغرافيين والمؤرخين عندنا كانوا واعين بهذا الارتباط كأنهم كانوا يشعرون أنهم يؤدون لأمتهم العربية رسالة واحدة ، فالكثيرون جداً من مؤرخينا كانوا جغرافيين فبعضهم ألف فى التاريخ والجغرافية كما نجد عند اليعقوبى وأبى الفدا ومحمد بن أحمد الرازى الأندلسى وهو أبو التاريخ والجغرافية فى الأندلس فإذا هم لم يؤلفوا فى الجغرافية وجدنا عندهم حساً جغرافياً مرهفاً فالبلادى وهو من أعظم مؤرخينا تحس وأنت نقرأ كتابه فتوح البلدان أن عنده تصوراً سليماً للأرض وما فيها ، وهذه العلاقة بين الجغرافية والتاريخ هى التى ربطت بينى وبين المرحوم الدكتور محمد محمود الصياد برابط

متين ولكن الفضل في تعرفنا برجع إلى الشعر ،
والصياد كان جغرافيا وشاعرا على نفس
المستوى من التجويد ، ولهذا التعارف قصة
لطيفة أرجوا ان تأذنوا لي في رؤيتها . كان
ذلك في ربيع ١٩٤٧ وكنا في مداخل
الامتحانات ، وكانت لجنة امتحان التاريخ
معقودة في قسم الجغرافية وكنت أعمل فيها ،
كنت إذ ذاك أراس تحرير مجلة ثقافية خفيفة
ومسلية تسمى مجلة الاثنين ، وكانت
مجلة لطيفة طيارة تباع الوفا كثيرة ، وكنا
ننشر فيها شعرا يسمى بالشعر الحلمنتيشي
ينظمه رجل خفيف الظل يسمى الشيخ محمد
يونس القاضي ، وكانت قصائده من أمتع
ما تنشره المجلة ، فاذا أناجالس في لجنة
الامتحانات يقبل على شاب أسمر باسم
الوجه لطيف الهيئة ويقدم لي نفسه أو يخرج
من جيبه ورقة ويقول : احقا أنكم لا
تنشرون في مجلتكم إلا الشعر الحلمنتيشي ؟
- أجل ، لأن الناس يقبلون عليه لظرفته
وخفته .

- إذن فأنتم لن تنشروا لي هذه

- اقرأها على

فقرأ قصيدته . وكانت قطعة نسيب

فقلت له : سننشرها

- ولكنها من الفصيح

قلت : بلى ، ولكنه فصيح حلمنتيشي

وارتبطنا من ذلك الحين برباط صداقة
متين : اتفقت المشارب والطباع واصبحنا
نتلاقى كل يوم . وكان يعجبني فيه ذكاؤه
الوقاد أيامها يضع على رأسه طربوشا
احمر داكنا طويلا كانه طربوش شيخ خفر
ولما كان هو ربفيا من بلكيم مركز السنطة
في قلب الدلتا فقد اتفقنا على أن يكون هو
شيخ الخفر وأكون أنا الخفير ولم يعجبه
هذا مع الزمن لأنه كان عليه ان يدفع الحساب
حيثما جلسنا . إذ لا يجوز إن يدفع الخفير
لشيخ الخفر فرقاني عمدة واستراح .

وكان يعجبني حديثه عن النيل ، ولا
عجب في ذلك فقد ورث الوله بالنيل عن
شيخه وشيخي الدكتور محمد عوض محمد
وكنت دائم الألاحاح عليه في أن يكتب عن
النيل كتابا ، فاستجاب الرجاء وأخرج
كتابه البديع عن النيل أبي الأنهار وهو من
الأعمال العلمية التي سيظل الصياد يذكر
بها زماماً طويلا .

ومن اجمل المناسبات التي تجلى فيها ذكاء
الصياد ما حدث عند اجتماعنا في مؤتمر
الجغرافية الإسلامية في مدينة الرياض سنة
١٩٧٨ ، وكنت قد استخفرت وكتبت دراسة
عن ابن خلدون جغرافيا اما هو فلم يسمحفر
او يكتب ورقة واحدة ولكنه وقف واتي
محاضرة نامتع وأشمل ما سمعت أو قرأت
عن الجغرافية الإسلامية فقلت له : كيف

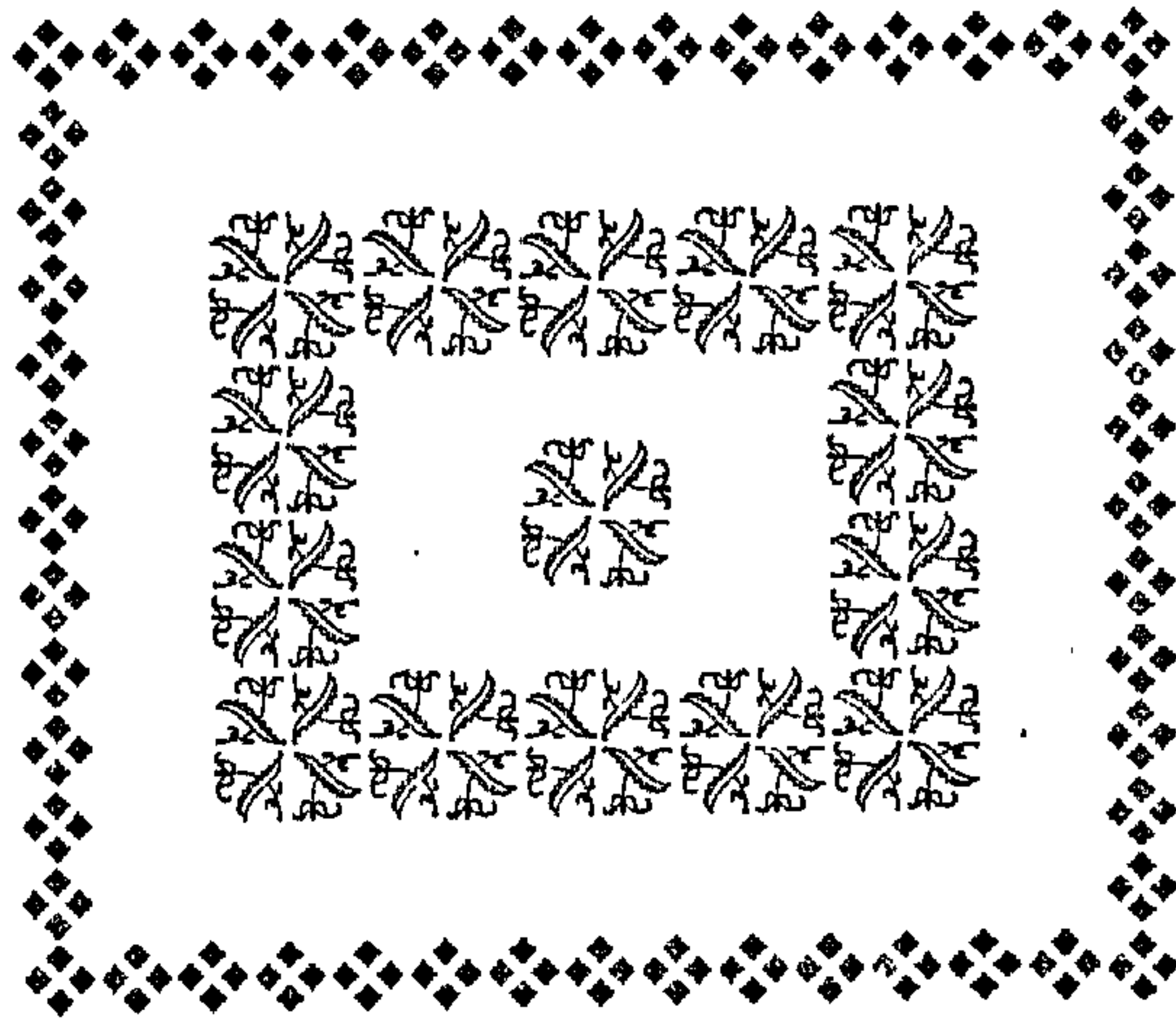
يتسنى لك هذا الإيداع دون كتابة ، ويومها
قال استاذنا الدكتور سليمان حزين كلمة
جميلة جدا قال : يا فلان ، هذا جغرافي
شاعر وكل ما يصدر عنه إلهام ، وما سمعت
ليس محاضرة وإنما هي قصيدة جغرافية .

صدق الدكتور حزين ، فإنه الصياد
جغرافي شاعر وحياته قصيدة ممتعة كنت واحدا
من قرائها الذين سعدوا فيها مرة بعد أخرى ،
وقد حدثتكم في هذه الدقائق عن محمد
محمود الصياد القصيدة ، ورأيت ان هذا

المذهب في الكلام عنه أشبه بما كان بيني
وبينه من ود ومحبة وطول صحبه ومهما
استطردت في الكلام عن الصياد العالم فما أظن
أنى أبلغ قدر ما قاله عنه الدكتور احمد
بدوي في استقياله في هذا المجمع وارجو ان
يكون اختياري للكلام عنه على هذا النحو قد
لقى القبول منكم واختم الكلام بالشكر لله
ولكم على أن شرنتموني واذنتم لي في
الحاوس في مقعد الصياد فجمعتم بيننا مرة
أخرى بعد طول افتراق .

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

حسين مؤنس
عضو المجمع





في استقبال العضو الجديد الدكتور

سيداتى وسادتى: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلا شك أن كل عضو منا ليسعد كثيرا بانضمام أعضائه جدد إلى المجمع يحملون معنا الأمانة ويعلمون الشعلة ويشتركون معنا في خدمة لغة القرآن الكريم .

ولكن سعادتى مضاعفة أضاعفا كثيرة إذ أقدم لكم أخا عزيزا وصديقا قديما هو الأستاذ الدكتور عبد العظيم حنفى صابر أول عضو يمثل العلوم الصيدلانية في المجمع والدكتور صابر ليس غريبا على المجمع فهو أقدم الخبراء بالمجمع إذ اختير خبيراً للجنة علوم الإحياء والزراعة في سنة ٩٤٨ وخبراً للجنة الكيمياء الصيدلانية في سنة ١٩٦٧ وكان له نشاط ملحوظ في اللجنتين .

وقد ولد زميلنا الجديد في قرية المرساه بمركز دكرنس الدقهلية في السابع عشر من يناير سنة ١٩٠٨ وحفظ الحزأين الثلاثين والتاسع والعشرين من القرآن الحكيم وتعلم القراءة والكتابة بكتاب القرية المجاورة « القباب » ثم التحق بالدراسة

الابتدائية في القاهرة حيث حصل على شهادة القبول بالمدارس الثانوية من مدرسة محمد علي ثم التحق بالمدرسة الخديوية التي فيها حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية وفي أثناء تلك الفترة كانت الثورة الوطنية مضطربة .

واشترك فيها أخواه الأكبران فاتتهم أحدهما في مؤامرة سياسية فاعتقل بسببها ، أما الآخر فنجح في الهرب إلى ألمانيا لإتمام دراسة الطب فأصبح في القاهرة يحمل إلى جانب عبء دراسته رعاية أخيه الأصغر بالمدرسة الابتدائية .

وحصل الدكتور عبد العظيم على شهادة إتمام الدراسة الثانوية سنة ١٩٢٥ وكانت الجامعة المصرية قد فتحت أبوابها من جديد بعد أن طورت تطورا كاملا فالتحق بكلية العلوم بالدراسة الإعدادية لكلية الطب تمهيدا لدراسة الصيدلة وكانت رغبته أكيدة في دراسة علوم الصيدلة ولم تكن أنشئت لها كلية خاصة بعد .

وتخرج في الجامعة سنة ١٩٢٩ ضمن أول دفعة تحصل على البكالوريوس في الصيدلة والكيمياء وقد بعثت فيه وفي زملائه الحياة الجامعية روحا عالية وآمالا عظاما وطموحا جامحا فكان أول ما هدفوا إليه الارتفاع بمهنة الصيدلة وتطهيرها من المدخلات فيها وبخاصة مساعدى الصيدلية فقد كانوا من أنصاف المتعلمين ولكنهم بسبب قلة الصيادلة المؤهلين قفزوا إلى إنتحال صفه الصيادلة مما ألحق بالمهنة أسوأ الأضرار فكان من باكورة اهتمامهم العمل على قصر الاشتغال بمهنة الصيدلة على الصيادلة المؤهلين جامعيًا دون غيرهم .

وبدأ حياته العملية مديرا لصيدلية في مدينة الزقازيق ولكنه لم يلبث في هذا العمل سوى خمسة شهور إنتقل بعدها معيدا في الجامعة في قسم العقاقير ، العلم الذى كان يهواه بنوع خاص .

ومنذ نعومة أظفاره كان يهوى العمل العام لذلك لم يمض على تخرجه بضعة أشهر حتى كان عضوا مؤسساً لجمعية الصيدلة سنة ١٩٣٠ التى من أهدافها العمل على تشجيع العلوم الصيدلية والبحوث فيها وفى نشر الثقافة الصيدلية والعمل على إقامة الصناعات الصيدلية في مصر .

ثم اختير لبعثته إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه في علم العقاقير وكانت هذه أول بعثة علمية في الصيدلة توفرها الجامعة المصرية إلى جامعة لندن التى ما لبث أن اعترفت بدرجة بكالوريوس الصيدلة لما أنست في الدكتور

صابر من سعة في العلم وقدرة على معالجة المسائل العلمية وإذ حصل سيادته على درجة الدكتوراه في الفلسفة في مادة العقاقير من جامعة لندن سنة ١٩٣٤ عين بعد عودته مدرسا لهذه المادة في مدرسة الصيدلة وقد كانت آنئذ فرعا من كلية الطب .

ولم يقتصر نشاطه على الأمور العلمية بل كان عضوا مؤسساً وحافزا قويا لإنشاء اتحاد طلاب الصيدلة وذلك قبل أن تنشأ كلية الصيدلة ذاتها وانضم هذا الاتحاد إلى الاتحاد العام لطلاب الجامعة وقد انتخب الدكتور صابر رئيسا للاتحاد العام لطلاب جامعة فؤاد الأول

الوظائف التى شغلها ونشاطه : [

١ - أستاذ مادة العقاقير والنباتات الطبية بكلية الصيدلة ١٩٤٩ - ١٩٦٨]

٢ - استاذ متفرغ بكلية الصيدلة ١٩٧٢ - ١٩٨٢

٣ - استاذ غير متفرغ بكلية الصيدلة ١٩٨٢ - إلى الآن .

٤ - عميد كلية الصيدلة بجامعة القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٦

٥ - رئيس اللجنة الدائمة للدستور الأدوية المصرى التى أصدرت هذا الدستور باللغة العربية لأول مرة .

٦ - عضو بالأكاديمية المصرية للعلوم

٧ - اشترك في تأسيس الجمعية التعاونية لتوريد وإنتاج الأدوية التى أسست لكسر

الاحتكار الأجنبي وكان أول سكرتير
عام لها هو الدكتور عبد العظيم

نشاط الأستاذ العضو الجديد في مجمع اللغة العربية
١ - اختيار خبيراً للجنة الأحياء والزراعة
سنة ١٩٤٨

٢ - اختيار خبيراً للجنة الكيمياء والصيدلة
سنة ١٩٦٧

٣ - أحد ثلاثة كلفهم المجمع بالإشراف
على إصدار قاموس مصطلحات علوم الأحياء
والزراعة وقاموس الكيمياء والصيدلة اللذين
ظهر الجزء الأول من كل منهما .

٤ - انتدبه المجمع لتمثيله في ندوة تعريب .
مصطلحات علم الكيمياء التي نظمها المنظمة
العربية للترجمة والثقافة والعلوم في عمان سنة ١٩٨٢

التقدير العلمي :

١ - منح الميدالية الذهبية من جمعية الصيدلة
المصرية .

٢ - منح وسام الاستحقاق من الطبقة
الأولى سنة ١٩٧٣ تقديراً لجهوده الممتازة
في إصدار دستور الأدوية المصري .

مؤلفاته وأعماله :

١ - كتاب بالإنجليزية عن دراسة العقاقير
علمياً يعتبر مرجعاً دراسياً .

٢ - كتاب باللغة العربية عن الغذاء والدواء
في القرآن الكريم بالاشتراك مع زميل وأصدره
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٣ - كتاب بالعربية «موجز تاريخ الصيدلة»
بالاشتراك مع زميلين أصدرته المنظمة
العربية للترجمة والثقافة والعلوم .

٤ - قاموس عربي إنجليزي وإنجليزي
عربي للمصطلحات والألفاظ التي وردت في
دستور الأدوية المصري .

٥ - له ما ينيف على ١١٧ بحثاً علمياً
منشوراً عن العقاقير والنباتات الطبية .

٦ - أشرف على ٢٣ رسالة للحصول
على درجتي الماجستير والدكتوراه .

٧ - أنشأ بكلية الصيدلة حديقة للنباتات
الطبية ضمت ٣٠٠ نوع منها

الجمعيات والهيئات العلمية
بالإضافة إلى عضويته في الجمعيات
المتخصصة في الصيدلة والنباتات الطبية فهو
عضو في كل من .

١ - مجلس العلوم الأساسية بأكاديمية
البحث العلمي والتكنولوجيا .
٢ - المجمع العلمي المصري .

سيداتي سادتي هذا بعض ما عنّ لي أن
أذكره في هذه المناسبة السعيدة في الوقت
القصير المحول لي وأني لأختتم حديثي بالدعاء
لزميلنا الجديد ولكم جميعاً أقدمين وجديدين
بعمير مديد سعيد مفيد في صحة كاملة
ورفاهية شاملة والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ،

حامد عبد الفتاح جوهر
عضو المجمع

●●● — كلمة الدكتور عبد العظيم حنفي صابر

في حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الأستاذ الحليل رئيس المجلس

السادة أعضاء المجلس الموقر

سيداتي سادتي :

أحمد الله العليّ القدير وأشكره وأصلي
وأسلم على أشرف خلق الله سيدنا محمد
ابن عبد الله وأستعين بالله وأستغفره
فألق من الله على بنعم كثيرة ، لاحتصرها ،
فمن فضله على أن أوليتموني شرف اختياري
عضوا بينكم في مجمع الخالدين ، وأن نلت
ثقتكم ، ثقة لا يحلم بها ، إلا من رضى الله عليه
فأعاهدكم عهدا واصبا أن أداوم على
العمل بإعلاء شأن لغتنا العربية وإثرائها ، وأن
استمر جاهدا ، بالناداة والعمل بتحريب
العلوم وتدريسها ، إلى أن يوفقنا الله بإزالة
غمة استعمار اللغات الأجنبية في حياتنا العلمية
والاجتماعية ، كما فعل أسلافنا العظام ، كما
أعاهدكم بأن أبذل الجهد كله في السير في
تحقيق أغراض مجمعنا الموقر ورسالته .

السيد الرئيس

السادة الأعضاء الأجلاء :

لقد كان لاختياركم لي عضوا في هذا
المجمع الشامخ ، ذي العلو والتسامي ، وقع
من السعادة والحبور ، لا يقدران ، وحصولي على
ثقتكم الغالية مالا يمكن إيفائه حقه من الشكر

والامتنان ، فقد عجزت أن أجده من الألفاظ
على كثرتها في اللغة العربية وشمولها وعدم إمكان
حصرها ، ما أصف لكم به شعوري بهذه الثقة
التي أعتر بها اعتزازا عظيما ، وأزهو بها زهوا
عاليا ، ما كنت أترقبه في حياتي ، ولا أكتممكم
سرا ، أن كان لي فرحتان سعيدتان لمباغتين لم
أكن أترقبهما ، أو يدورا بخالدي أو أحلم بهما ،
أولهما اختياركم لي عضوا في مجلسكم الموقر ،
أجالس فيه فطاحل اللغة ، وجهابذتها
وسدنتها ، فأتعلم منهم وأستهديهم طريق
الرشاد والهدى ، إلى معرفة خبايا اللغة
وأصولها ... أما الثانية فقد أدمعت لها عيني ،
لما لمست من إخواني وزملاء عملي ، في
كليات الصيدلة ، وكذلك زملاء مهنتي ،
من محبة ، ووفاء ، وتقدير ، واحترام ، فقد
استقبلوا هذا الخبر ، خبر اختياركم لي عضوا
في مجمعكم ، بالتهليل والتكبير والتعظيم ،
والتهاني من الجميع وكأنه اختيار لهم ،
ومفاجأتهم لي بحفل تكريم ، شمل جميع أعضاء
هيئة التدريس ، ليس من القسم الذي أنتمي
إليه فحسب ، بل من جميع أقسام الكلية ،
وشاركهم في ذلك جميع أفراد وموظفي
الكلية ، كما مثل الجامعة فيها الأستاذ
التفتراني ، نائبا عن رئيس الجامعة ، لاعتذاره
لمرضه . وتكلم فيها من القدامى ، ومن

السيد الرئيس

سادتي جهاينة اللغة وسدنتها أعضاء المجلس
الموقر.

لقد أحلني مجلسكم محل المغفور له الأستاذ
الدكتور أحمد عمار ، هذا الأستاذ الفقيه والعالم
المتبحر ، والطبيب النطاسي ، والأديب الفذ ،
رحمة الله عليه ، رحمة واسعة ، وندي ثراه
وطيبه ، وأسكنه جناته وأخلده ، واسمحوا
لي أن أعزيكم فيه ، وأعزى فيه أنفسنا جميعا ،
فقد وافاه القدر المحتوم وهو في أوج نشاطه
ولإسهامه في أعمال الجمع العلمية والإدارية
واستقصاء أضايا اللغة العربية ، وإظهار
خباياها وإثرائها .

لقد شارككم الأستاذ عمار في هذا الجمع
الموقر فترة طويلة ، تنوف على اثنين وثلاثين
عاما ، فكان منارا ، ينار بنوره ما أظلم من مناحي
اللغة ، ولمستم فيه اخلاقه اللمثة ، والمعرفة
النيضة وحسن المعاملة ورقتها ، وسجاياه العطرة
وكرمه في العطاء ، فما رد سائلا عن استفهام ،
ولا بخل في إبداء ما يعرفه ويعلمه ، فأنتم به أعلم
وبآثاره في اللغة أدرى ، فمهما تكلمت أو قلت
عنه فلن أوفيه حقه ، بل سأكون مقصرا وضمنينا
ولذا فياني أنهى الرسالة التي حملتوني أياها فلا
أجد جديدا أعلمكم به ، ولا معلومة أضيفها
إلى ما تعلمون ، ولربما كان في إحلالكم لي محله
بعض الظلم لساني العظيم ، وظالم لي شخصيا
إذ سويتوني بذلك العملاق الأشم ، الذي
كنت أستمد منه الكثير من المعلومات اللغوية ،

الجلد ، ما أسبغوا عليّ من الصفات والتقدير ،
ومن المحبة والوفاء ، ما أخجل تواضعي ،
وأثاج قلبي ، وألحم لساني ، فسجدت لله
شكرا وحمدا ، على ما مَنَّه عليّ ، من فضاه ،
وكرمه ورضاه ، وما أسداه عليّ ، من جديد
النعم ، في أخريات أيام حياتي .

أيها السادة :

إن عضوية مجمعكم الموقر - مجمع
الحالدين - لأمنية عزيزة المنال ، تراود القريب
والبعيد ، ويتطاع إليها الكثيرون . . . ولكن
لا ينالها إلا من رضى الله عنه وأرضاهكم .

سيدى الرئيس .

سادتي .

أرجو أن أزجى الشكر صادقا ، إلى الزميل
الكريم والأخ العزيز ، الأستاذ الجليل الدكتور
عبد الفتاح جوهر ، هذا العالم العلامة ، الفريد
في علمه وتخصصاته ، البليغ في لغته ، الواسع
أفقه ، ومداركه العلمية واللغوية ، لتفضله
وزملائه بترشيحي لعضوية مجلسكم الموقر ،
وتقديمي لكم ، فقد نسب إليّ من الأفضال ،
ما أنا منها فقير ، وأسبغ عليّ من الصفات
والإنجازات ، ما أنا منها في حاجة .
فشكرا له ولكم ، أعانني الله العليّ القدير
أن أكون عند حسن ظنكم ، وأن أوفيكم جميعا
أصدق الشكر وأخلص الامتنان وأعظمه .
وأعاهدكم ثانية أن أترسم خطاكم ، في العمل
على تعريب العلوم وتدريسها بالعربية .

أهتدى به في كثير من الأمور ، وأستفنته في كثير من المشاكل التي تقابلني في كثير من الألفاظ ودلالاتها والمصطلحات العلمية وحقيقتها ، فيفتيني بالحق ، ويهديني سواء السبيل ، فالبون بيني وبينه شاسع جدا ، فضلا وعلميا وأدبا ومكانة فقد كان رحمة الله عليه رائدا في عمله ، ورائدا في مزجه اللغة بالعلم في سلاسة وعدوبة ، وقد كانت له عصبية للغة قال عنها الأستاذ الكبير المرحوم الدكتور منصور فهمي في استقباله عضوا بالجمعية الموقر ، عصبية كريمة قادرة : «أساسها من الحب والشغف ، بما يتجلى في اللغة من خصائص الفتوة والحياة ، ومن مميزات يتذوقها عشاق الجمال ، في موسيقى الحروف والصيغ والأصوات».

لهذا كله انتخب الدكتور عمار في سنة ١٩٥١ عضوا في مجمع اللغة العربية ، وكان لإسهامه القيم في النشاط ، لرفع شأن المجمع ، وخدمة اللغة ، ولابتكاراته في تعريب العلوم الطبية أن انتخبتموه في سنة ١٩٧٦ نائبا لرئيس المجلس ، مدة أربع سنوات في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ زكي المهندس ، ثم جدد هذا الانتخاب مدة أخرى في عام ١٩٨٠ .

أيها السادة الكرام :

يظهر أن حمية تقديرى وتبجيلي للمغفور له الدكتور عمار قد أنساني الكلام عن تاريخ حياته وأعماله وأبحاثه وآرائه ، وهي كثيرة بالكثرة التي تفوق مجالنا الآن ، حتى لسردها

فقط ، ناهيك عن التعليق عليها . فاقدم كان رحمة الله عليه وغفرانه ، أنيقا في ملبسه أنيقا في مشيته ، إنسانا في معاملاته ، حاسما في إداراته ، حليما في مناقشاته ، حكيما في مجادلاته ، هادئ الطبع ، بشوش الحيا ، ما رأيته يوما غاضبا ، أو عابسا ، ينتقى الألفاظ في حديثه بروية وتؤدة ، فما نفر من مجلسه أحد ، بل كانوا يستوقفونه ليستزيدوا منه .

واسمحوا لي أيها السادة أن أذكر القليل من تاريخ حياته الحميدة وبعضها من جلائل أعماله .

ولد المرحوم في قرية مناوهلة من أعمال محافظة المنوفية عام ١٩٠٤ . وتربى تربية دينية ، فحفظ القرآن وهو في الثامنة من عمره ، واكتسب الصفات الحميدة ، لتردده على أهل الدين ، وتمون بأصول اللغة من أهلها فأحبها ، وحفظ ألفية ابن مالك والمعلقات ، فثبتت عنده ملكة الفصحى ، وغوى الشعر ، فقال فيه الكثير وأبدع . وكان جادا في دراساته ، فتفوق في جميع مراحلها على جميع أقرانه ، حتى في تخرجه في كلية الطب ، وتخصص في أمراض النساء والتوليد وبرز فيها ، حتى في أثناء دراساته في إنجلترا ، حيث أرسل إليها مبعوثا لتعمق في نواحي تخصصه ، فأجاد وكان مثلا مشرفا لمصر في كل المناسبات .

وأخيرا أترحم على أستاذنا المرحوم الدكتور
أحمد عمار ، وأدعو له بالمغفرة ، وحسن
الثواب عند خالق الكون ، وصاحب الرحمة
والغفران ، الرحمن الرحيم .

أيها السادة الأجلاء:

لقد مضى على مجيعنا العريق من عمره
المديد ما ينوف على الخمسين عاما ، يخدم فيها
اللغة العربية ، فأثرها وأنماها ، وثبت أقدامها ،
بعد أن اهتزت قواعد هائل ، وطغت عليها
اللغات الأجنبية واستعوض عنها بالإنكليزية
والفرنسية في التدريس ، حتى للأطفال في
المدارس الابتدائية ، ناهيك عنها في الجامعات
والمعاهد العليا .

ولقد شكل المجمع من بين أعضائه ، الكثير
من اللجان ، في مختلف العلوم ، وفي نواحي
الحضارة ، الحديث منها وانقديم ، مستعينا
فيها بخبراء متخصصين في العلوم والآداب
والتكنولوجيا الحديثة ، لوضع الألفاظ
والمصطلحات العربية في كل حقل من حقول
الحياة هدفًا لتعريب العلوم ومسايرة لتقدم
الحضارى والعلمى ، وجعل اللغة العربية
رائدة كما كانت سابقا .

ولقد كفانى ، مشكورا ، الأستاذ الدكتور
شوقي ضيف ، مغبة الدخول في حصر ما قام
به المجمع في خدمة اللغة ، في مدى الخمسين
عاما من عمر المجمع المديد ، فجال وصال في
جميع أنشطة المجمع الجملة ، بحيث لم يترك
شاردة ولا واردة إلا أوفاهما حقها سردا

أما في عمله فقد كان أستاذا معلما ، موضع
محبة تلاميذه ، وتقديرهم ، وكذلك جميع
من عمل معه ، أما كعميد لكلية طب جامعة
عين شمس فقد كان مجددا حازما ، أرسى
قواعد الكلية ، وهى الحديثة العهد - على
أسس علمية سليمة - فرفع بشأنها إلى مصافى
الكليات الأخرى ، فصارت ملء الأسماع
والأبصار في الداخل والخارج .

ولقد شارك الدكتور عمار في كثير من
لجان المجمع . . فأثرى فيها ، منها : ١ -

١ - لجنة المصطلحات الطبية .

٢ - لجنة ألفاظ الحضارة .

٣ - لجنة المعجم الوسيط .

٤ - لجنة الجيولوجيا .

٥ - لجنة الجوائز .

٦ - لجنة وضع قانون المجمع وغيرها .

ونشر له في مجلة المجمع عدة مقالات في
موضوع « من طرائف الأدب » . . وكذلك
أبحاث مختلفة في اللغة العربية وألفاظها . وكان
مادقا جدا في اختيار اللفظ العربى الذى
يناسب المصطلح العلمى الإفرنجى في معناه
ومدلوله .

كما نشر له بحث قيم في موضوع «خطا
منهجية في وضع المصطلحات الطبية» .

ولقد مثل المجمع في عدة مؤتمرات لتشجيع
تعريب الطب ودراسته . . .

وشرحا وتفصيلا مما أغنانى أن أُلج هذا البحر
الخضم ومتاهاته التى لا يقدر عليها إلا من
كان فى مثل الدكتور شوقي ضيف ، فى
قدرته ، باستيعابه جميع الموضوعات وسلامة
أساوبه فى وصف ماوعاه ومثابرتة فى البحث
والتنقيب فى مجالات الجمع^١ ومحاضر جلساته
وأصابيره .]

السيد الرئيس الجليل

سادتى الكرام :

لقد عايشت هذا المجلس الموقر ما ينوف
على سبعة وثلاثين عاما ، خبيرا فى لجنة علوم
الأحياء والزراعة ، وسبعة عشر عاما خبيرا
فى لجنة الكيمياء والصيدلة وكنت أتوق أشوقا
وسعادة لاجتماعتهما بل وأسعد فى أوقات
التحضير لجلساتهما ، إذ كنت أشرف بالحلوس
إلى جهابذة فى اللغة فأستزيد منهم علما وأستملح
لغتهم العربية الفصحى العالية ، وأغوص معهم
وبهديهم فى أعماق بحار اللغة لتصيد من الألفاظ
ما ينم عن المعانى المرجوة للمصطلحات العلمية—
فاستنرت كثير من المرحوم الدكتور عبد الوهاب
خلاف بلغته وبلاغته ، ومن المرحوم الأستاذ
عبد الفتاح الصعيدى بثرائه فى الألفاظ
ومعانيها ، ومن المرحوم الأستاذ عطية الصوالحي
بدقته وقدرته فى التعبير ، ومن المرحوم الأستاذ
أحمد الحوفى بحسن صياغته لاعتبارات ، ومن
الأستاذ السعيد سليمان بدقته فى مدلول الألفاظ
ومصادرهما وتأصيلهما . ولا أنسى ما كان
يسديه لنا المرحوم الدكتور محمد شرف

من المعلومات القيمة التى كان يدونها فى جزازات ؛
عن الألفاظ والمصطلحات العلمية وأصولها
كما أنى لا أنسى أن المرحوم الأستاذ عبد الفتاح
الصعيدى كان لى مدرسا فى الستينات حيث
كان على أن أُلزمه فى المراجعة اللغوية لدستور
الأدوية المصرى الذى هو أول دستور
أدوية يؤلف ويصدر باللغة العربية ، فكنا
نجتمع كثيرا لا لمراجعته من حيث المرفوع
والمنصوب والمحرور أو من حيث مواضع
الكلمات بعضها بالنسبة لبعض فحسب ، بل
لكى تنى كل كلمة ولفظ بالمعنى المطلوب
وبخاصة ما يتطلبه المعنى العلمى للمصطلح ،
وكان هذا يحتاج كثيرا من الوقت لتبادل
فيه رأى حتى نصل للغاية المرجوة .

وفى جلسات لجنة علوم الأحياء والزراعة
درسنا بجانب المصطلحات العلمية كثيرا
من النباتات التى وردت أسماؤها فى المعاجم
أو حولت إلينا من المصادر الجمعية الأخرى
لتتعرف على دلالاتها وكنهها وتحقيقها ، مما
كان يحتاج للرجوع إلى ما ذكر عنها من
الأوصاف فى المراجع العلمية وما قيل عنها
فى القديم والحديث ، ولقد أغرانى ذلك أن
أطلع على كثير من هذه المراجع والترات ،
أنخص بالذكر منها فردوس الحكمة لابن ربن
الطبرى ، وكامل الصناعة أو المالكى المسجوسى ،
والحاوى للرازى ، والنبات لأبى حنيفة الدينورى
والجامع لصفات أشجار النباتات لأشرف
الإدريسى ، والقانون لابن سينا ، والصيدنة

في علوم الحيوان والنبات والزراعة
وأصدرت الجزء الأول من المعجم البيولوجي
وقريبا إن شاء الله يصدر الجزء الثاني
والأخير .

أما في لجنة الكيمياء والصيدلة فقد أعيد
دراسة ما سبق اقتراحه من المصطلحات أي
ما صدر منها قبل سنة ١٩٦٧ فأعيد تحقيقه بدقة
ووضعت ما ينوف على ثمانية آلاف من
المصطلحات العربية المحققة والتي حازت موافقتكم ،
وأصدرت الجزء الأول من معجم الكيمياء
والصيدلة وسيصدر إن شاء الله الجزء الثاني ،
كما قامت اللجنة بوضع بيان بأسماء العناصر
الطبيعية وعددها ١٠٧ عربية ومعربة
ووضعت لها رموزا بالحروف العربية ، يسهل
الدلالة بها عليها وبتمثيلها في الصيغ الكيميائية
والتركيبية .

وبهذه المناسبة أنحو باللوم على وزارة
التربية والتعليم ، وأخذ عليها إجازتها استعمال
رموز هذه العناصر بالإفريقية وبحروف
لاتينية . . مع أن الرموز العربية أدق
دلالة وأسهل فهما للدارس بالعربية . . أليس
الرمز « نح » رمزا للنحاس ، من السهل على
الطالب الذي يدرس العربية أن يفهم دلالة
(نح) للنحاس ويتذكره من Cu المستخرج
من الاسم الإفريقي Cuprum والطالب
لا يعرف هذا الاسم الإفريقي ولم يتعلمه ،
وكذلك فإن الرمز « ح » للحديد أدل
للطالب على عنصر الحديد من الإفريقي

لأبي ریحان البيروني ، والجامع لمفردات
الأدوية والأغذية لابن البيطار ، وتذكرة
أولى الألباب لداود الأنطاكي ، وشرح أسماء
العقاقير لابن ميمون القرطبي ، ومنهاج الدكان
ودستور الأعيان لكوهين العطار ، والمخصص
لابن سيدة ، والأدوية المفردة للغافقي وغيرها
كثير ، ومستعينا كذلك بما ورد عنها في المراجع
الألماني عن النباتات الطبية لسراجندورف
والفرنسي للوكاير ، وقاموس النباتات
لأحمد عيسى ، وقاموس الألفاظ الزراعية
للأمير الشهابي ، والمعجم المصور لبديقيان
وغيرهم كثير . ومن هذه المراجع تمكنت
أن أجمع ما يقرب من ألف نبات عرفها
العرب بأسمائها ومرادفاتها كما خرجت منها
كذلك من أنهم كانوا يستعملون ألفاظا
اصطلاحية دقيقة الدلالة كما نعرفها الآن ، فلو
استخرجنا منها الآن هذه الألفاظ وبوبناها
لأغنتنا كثيرا فيما نحن نأمل في عمله في سبيل
تعريب العلوم . وأخص بالذكر كتاب
المختص لابن سيدة ، وأقترح أن يدرس هذا
المراجع ويستخرج منه من الألفاظ ذات الدلالة
الاصطلاحية العلمية المرجوة وهي في اعتقادي
كثيرة فيه . .

وكان من إنتاج اللجنة أيضا ، أي لجنة
علوم الأحياء والزراعة ، تحقيق أسماء حوالى
٣٠٠ نبات طبي ، ومجموعة أنواع الحيتان ،
ومجموعة أنواع الشعابن والحيات ومجموعة
ألفاظ النخيل ، بالإضافة إلى ما ينوف
على عشرة آلاف من المصطلحات العلمية

«Fe» المستخرج من الاسم الإفرنجي Ferrum
و « ف » للفضة من الرمز Ag المستخرج من
Argentum وهكذا .

أما قولهم إن هذا اتفاق دولي للتفاهم العالمي
فردود عليه إذ أن جميع اللغات الأوروبية من
أصل واحد وحروفها متشابهة شكلا
ورسما ، فهي سهلة الفهم للدارس باللغات
الأوروبية وبينما اللغة العربية تختلف عنها في شكل
حروفها ورسمها وكذلك في طريقة كتابتها ،
فاللغة العربية تكتب من اليمين إلى الشمال
بينما الإفرنجية تكتب من الشمال إلى اليمين ؛
فوضع الرموز بالحروف الإفرنجية بين الكلمات
المكتوبة بالعربية فيه تشويه ونشاز في الشكل
وفي استمرارية الفكر للقارئ بالعربية .

هذا بالإضافة إلى أن اللغة العربية قد
أصبحت لغة عالمية ، أقرت الأمم المتحدة
التخاطب بها رسميا . وأن الرموز المستعملة
في تدريس علوم الفيزياء والرياضيات
وغيرها في وزارة التربية والتعليم كلها
رموز عربية وتكتب بحروف عربية ، أما

قولهم كذلك إن اليابان والصين يستعملان
هذه الرموز بالحروف الإفرنجية فذلك
لأن حروف هاتين اللغتين ليست سهلة الرسم
وتمثيلها في الصيغ الكيميائية التركيبية ليس
متيسرا .

وأخيرا وليس آخرا فيجدد بالوزارة الرجوع
إلى الحق وإلى ما كان متبعاً سابقاً في تدريس
الكيمياء حتى لا تفتح باباً يمكن التسالي منه
للردة إلى اللغات الأجنبية في تعليمنا وهو
ما نحارب به ونتصدى له ونمنعه .

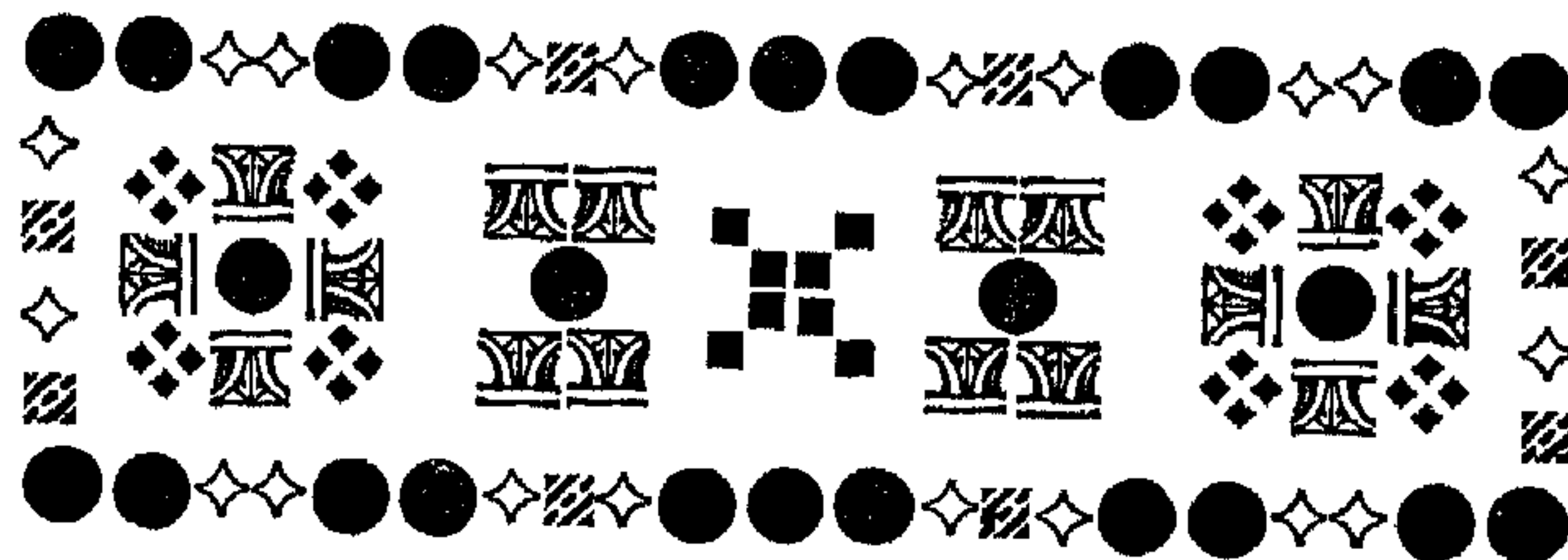
وختاما أرجو ألا أكون قد أظلمت عليكم
الحديث وأثقلت ، فشكرا لكم على تحمّلكم
مشاق الاستماع إلىّ كما أكرر جزيل شكري
لكم على ما أسبغتموه عليّ بقبولكم لي أعضاء
في مجلس مجمع اللغة العربية الموقر .

وفضلا الله جميعا في خدمة اللغة العربية
ورفع شأنها وجعلها لغة العلم في جميع
البلاد العربية .

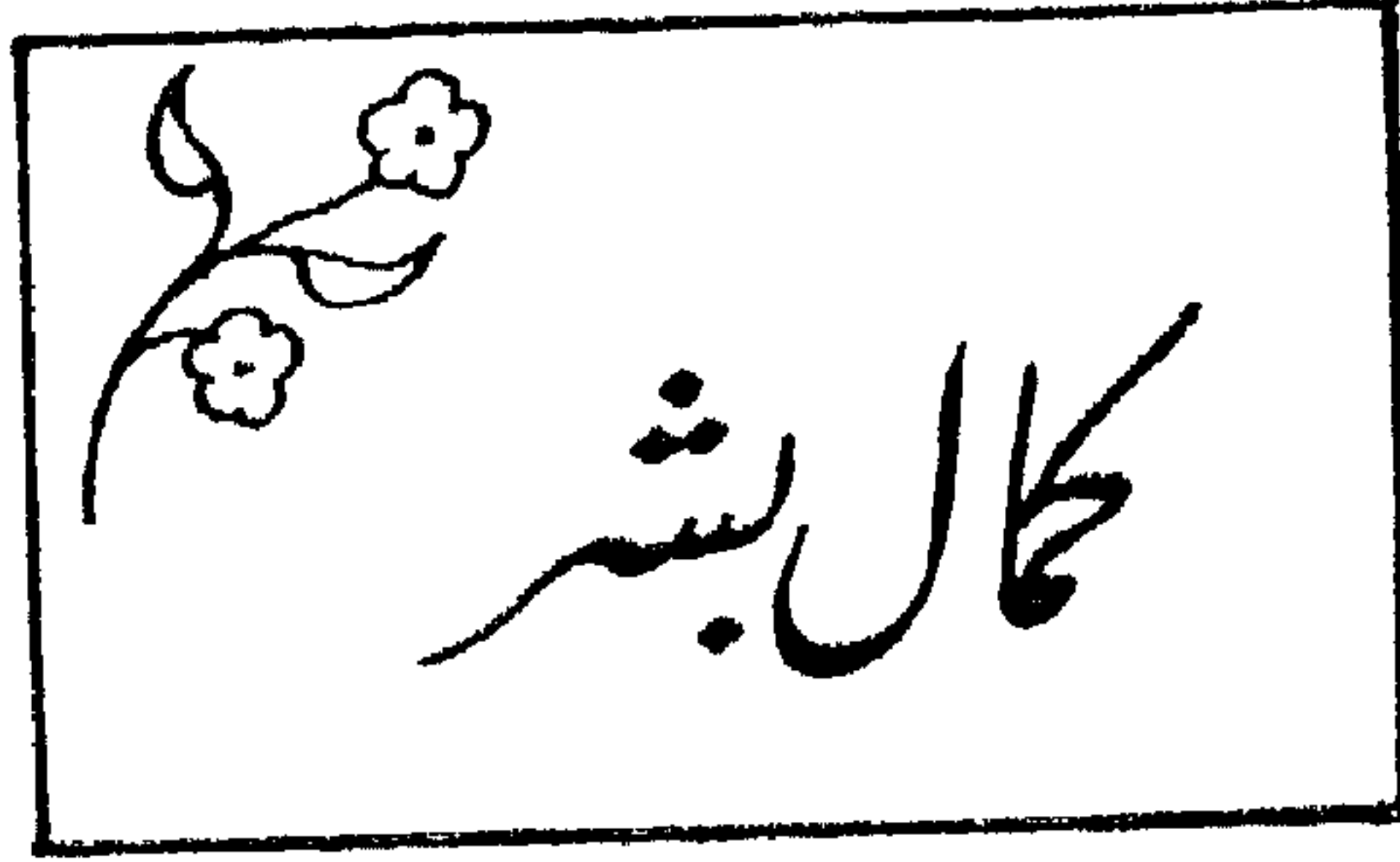
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ،

عبد العظيم حفنى صابر
مفتي المجمع

.....



● كلمة الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع في استقبال العضو الجديد



الدكتور

إعداد معلمي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم ، وذا دور بارز في وضع المناهج والخطط التعليمية بالمدارس المصرية .

ويختار كذلك خبيراً بـلجنة اللغة العربية في المنظمة العربية للثقافة والعلوم الاجتماعية ، وعضواً بـلجنة المصطلحات بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وخبيراً كذلك بالجهاز المركزي لتعليم الكبار التابع لجامعة الدول العربية ، وعضواً باللجنة الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر .

ويمتد هذا النشاط إلى زوايا العالم العربي والإسلامي ، فيكون عضواً في المجلس الاستشاري بمركز تعليم العربية لغير العرب في الخرطوم بالسودان ، وعضواً بالمجلس العلمي لجامعة الرياض بالسعودية .

ويدعى كذلك إلى المشاركة في الندوات والمؤتمرات في مصر وفي غير مصر من البلاد فيجيب الدعوة .

عرفته منذ زمن طويل ، وقد عاد من بعثته إلى جامعة لندن في سنة ١٩٥٦ فعرفت فيه الفضل والنبل والخلق الطيب ، ولم أسأل عنه الناس لأن جوابهم عن هذا السؤال كان حاضراً راسخاً ، فقد أثبتوا عليه قبل أن يعرفوه كل المعرفة ، فإذا ما عرفوه راحوا يطرونه بكل ما يعينهم من أطراء . وكان إخلاصه في عمله بكلية دار العلوم ناصعاً نقياً لم تشبه شائبة مما يشوب بعض العاملين في الجامعات من لفقة إلى المال ، أو صبوة إلى الشهرة العاجلة . وكان هدوء الطبع الذي شمله شمولاً ظاهراً ، وأضفاه عليه كرم العنصر ، مما قربته إلى إخوانه وزملائه ، وإلى طلبته ومريديه ، وكان نقاء السمعة العلمية الهادئة ، والسمعة الخلقية الطيبة ، عاملين في إجماع القوم على تقديره ، وإسباغ الإجلال عليه ، فهو عالم جليل .

ومن هنا ينطلق الزميل الكريم إلى تلبية رغبة ما سعى إليه الساعون ، يشارك في النشاط العلمي العام ، فنراه عضواً في لجنة

ومن ذلك نشاطه في الندوة اللغوية العالمية بالقاهرة، في دورتين متتاليتين، ثم في الندوة اللغوية العالمية بتونس، وفي مؤتمر سيدي بويه الذي عقد بمدينة شيراز في سنة ١٩٧٤، ومؤتمر خبراء اللغة العربية بالرياض، ومؤتمر اللغة العربية في جامعات الخليج بالكويت، ومؤتمر تعليم العربية لغير العرب بمدينة الرياض.

وهذه كلها أعمال تحتاج لا ريب إلى خبرة خاصة تجمع بين الخبرة العربية وقدر غير يسير من الخبرة العالمية.

ولا يقف جهد زميلنا الفاضل وعطاؤه عند هذا الحد، ولعله الأستاذ الوحيد في كلية دار العلوم الذي لم ينقطع عن التدريس بها طوال عمارته إلا بمقدار ثلاث سنوات قضاهما في الإعارة بجامعات قطر والإمارات العربية، والكويت، وبذلك ضرب مثلاً عالياً للأستاذ المنتمى إلى بلده.

ولم يقتصر جهده في بلده على كلياته المحببة إليه دار العلوم، فبرى نشاطه ممتداً إلى كلية الآداب، وكذلك كلية الإعلام بجامعة القاهرة، وإلى كلية البنات بجامعة عين شمس، وإلى معهد البحوث والدراسات التابع للجامعة الدول العربية، وكذا معهد الفنون المسرحية.

ويعترف له المذيعون في مصر والسعودية وقطر، والإمارات، بفضلها الظاهر في الدورات التدريبية والتثقيفية بمعاهد التدريب الإذاعي إلى الآن.

وللزميل الكريم نشاطه المعروف في الإشراف على مجموعة كبيرة من رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية دار العلوم، وفي معهد الدراسات العربية، وفي الاشتراك في مناقشة طائفة كبيرة من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات مصر وجامعات كثير من البلاد العربية.

ولعل أول إنتاج علمي مبشر به هو كتاب قضايا لغوية، كتاب صغير الحجم، ولكن يقال له كما قيل لكل نافع مستوعب: «كل الصيد في جوف الفرا»، فهو دراسة مبكرة للفصل بين مدلولات علم اللغة، وفقه اللغة، واللغة، وفيه بيان لوظيفة اللغة في المجتمع وما دخل الاجتماع أو الوراثة فيها؟ وما الفرق بين اللغة واللهجة؟ وما عوامل التوحيد لتكوين لغة مشتركة؟ وهكذا يمضي الكتاب مع وجازته الشديدة ليعطي فكرة كاملة شاملة عن القضايا اللغوية في قديم الزمان وحديثه وزوايا المكان شرقيها وغربيها.

وينبرى في رد صادق على سلامة موسى الذي هاجم دار العلوم وخربجها، الذين صاروا من وجهة نظرة ينظرون إلى لغتنا كما لو كانت إحدى اللغات المتحجرة في المعابد، فلا ينبغي تغيير كلمة أو حتى أسلوب التعبير فيها أو خطها. زد على هذا أنهم قد أصبحوا طبقة لهم وضع اقتصادي ووجدان طبقى ينهضان على استبقاء اللغة

العربية في جمودها الحاضر ولذلك ينحشون
التغيير ويرون فيه هجوما على مصالحهم
الاقتصادية .

هذا ما قاله صاحب هذا الزعم . فيقول
الزميل كمال بشر : « ولا يسع المنصف إلا
أن يحكم على هذا الرأي بالشطط والافتراء
على قوم من أولى الناس بالثناء والتقدير ،
لقاء ما قاموا وما يقومون به من خدمة اللغة
والمحافظة عليها .

وكان من الواجب أن يعرف أن دار
العلوم كانت المعهد الحكومى الوحيد الذى
نجا من سطوة الاستعمار وسطوة لغة الاستعمار .

ويقول في مجال الرد عليه أيضا : إننا
لا ننكر بحال قيمة الآداب الأخرى ،
ولا ندعو إلى إهمال الثقافات مهما كان نوعها
أو مصدرها ، إنما الذى ننكره هو التعصب
الأعمى للآداب والثقافات الأجنبية مع الاحتقار
لآدابنا وثقافتنا . وإن وحدة العرب إنما تستمد
من وحدة لغتهم .

ومن جهوده العلمية الممتازة ترجمته
لكتاب ستيفن أولمان ، الذى سماه « دور
الكلمة في اللغة » ، وهو مرجع رئيسى من
مراجع علم اللغة العام ، أفاد منه الكثيرون

من علماء اللغة الأوربيين ومن الباحثين
العرب . وأشهد لقد ناقشت كثيرا من الرسائل
الجامعية فرأيت مدى اعتماد طلبة الدراسات
العليا على هذا الكتاب ، وعلى الحواشى
النفيضة والتعليقات التى أضفناها كمال بشر
على ترجمته لهذا الكتاب .

إن مؤلفات الزميل كمال بشر تتسم باليسر
والتيسير ، وقد أتيج لى من زمن بعيد أن
أمتع بصرى وفكرى بقراءات فيها فظفرت
بخير كثير . ثم أعدت النظر فيها من قريب
فصح منى العزم أن أقتطع لها وقتا أعاود فيه
هذه المتعة وهذه النوافذ الدائنة القطوف .

ولا أحدث عن كتابه « دراسات فى علم
اللغة » بقسميه اللذين تناولوا الألف والواو
والياء ، وتسميتهما ، ومدلولها فى القديم
والحديث ، وخواصها الصوتية بوصفها
صوائت وبوصفها صوامت . كما عرض بحثا
وافيا مستفيضا عن السكون فى اللغة العربية
محاولا بيان حقيقته وقيمه فى النظام الصوتى
العربى ، من الناحية الصوتية المادية والناحية
الوظيفية .

والقسم الثانى من هذا الكتاب : « دراسات
فى علم اللغة » ينتظم طائفة من البحوث اللغوية
ذات الطبيعة العربية الصرفة ، وما نهجه العلماء

العرب القدماء في تناول دراساتهم الصوتية والصرفية والنحوية ، محاولا بيان مواقعها المناسبة في ضوء علم اللغة الحديث كما يرى. ويختتمه ببحثين آخرين : أما أولهما فيناقش مظاهر التطور في العربية المعاصرة ، وأما الثاني فيناقش معنى المعنى من وجهة النظر اللغوية على ضوء أشهر المدارس اللغوية المعاصرة .

هذا بعض ما كان من أمر كتبه . أما بحوثه المنشورة فإن هذا النطاق الذي يلفنا قد لا يسمح باستيعاب القول فيها . ويكفي أن نشير إلى بحثه في كتاب العين للخليل وموقعه في الدراسات اللغوية . وقد نشر بحوليات كلية دار العلوم سنة ٧٤ . وإلى بحثه في التعليق على كتاب محاضرات في علم اللغة العام لفردناند دي سوسير . وقد نشر بمجلة المجمع سنة ١٩٧٣ .

وإلى بحثه في نوعية اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المرحلة الأولى ، ووسائل التقريب بينها وبين اللغة الفصحى ، وقد نشرته جامعة الدول العربية ، مع بحوث أخرى ألفت في مؤتمر عمان بالأردن سنة ١٩٧٤ .

وبحث آخر في مشكلات اللغة في العصر الحديث . وقد ألقى في الموسم الثقافي بقطر

سنة ٧٤ . وبحث عنوانه « جهود العرب في الدراسات الصوتية » وقد نشر بمجلة الثقافة العربية الليبية سنة ١٩٧٥ .

ونشرت له مجلة الفيصل السعودية بحثا في الكتابة العربية سنة ٧٨ ، وآخر موضوعه « اللغة العربية والعلم الحديث » سنة ١٩٧٩ .

كما ألقى في ندوة جامعة الكويت سنة ٧٩ بحثا في الأخطاء الشائعة في نظام الحملة بين طلاب الجامعات . هذا إلى ثلاثة عشر مقالا بعنوان عام هو « فن الكلام » نشرت كلها بمجلة « الفن الإذاعي » بالقاهرة وغيرها وغيرها . ولعل في هذا القدر من تلك المقادير ما يجلو صورة مشرقة مشرفة لزميلنا الذي هو موضع اعتزازنا وتقديرنا .

وأما بعد فهذا هو كمال بشر الزميل الحديد الذي أنجبته محلة دياى من مركز دسوق ، في اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر في سنة ١٩٢١ بعد الميلاد ، الفتى الذى حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة خفا ، وضمه إليه معهد دسوق الأزهرى الابتدائى ، ثم أتم تعليمه الثانوى بمعهد الإسكندرية ومعهد طنطا في سنة ١٩٤٢ وهى السنة التى التحق فيها بكلية دار العلوم تغذوه وترعاه فيتخرج فيها بعد أربع من السنين في عام ١٩٤٦ .

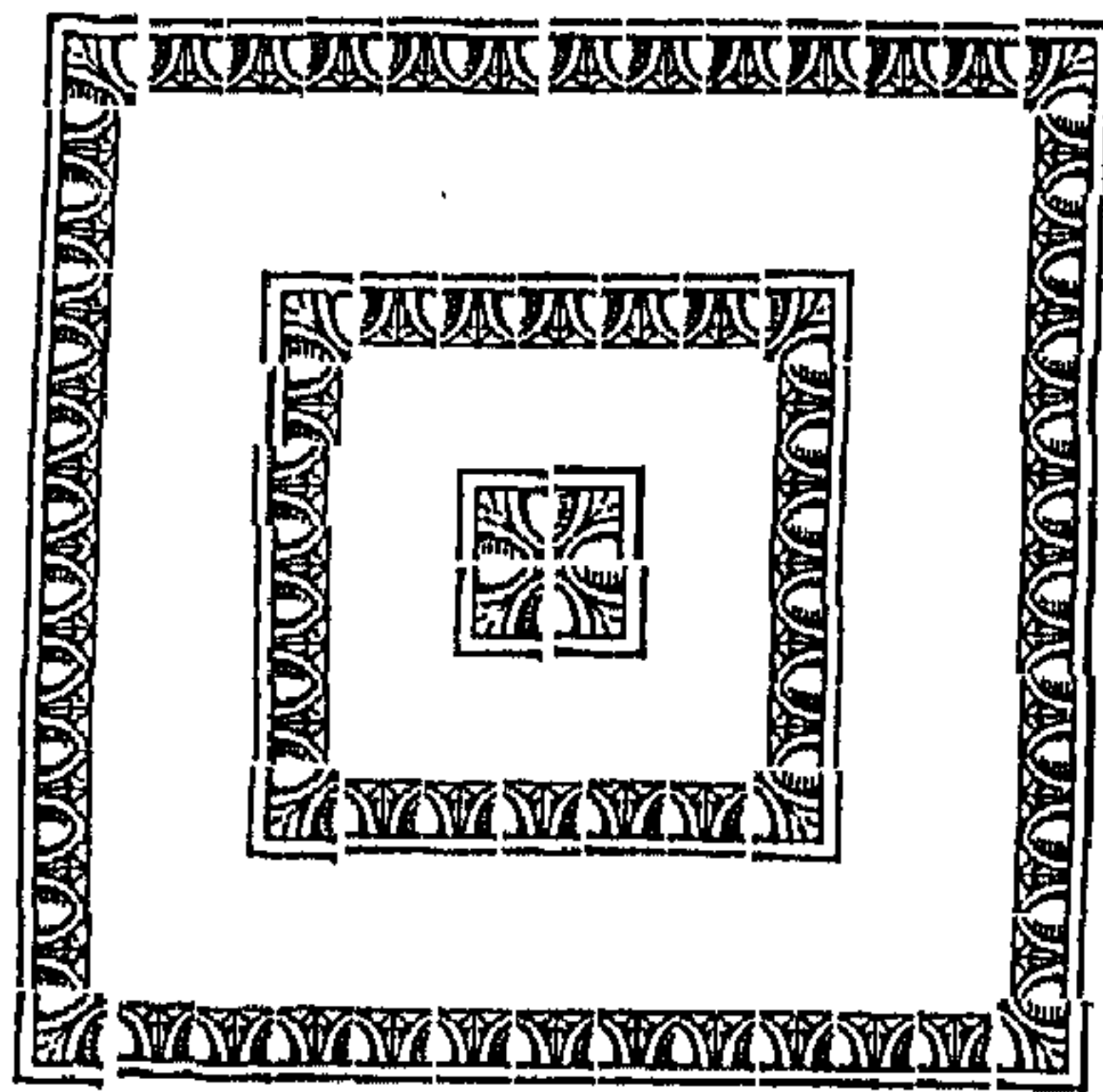
السامية والشرقية من سنة ٦٩ إلى الآن . وهو
فيما بين ذلك وكيل للكلية أو عميد لها .

وأقول : ان هذا التاريخ العلمى الحافل
وهذا الجهاد الطويل المتواصل ، هو الذى
جعل مجمع اللغة العربية يسعى إلى الزميل
الكريم .

وإني إذ أقدم التهنئة الصادقة للزميل الفاضل
باسم مجمعنا الموقر ، لأرجو له حياة علمية
مباركة بين إخوانه ومحبيه وعارفى فضله ،

عبد السلام محمد هارون
الأمين العام للمجمع

ولا يقف طموحه عند هذا الحد إذ يحصل
على دبلوم المعهد العالى للمعلمين فى سنة ٤٨
فيعمل بتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية
بوزارة التربية إلى ٤٩ . ثم يوفد مبعوثا إلى
لندن فيحصل على الماجستير فى علم اللغة المقارن
من جامعة لندن سنة ٥٣ ، وعلى الدكتوراه
فى علم اللغة والأصوات من تلك الجامعة فى
سنة ٥٦ . ويعود إلى بلده راضيا مرضيا فيعين
مدرسا بقسم اللغة العربية بكلية دار العلوم
إلى سنة ٦٢ ثم أستاذا مساعدا وأستاذا إلى
سنة ٧٠ ورئيسا لقسم اللغة العربية والدراسات



●● كلمة الدكتور كمال بشر

في حفل استقباله عضوا بالمجمع

سيدى وأستاذى نائب الرئيس

السادة أعضاء المجمع الموقرين

السيدات والسادة الحضور

شيوخ العربية حتى تملكنتى دواع من رغبة
ورغبة فأما الأولى فيملأها نزوع إلى التماس
الرشد من منارات المعرفة ، ونشيدان
الحكمة من جهابذة الفصحى ، وابتغاء المزيد
من فضل عطايتهم الذى لا ينضب معينه
ولا تجف جداوله .

وأما الأخرى فهي شعور بالخوف
يسيطر على ويملاً جوانبى : إذ كيف لمثل أن
ينتظم فى صفوف هؤلاء العلماء الأعلام
وأن يدلف إلى منازلهم وهم - فى جملتهم -
أساتذة له يجلس منهم التلميذ ؟ .

إنها لمنة من الله ونعمة ، وإنها لحظوة
لى وفضل سابغ الأطراف من أساتذتى وزملائى
الشيوخ ، أن منحونى ثقبتهم وأجازونى إلى
حماهم ، وإنى لأدخل دارهم الآن فى
أمان وثقة ، سائلاً الله الرضا والتوفيق
راجياً من أصحاب القبول والأخذ بيدي
نحو الطريق .

هكذا شاء الله ، وهكذا تفضلتم ، حراس
اللغة وحفظة تراثها وثقافتها ، فنلت شرف
الدخول إلى معقلكم الحصين الأمين .
ويقيني أننى بأذل جهدى فيه ما استطعت ،
مشاركاً ومتابعاً ، ومستمعاً إلى شيوخى

هناك لحظات من العمر يقف المرء تجاهها
وخوابره مشحونة بالتأمل والقلق فى آن معا :

إنه يتأمل فى روعة الأحداث التى تضمها
هذه اللحظات بين جنباتها ، ويعمل فكره
ويشغل نفسه بما ترمز إليه هذه الأحداث
من معان سامية ودلالات عميقة . كلها فى الحق
إشارات مؤكدة أن غنى عظيم قد أصابه وأن
فضلاً كبيراً قد استقر ببابه وملاً عليه داره .

أما مبعث القلق فلأن هذه الأحداث قد
وضعت فى موقع يهابه الرجال - بل صفوتهم -
وينخشونه . إنه موقع امتنع ويمتنع على بعض
من هم خير منه وأعلى كعباً فى فنون التعامل
مع فرسان الساحة التى اختبر عضوا فيها
ورشح لتحمل نصيب من التبعات الحليمة
التي تنتطره فى أرجائها . وهو كذلك موضع
تعجب فيه الأعواد ، وتمتحن العزائم وتختبر
الهمم فى مشهد عظيم يشهده المصطفون الأخيار
من أئمة اللغة وروادة العلم فى عصرنا الحديث .

ذلك أيها السادة - هو ما أحسه وأشعر
به ، وهو ما يجول فى خاطرى ويختلج فى
نفسى فما إن أذن لى أن أخطو إلى محراب

ومتعلما منهم ، طامعا في التوجيه والإرشاد .
سائرا على الدرب الذي يرسمون متطلعا
إلى الغاية التي من أجلها يجهدون ويكدون .

وأيم الله أن اللسان العاجزة عن الإفصاح
بفضلكم ، والتبيان لشكركم فجمعكم أعظم
من أن يلهج بالثناء عليه لسان ، وأكبر
من أن يوفيه حقه بيان .

وليس المصادفة في شيء أن يتولى تقديمي
إلى مجمع الخالدين أستاذي « عبد السلام
هارون » إمام المحققين وشيخ النحاة ورائد
الكشف عن جوهر العربية التي خلفها لنا
أسلافنا الغر الميامين . إن ندب الشيخ لتقديم
تلميذه خط مرسوم وغرض مطلوب : فيه
إعلان عن خطر الموقع وإفصاح عن جلال
المهمة ، وفيه مع هذا - وربما قبله - تشجيع
للتلميذ أو تعهد بالرى لفن مأمول الثمر في
دوحة فينانة ، جناها طيب وقطوفها دانية .
وهأنذا أستاذي العظيم أدرك الملمحين
وأستوعب الفكرتين ، فليطمئن قلبك ، وإن
كنت سيدى الأستاذ - قد خلعت على من
الوصوف مالا تطمع الآمال في الاتصاف
بها أو محاولة الوصول إلى اكتسابها ،
ومدحتني مدحا تصديره عن سماحة وكرم
نفس تشجيعا لتلميذك ومريدك وأقول
ما قال شوقي :

وما أدبى لما أسدوه أهل

ولكن من أحب الشيء حابى

فلك الشكر كفاء فضلك ولقاء ما قدمت
لى من خير حملته إلى كلماتك الفصاح وبيانك
الرفيع .

سيدائى - سادئى

جرت عادة المحميين أن يتحدث الخالف
عن زميله السالف . وسلفى هو المغفور
له الأستاذ محمد خالف الله أحمد الذى رأى
الزملاء أن يجلسونى على كرسىه ، ولكن
دون مقارنة معقودة أو كفاية في معهودة وإنما -
من وجهه نظرى في الأقل - للتأسى به
علما وعملا وسلوكا وإنجازا .

كان رحمه الله علما من أعلام العربية بشئ
علومها وفنونها ورائدا من رواد الفكر
والثقافة في عالمنا العربى والإسلامى ومشهودا
له بالثراء والعمق في المعرفة الأدبية واللغوية
في مختلف الهيئات والمجتمعات العلمية في شتى
أنحاء العالم شرقا وغربا على سواء . فحديثى
عنه اليوم أشبه بحسوة طائر من بحر زاخر .

نشأ رحمه الله في قرية « العمرة » بتسكين العين
أو العمرة بفتحها (١) من أعمال محافظة سوهاج
سنة أربع وتسعمائة وألف من الميلاد . وترى
في أحضان بيت كريم ذى رياستن : رياسة
إدارية بالقرية ورياسة أدبية فكرية فيها
وفيا جاورها من قرى ونجوع . فقد كان
جده لوالدته عالما أزهريا فاضلا يلتف الناس
من حوله ويفدون إليه من هنا وهناك طلبا
للمشورة والتوجيه الدينى وفض الحصومات .
أما خاله - وكان خريخ دار العلوم - فقد

(١) « العمرة » بضم العين وفتح الميم فيه إشارة إلى ما يرى من أن هناك صلة أو نسب بين أهل هذه القرية
الأصليين والفاروق عمر بن الخطاب .

أوتى نعمة الوفاء لأهله وعشيرته ، إذ كان يعقد حلقات الدرس لتعليم الكبار ، وكان رحمه الله يختلف إلى هذه الحلقات وهو في مقتبل عمره ليشاهدها ويكون بجوار خاله الذى كان « كثير التعهد له بالتوجيه والتثقيف ».

وفى بداية حياته توجه إلى القرآن الكريم فحفظه وأتم حفظه فى سن مبكرة ثم أخذ يتقلب فى ألوان من المدارس الابتدائية والريفية ، غير منصرف عن ميله الأدبى واللغوى الذى ظهرت بوادره منذ سنه الأولى بتشجيع من خاله ، فكان يختلف من وقت إلى آخر إلى أمهات الكتب ودرر التراث كالمعلقات ولامتى العرب والعجم وغيرها من دواين الشعر ومتون اللغة .

وظل وثيق الصلة بهذا وذلك حتى التحق بالقسم النظامى بالأزهر حين شد الرحيل إلى القاهرة ، ليبعث عن آفاق علمية وأدبية أوسع وأرحب . وظل بهذا القسم فترة من الزمن ثم نصحه الناصحون وهدته مشيئة الله إلى المكان الذى يجد فيه نفسه ويحقق آماله وتطلعاته وينمى ميوله البادية منذ أول لحظة من اتصاله بجده وخاله المذكورين . فدخل دار العلوم وابتدأ فيها عهدا جديدا امتد ثمانى سنوات :

أربعا فى قسمها التجهيزى وأربعا فى قسمها العالى . وتخرج فيها سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف وكان فى سنوات دراسته كلها أول فرقته .

وفى أثناء الدراسة بدار العلوم تأكد نبوغه ولمعت عبقريته فى مناخ متعددة من ألوان الفكر والأدب والشعر والنشاط الاجتماعى والسياسى . وكان محل التقدير والإكبار والإعجاب من قرانه وأساتذته ، كما كان كبار الشعر آنذاك (من أمثال شوقى وشاعره : البادية - محمد عبد المطلب) يعجبون يشعرون ويطلبون له .

وسافر فى بعث علمى إلى إنجلترا سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ونال درجة البكالوريوس عام أربعة وثلاثين ، ودرجة الماجستير فى الأدب سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وألف فى موضوع هو : « الأحكام الخلقية عند أطفال المدارس وعلاقتها بالعمر العقلى » .

وعاد إلى مصر فى العام ذاته فدرس فى دار العلوم فترة قصيرة ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة التى ترك فيها بصمات واضحة وآثارا خالدة كما يظهر ذلك مثلا

في تنظيم دراسة خاصة لطلاب الماجستير
عن « صلة علم النفس بالأدب » .

« وحين أنشئت جامعة الاسكندرية سنة
اثنين وأربعين وتسعمائة وألف نقل إليها
مدرسا وترقى في مناصبها العلمية إلى أن
أصبح رئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها ثم
انتخب عميدا لكلية سنة إحدى وخمسين
وتسعمائة وألف تعيينه في العمادة مرات ، حتى
عين وكيلا لجامعة عين شمس في سنة إحدى
وستين وتسعمائة وألف إلى أن بلغ سن التقاعد
في سنة أربع وستين وتسعمائة وألف : ثم
اختير مديراً لمعهد الدراسات العربية والعالية
وشغله عدة سنوات (١)

ولم تحل هذه المسئوليات الرسمية
والإدارية الكبار منذ الطلب حتى رحيله
عنا دون الأخذ بنصيب موفور وحظ مشكور
من أوجه النشاط العلمي والثقافي العام
والخاص ، ودون الاشتراك اشتراكا فعليا
ومؤثرا في كل ما يجري حوله من أحداث
وما يقع من مناسبات وما يعقد من
مؤتمرات وندوات في الداخل والخارج وما
يؤسس من الهيئات والجمعيات ذات الصبغة
العلمية والاجتماعية والسياسية .

لقد شهد ثورة ١٩ واشترك فيها خطيبا
وشاعرا وفي أثناء الطلب بدار العلوم تعرف
إلى « سعد » وأنشده من شعره في مناسبات
شتى ، كما كان رائدا من رواد الطلبة
ورئيسا أو عضوا في لحائهم السياسية والثقافية
وتدرجت الأمور معه بتدرج الأزمان
والمناسبات ، ففي لندن عقد الندوات واشترك
في المؤتمرات وفي إدارة النادي المصري هناك .
أما في مصر والعالم العربي والإسلامي فكانت له
صولات وجولات مشهودة معروفة تمثلت في
لقاءات واجتماعات علمية تفوق الحصر والعد في
هذا المقام . وقد مثل بلده في مؤتمرات عالمية
كمؤتمرات المستشرقين في باريس واستنبول
وكيرج ، ومؤتمرات الثقافة الإسلامية
في أمريكا وباكستان ومؤتمرات اليونسكو
ومؤتمر الكتاب الآسيويين والأفريقيين في
طشقند ومؤتمر المعلمين العرب في الإسكندرية
وغير ذلك كثير من أول السطر وإن ننس لا ننس
في هذا المقام موقعه البارز في هيئات رسمية
أوشبه رسمية في مصر ، فقدمثل جامعة الإسكندرية
في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية كما مثل بعد جامعة عين شمس في هذا
المجلس . وانتخب عضوا في المؤتمر الإقليمي
والمؤتمر العام للاتحاد القومي للجمهورية العربية
المتحدة وعضوا باللجنة التحضيرية والمؤتمر الوطني
للقوى الشعبية وعضوا بالشعبة القومية لليونسكو

(١) «المجمعون في خمسين عاما» للدكتور مهدي هلام ص ٢٦٦ - ٦٧ - تحت الطبع وقد أفدنا منه كثيرا .

ومقررًا للجنة الشرق الغرب بها . وقد توج هذا كله بانتخابه عضواً عاملاً بمجمعنا هذا سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف .

وعلى الرغم من انشغال راحلنا الكريم بهمة المسئوليات الكبار والتبعات الضخام لم يزل دائماً على البحث والنشر . ومحصوله المنشور من الكتب والبحوث منذ سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وألف إلى يوم اختيار إلى جوار ربه يشهد بإخلاصه للعالم وتوفره على الدرس .

ولسنا بقادرين في هذا المجال أن نحصى ما خلفه لنا الراحل الكريم من كتب وبحوث علمية ومقالات أدبية ولغوية وما تلقيناه عنه من آثار فكرية طوال حياته الخصبه الثرية .

وحسبنا هنا أن نشير إلى نماذج من هذه وتلك على ضرب التمثيل :

(أ) الكتب :

وهي تتوزع على مختلف مجالات الدرس اللغوي والأدبي والثقافة الإسلامية وغيرها ، وتعرض لقضايا جوهرية في هذه المجالات ونعالجها بهج علمي دقيق . وجاءت مادتها في أسلوب أدبي رفيع نيم عن سيطرة فائقة لفنون القول وطرائق العرض والتحليل .

من هذه الكتب :

١ - الطفل من المهد إلى الرشد .

٢ - دراسات في الأدب الإسلامي .

٣ - من الوجهه النفسية في دراسة الأدب ونقده .

٤ - الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .

٥ - الإسلام والحضارة .

٦ - معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها .

(ب) البحوث والمقالات :

أما البحوث والمقالات أكثرها عدداً وتنوعاً في المادة والموضوع . وبعض منها ألقى في مؤتمرات عالمية وبعض آخر نشر بالمجلات العربية وغير العربية ، كما جاء عدد منها باللغة الإنجليزية وهذه أمثلة منها :

١ - نظرية عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة (مؤتمر المستشرقين في باريس ، ومجلة الدراسات الشرقية بشيكاغو) .

٢ - أثر الدراسات القرآنية في تطور النقد والبلاغة العربية (مؤتمر المستشرقين في استنبول) .

٣ - صلة الثقافة العربية بالثقافات الأخرى (مؤتمر طشقند للكتاب الآسيويين والأفريقيين) .

٤ - المراحل الأولى من تطورات العربية الفصحى (نشر في دائرة المعارف الإسلامية) .

الأدبي (نشر في دائرة المعارف الباكستانية) .

(د) نشاطه المجمعى :

أما النشاط المجمعى للمغفور له الأستاذ محمد خلف الله أحمد فهو نشاط واسع عميق .

فقد ساهم في أعمال المجمع طيلة ربع قرن من الزمان واشترك في مؤتمراته ومجلته ولجانه ، فكان عضواً بلجنة المعجم الكبير ولجنة ألفاظ الحضارة ولجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية ولجنة الآداب ولجنة معجم العلوم الاجتماعية ولجنة الأصول .

وكان له في كل هذه اللجان دور بارز يتمثل في تقديم المادة والتقارير . وفي المجمع أيضاً ألقى عدداً من البحوث ذات الأهمية الخاصة في ميادين متنوعة منها :

١ - الثقافات القديمة وحركة الترجمة العربية في القرن الماضي .

٢ - ابن قتيبة والتوجيه اللغوى للكتاب (وألقى هذا البحث في دور مؤتمر المجمع ببغداد سنة خمس وستين وتسعمائة وألف) .

وتعد الكلمة التي ألقاها في حفل استقباله بالمجمع ممثلة لبحث ذي قيمة عالية ينتظم نقاطاً ذات أهمية بالغة تتعلق بدور المجمع ومسئوليته نحو اللغة العربية ومشكلاتها .

الراحل الكريم وتلك قطوف من تمار غرسه وشذا طيب من سيرته العطرة، وما أردنا هنا التعريف به أو بآثاره بالمعنى الدقيق ؛ إذ الأعلام لا تعرف، وإنما قصدنا إلى دعوة الخالفين للنظر في أبعاد هذه الشخصية الفذة والتعمق في جوانب عطائها ليسيروا على هدى سالف ويحذوا حذوه إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

أما أنا فقد حاولت ومازلت أحاول وأنى لى أن أدرج مدارجه وأرقى مراقبه أو أن أدنو من شامخ صرحه ! حاولت شيئاً من ذلك عندما شرف مجلس كلية دار العلوم بعضويته لمدة عشرين عاماً أو نحو من ذلك . حاولت التلقى منه والأخذ عنه : أخذ التلميذ من شيخ عالم جهبذ أوتي الحكمة ومنح عمق البصيرة ونفاذها . وسوف أحاول أن أترسم خطاه وأسير على النهج الذى خطه وارثناه .

ولقد توافينا (أعنى السالف والخالف) على قضية جوهرية جديرة أن تشغل المجمع الموقر ونحظى منه بموفور الاهتمام والعناية. تلك القضية هي قضية مشكلات اللغة العربية التي نلخصها سالفنا فيما سماه « الثنائية اللغوية » ويعنى بها مستويين من الكلام: فصيح وعامى . أما أنا فأصنف وضعنا اللغوى في العالم العربى الكبير « بالرباعية اللغوية » . أو الخماسية الكلامية ، إن جاز التعبير .

إن هموم العربية ذات أشكال وألوان وهي هموم تمس كياناتها وخواصها الأساسية. والحق أن همومها تجسّد حتى لهموم أهلها علمياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً: اضطراب في هذه الأحياء واضطراب في اللسان، وخلط في هذه الميادين منهجاً وسلوكاً وخلط في لغتنا دراسة وتوظيفاً .

لدينا الآن فصحي (أو فصيحة) ولغة الدواوين وأشباهاها ولغة الإعلام ولغة المثقفين ، ولدينا العاميات وهي بالعشرات أو بالمئات تعد . ولا يغرنك أن تعثر على نصوص أو سطور قليلة أو كثيرة مكتوبة بلغة فصيحة لأن اللغة المكتوبة فيها تكلف واصطناع وتخضع للمراجعة والمعاودة .

وإنما اللغة إذا أطلقت مصطلحاً فهي تعني عند العارفين والدارسين اللغة المنطوقة. واللغة المنطوقة هي أساس المكتوب ومعينه فإذا صالح المعين صالح ما يستمد منه وليس العكس بصحيح بحال . فاللسان الحي أولى بالعناية من اللسان الصامت، فالعرب جميعاً يتكلمون ولكن الغالبية منهم لا تكتب ولا تقرأ .

ما السبيل إذن إلى معالجة هذا الوضع الغريب الخطير الذي قل أن تجد له مثيلاً في العالم ؟ أنطرح الفصحي ونتخذ العامية لساناً لسعة انتشارها وسيطرتها على الساحة اللغوية ؟ حاشا لله أن أنهج هذا النهج أو أن أدعو إليه .

علاج هذه المشكلة يحتاج إلى وقت طويل وصبر دائم ونظر ثاقب جاد، ويحتاج إلى مراجعة الأوضاع العلمية والثقافية والاجتماعية . كما يتطلب وقفة متأنية لإزاء العملية التعليمية في جميع مراحلها. ودور اللغويين هنا دور رائد قائد ، وحامل الراية في هذا الدور وفي تلك الساحات جميعاً هو مجمع الحالدين .

كيف الخروج من هذا المأزق ؟ كيف الوصول إلى لسان عربي فصيح ، يجمع الناس على كلمة واحدة تلم شتات أفكارهم وتقرب من ألوان ثقافتهم وتؤكد وحدتهم في الآمال والآلام ، وتغرس في نفوسهم روح الانتماء إلى عقيدتهم ولغتهم ووطنهم الصغير والكبير على سواء ؟

لست بمستطيع الآن تقديم خطة عامة مفصلة لوسائل هذا العلاج ، وأكتفي بتسجيل بعض المقترحات أو التوصيات ، أو لنقل : إنها أمانى يتمناها محب لغته غيور عليها بين أيدي رجائها وحماها الأجاليين .

١ - للمجمع - ولا شك - دور فعال ، أتمنى أن يمتد أثره إلى الحياة العامة ولا يقتصر على « الفتاوى الصامتة » تلك التي يصدرها في محرابه ولا تصل إلى أعين الناس وأسماعهم . وهنا أرجو أن نتجاوز حد التصويب أو التسويغ إلى تقديم الحديد المبتكر في التخطيط والدرس والتوظيف .

٢ - أتمنى أن تفتح قنوات اتصال متنوعة عميقة تمد المعنيين بالكلمة المكتوبة والمنطوقة بحاجتهم . وأهل الكلمة المنطوقة بالذات - كالإذاعة مثلاً - أولى الناس بالصحبة وأجدرهم بالغذاء اللغوي وعطاء المجمع . وفي ظني أن الإذاعة الآن تقوم بدور مشكور في طريق التصحيح اللغوي ، بل قل إنها أفضل بيئة توظف اللغة المنطوقة الصحيحة إذا قورنت بغيرها من البيئات .

٣ - أتمنى ألا نكتفى بالندوات أو المؤتمرات التي يعقدها المجمع ، بل ننظم أمثالها لجمهور المثقفين لأن اللغة مطلب عام لجميع الناس .

٤ - أرجو أن نصطنع من الوسائل ما يعطى قرارات المجمع صفة الإلزام ويضمن لها الشروع والانتشار ، وصولاً إلى تعميق فكرة الانتماء وتخلصاً من ظاهرة "التعريب اللغوي" والذي تبدو آثاره واضحة على الألسنة ولافتات المحال التجارية والشركات وإعلاناتها المنتشرة هنا وهناك في الشوارع . وأخشى أن أقول إن ظاهرة التعريب هذه تسربت إلى أقلام بعض الكتاب والمثقفين .

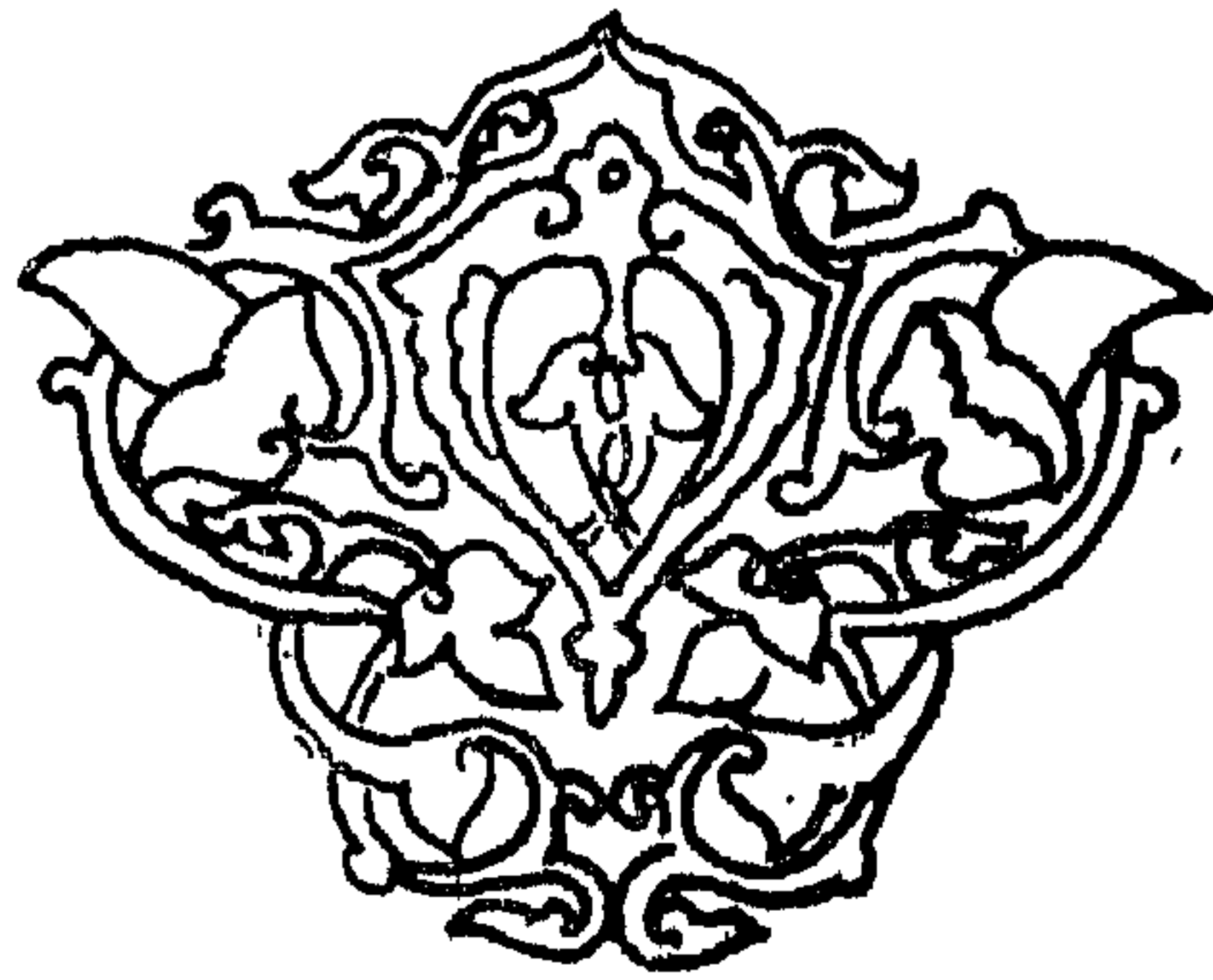
٥ - أرجو أن نوجه مزيداً من العناية إلى اللهجات ومستويات اللغة الأخرى بقصد استخراج الثروة الصالحة منها وضمها إلى المحصول اللغوي العام ، الذي ترتضيه أسلوباً لتعاملنا ، وأساساً لوحدة لغوية قوية ثرية ، تقابل حاجات الناس ومناحي معاشهم وتحافظ على ديننا وتراثنا .

أما موضوع المصطلحات ولغة الكتابة العلمية فذلك أمر يحتاج إلى وقفة خاصة في فرصة أخرى .

ولكنني أقرر هنا على مسمع منكم أن الاختلاف البادي بين العرب في دلالات هذه المصطلحات واقتراحهم في طرائق التعبير في مجال العلم ، يرجع في أساسه إلى الفراغ العلمي والعجز عن الاشتراك في هذا الميدان بطريق الابتداع والابتكار كما يرجع إلى الاكتفاء بالنقل والتقليد .

رحم الله سالفنا العظيم ، وسدد الله خطانا على والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كمال بشر
عضو المجمع



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٢ من شعبان سنة
١٤٠٤ هـ الموافق ٢٣ من مايو سنة ١٩٨٤ ، أقام المجمع حفلا لتأبين
عضو المجمع المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد هريدى . وهاهى ذى نص
الكلمات التى ألقيت فى هذا الحفل :

كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

إلى أن أحدثكم عنه ، فسيتولى الحديث عنه
زميل له ، ويقول كلمة المجمع فيه ، وإنما
أود فقط أن أقول إن هذا الراحل الكريم
كان حريصا كل الحرص على متابعة أعمال
المجمع ، رغم ما كان يصادف من صعوبات
فى سبيل ذلك . وما طلبنا إليه شيئا ،
إلا وفاه ، وكان زميلا لى فى لجنة من
لجان هذا المجمع هى لجنة معجم ألفاظ القرآن
الكريم ، وأشهدكم على أن أية قضية
تستوقفنا كنا تضعها تحت بصره ، وكان
يسارع بالرد عليها تغمده الله برحمته وجزاه
خير الجزاء .

وسيقول كلمة المجمع فيه زميلنا الدكتور
محمد الطيب النجار ، ثم تليه كلمة الأسرة
يتولاها نجل الفقيد السيد محمد صلاح الدين
هريدى ، والكلمة الآن للأستاذ الدكتور
محمد الطيب النجار .

سيداتى - سادتى :

إخوانى . . وزملائي : إها نحن نودع
اليوم الراحل الثانى فى دورة المجمع الخمسينية
وهو المرحوم العالم والفقير الكبير الأستاذ
أحمد هريدى .

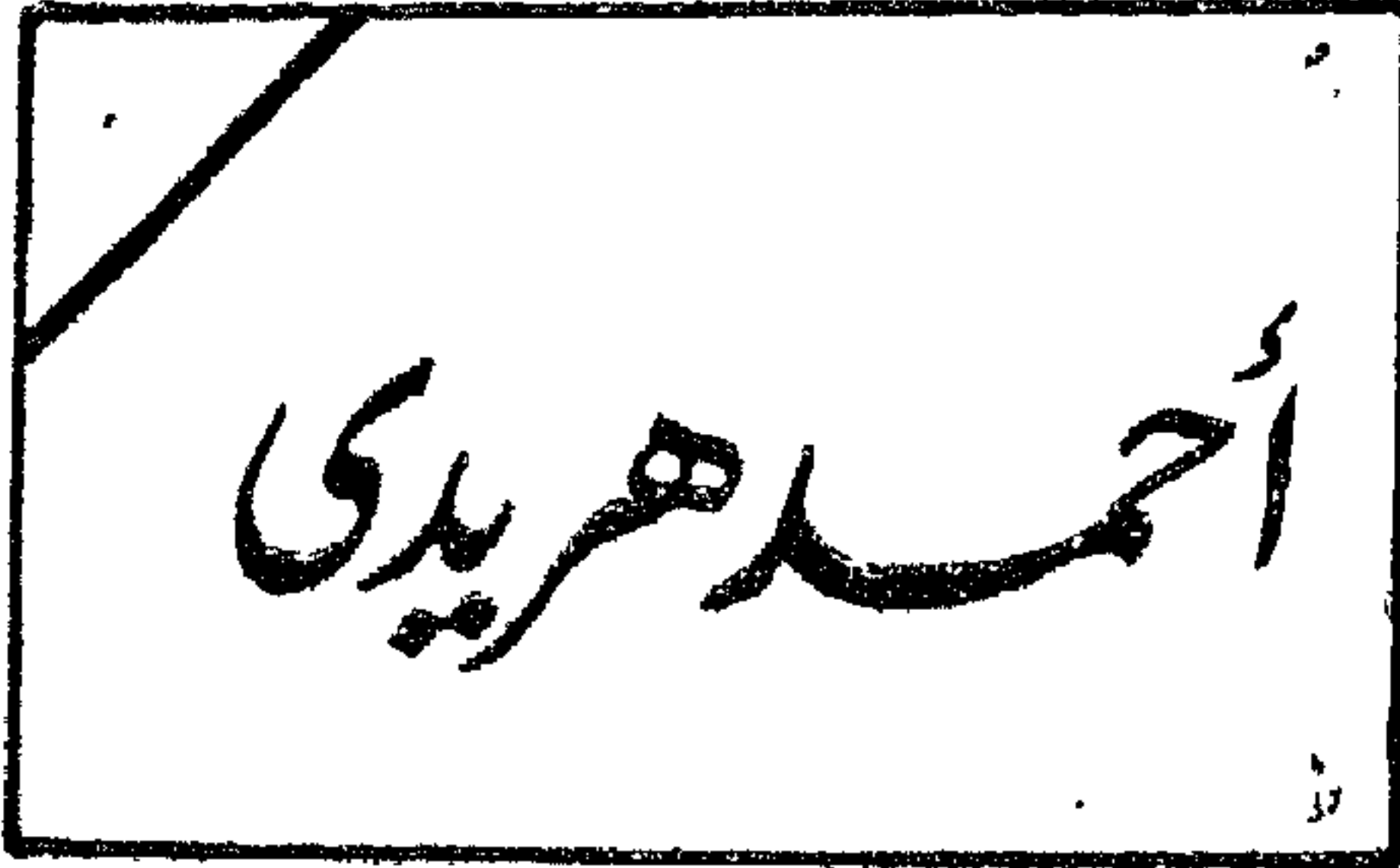
نودعه ولم ننعم بصحبته إلا خمس سنوات
فقط ، دخل مجمعنا فى مارس من عام
١٩٧٩ وفارقه فى مارس من عام ١٩٨٤ ،
فلم يكد يسلم حتى ودع ، وكأنه كان
على موعد مع زميل آخر له دخل المجمع
معه فى عام واحد وفى جلسة واحدة
هو المرحوم الدكتور محمد رفعت فتح الله ،
سبقه بقليل ، وأبى فقيدنا إلا أن يلحق به .

ولست فى حاجة إلى أن أحدثكم عن العالم
والفقيه الجليل المرحوم الأستاذ أحمد
هريدى ، مفتى الديار المصرية ، لست فى حاجة



●● كلمة الدكتور محمد الطيب النجار

في تأيين المغفور له



الأستاذ الشيخ

ميت ، وأحب من شئت فإنك مفارقة ،
واعمل ما شئت فإنك مجزى به .

والشاعر العربي الحكيم يقول :

حكم المنية في البرية جاري

ما هذه الدنيا بدار قرار

بيننا يرى الإنسان فيها مخبرا

فإذا به خبر من الأخبار

طبعت على كدر فكيف تريدها

صفوا من الأقدار والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلب في الماء جذوة نار

سنة الله في خلقه ، موت وحياة ،

ثم هكذا يدور الفلك ، وهكذا تتعاقب

الأحداث ، ونحن اليوم حينما نجتمع لنتحدث

عن فقيد المجتمع الكبير ، فقيد الإسلام المغفور

له الشيخ أحمد هريدي مفتي مصر ، وعضو

مجمع البحوث الإسلامية ، وعضو مجمع

نحمد الله سبحانه وتعالى ، ونصلي ونسلم
على أنبيائه ورساله وعلى خاتمهم سيدنا محمد
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم أما بعد .

سيادة رئيس المجمع ، السادة الزملاء
حضرات السادة الأجلاء . . تمر الأيام
وتتابع ، ويدور الفلك بالناس دوراته
المتلاحقة ، فيغير الله الأحوال بين يأس
ورجاء ، وعبوس وصفاء ، وإقبال وإدبار ،
والله يقلب الليل والنهار .

وقد خلق الله الموت والحياة ، والموت
بلا شك حق لا ريب فيه ، وقدر نافذ لا مرد
له ، رضى الناس أم سخطوا ، أعلنوا ،
الحرب عليه أم سلموا . . والله سبحانه
وتعالى يقول « كل نفس ذائقة الموت
وإنما توفون أجوركم يوم القيامة » فمن
زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول
في حديث صحيح « عش ما شئت فإنك

اللغة العربية ، فإنما نتحدث عن فقيد العلم ،
والعلم هو الغاية التي ليس بعدها غاية
والعلماء في هذه الدنيا هم أساة الأرواح
وأطباء النفوس ، وهم الذين يسمون
بالعقول فيصقلون عوجها ، ويشحنون
مضاءها ، وينثرون لها السبيل إذا ما اضطربت
الأمور وتلبدت الغيوم .

ورسالة العلماء في هذه الدنيا هي الرسالة الخالدة
التي لا تسعد الدنيا إلا بها ، ولا تنأ إلا في ظلالها
ومن أجل ذلك مدحهم الله سبحانه وتعالى فقال
« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات » وقال « إنما يخشى الله من عباده
العلماء » وقال « قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون » وقال « وما يستوى الأعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الخور وما يستوى الأحياء ولا الأموات
والعلم بلا شك هو البصر والنور ، والجهل
هو الظلمة ، والعلم بلا شك هو الظل والظليل ،
والجهل هو النار التي تلتفح والحر الذي
يحرق ، والعلم حياة ونماء والجهل موت
وفناء .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول
« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »
ويقول « العلماء ورثة الأنبياء » .

وفقيد المجمع المغفور له فضيلة الشيخ
أحمد هريدي عالم جليل لا ريب فيه ،
وفقيه ضليع ، ومفت من المفتين الذين
عرفوا الحق ، وتمسكوا به ، وكانت كلمة

الحق دائما تجرى على لسانه ، لم يتغير تحت
ضغط سياسي أو تحت هوى أو غرض
وظل بحمد الله يؤدي رسالته كاملة
إلى أن اختاره الله إلى جواره طاهراً تقياً
مؤمناً صادقاً عالماً عاملاً ، يحمد الله .

ولقد ولد رحمه الله في بلدة الفقاعى
مركز ببا محافظة بنى سويف سنة
١٩٠٦ ثم تدرج بعد أن نال درجة تخصص
القضاء الشرعى في وظائف القضاء حتى
وصل إلى رئيس محكمة المنصورة الشرعية
ثم عين بعد ذلك مفتياً لجمهورية مصر ،
ثم اختير عضواً في مجمع البحوث الإسلامية
ثم اختير بعد ذلك عضواً بمجمع اللغة العربية
وفي خلال عضويته لمجمع اللغة العربية كما
سمعنا الآن من شيخ المجمع ورئيسه كان
مثالاً للعالم الخالص الذى يؤدي واجبه
تمام الأداء .

ولقد شارك فضيلته في مؤتمرات إسلامية
كثيرة ، وكان من أهمها المؤتمر الإسلامى
الذى عقد في ماليزيا سنة ١٩٧٦ وله فيه
بحث مستفيض دقيق عن الزكاة في
الإسلام وقد بحث في هذا الموضوع نظام
الزكاة في الإسلام وكيف أن الإسلام
حارب الفقر وانتصر عليه بهذه الفريضة
المقدسة وأفاض في ذلك الموضوع ،
ووصل والحمد لله إلى النتيجة المرجوة
التي تطمئن لها النفوس

واشترك فضيلته في تقنين الشريعة الإسلامية واشترك كذلك في موسوعة الفقه الإسلامي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف وهكذا أسهم أسهاماً كبيراً في جميع المؤسسات الإسلامية الدينية ، وأثمر إسهامه والحمد لله أجل الثمرات وأعظمها

وإذا كان لي أن أتحدث عن بحوثه الكثيرة التي استمتعت بقراءة معظمها فلاني أقول بحق إن هذا الرجل كان دقيقاً وكان نافذ البصيرة ومخلصاً إلى أبعد الحدود في كل عمل يقوم به ، وعلى الرغم من أن مؤلفاته تكاد جميعها تكون مخطوطة ، إلا أنه يرجى أن تطبع إن شاء الله عما قريب لينتفع بها المسلمون ، وسوف يكون من الأمانة وتصديقاً لما قلته أن أعرض لكم بعض آراء له حول ترجمة القرآن وحول التفسير العلمي للقرآن الكريم ، وهذا مجرد مثال أردت به أن أبين كيف كان الرجل يعالج القضايا الهامة التي يجب أن ينظر إليها العلماء نظرة دقيقة ، وقد كان له بحث كذلك في استقبال شهر رمضان وهلال رمضان ، ووصل فيه إلى رأى دقيق هو الرأى الذى انتهت إليه جمهرة العلماء في هذه الأيام .

وأرجو أن تأذنوا لي أن أقرأ عليكم حفاظاً على أمانة النقل وأمانة الكلمة ، ان أقرأ لكم بعض سطور من آرائه حول ترجمة القرآن ، وحول التفسير العلمي للقرآن الكريم ، يقول فضيلته عليه الرحمة :

« إن ترجمة القرآن تصدق بمفهومين : الأول الترجمة الحرفية للنص العربي المنزل من عند الله وهذا غير ممكن ولم يقل به أحد ممن درسوا الموضوع وقت أن كان التفكير فيه . لأن القرآن أساس للتشريع الإسلامى وأحكامه وقواعده ومبادئه التي تتعلق بتنظيم حياة المجتمع الإسلامى في مختلف جوانبها وربط علاقاتهم ببعضهم وبغيرهم وبغيرهم من المجتمعات الأخرى من جميع النواحي وفي أوقات الحرب والسلام ، وألفاظه العربية لها معانيها ومدلولاتها واحتمالاتها وتوجيهاتها التي ترتبط بها الأحكام والقواعد والمبادئ التي تكون محل اجتهاد المجتهدين واستنباطهم واختلافهم واتفاقهم وذلك فضلاً عن جانب الإعجاز اللفظي والمعنوي المرتبط بالنظم العربي ،

والترجمة الحرفية ليس فيها شيء من ذلك كما هو قد اتفق المسلمون على عدم جوازها . وقد أصدرت بعض الدول غير الإسلامية ترجمات للقرآن كانت مسخاً وتشويهاً وتحريفاً لكتاب الله وفيها أخطاء كثيرة يندى لها الحبين . والقسم الثاني ترجمة معاني القرآن بأن تؤلف لجنة من المختصين لوضع تفسير موجز للقرآن يعتمد الصحيح والراجح ثم تؤلف لجنة على هذا الأساس لترجمة هذا التفسير . وهذا ممكن وجائز بالاتفاق . وقد قامت بعض الدول الإسلامية بإصدار ترجمات من هذا النوع ويفكر الأزهر

في عمل ترجمة دقيقة صحيحة لمعاني القرآن ونشرها لتكون بمثابة الأصل الذي يرجع إليه عند الاختلاف بالنسبة لما صدر في ترجمات مختلفة، هذا كلام الشيخ حول ترجمة تفسير القرآن .

وفي مجال التفسير العلمي للقرآن يقف فضيلة المرحوم الشيخ أحمد هريدي وقفة الفاحص المتأمل فيقول : إن القول بعدم جواز تفسير القرآن تفسيراً علمياً بإطلاق دون تفصيل بين ما يكون عرضة للإلغاء والإبطال من مقدرات العلم وما لا يكون كذلك يعيد إلى الأذهان ما كان يردده بعض الباحثين في مجافاة الدين للعلم مما لا أساس له فإن الذين مجد العلم ورفع من شأن العلماء « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقد دعا الدين إلى تعلم العلم وحث عليه، ولا تقول مع القائلين إن العلم الذي يدعو إليه الدين هو علوم التفسير والحديث والفقه والتوحيد وأصول الفقه فحسب .

وهذه نظرة جلية من الشيخ الجليل عليه الرحمة فإن بعض الناس ممن أسعدهم الله بأن يكونوا علماء في التفسير والحديث والفقه ربما يطن البعض منهم أن هذا هو العلم ، ولكن الشيخ ينظر نظرة شاملة فيقول إن العلم الذي يدعو إليه الدين ليس هو علوم التفسير والحديث والفقه والتوحيد فحسب وإنما هو كل علم يرقى بحياة الإنسان

وينفعه ويسير به قدما مع ركب الحضارة والتقدم العلمي والحضاري . والله تعالى حين أراد أن يستخلف الإنسان في الأرض أعمارها واستخدام ما أودعه الله فيها من أسرار وعجائب أشار الكتاب الكريم إلى أن أساس الصلاحية للاستخلاف هو العلم والقدرة على تحقيق العمارات وتفهم أسرار الكون . . وقد نجح الإنسان في خلافته وعمر الأرض وأثار الحياة وكشف بالعلم والاختراع كثيرا من أسرارها وعجائبها وامتد الإصلاح إلى كل ركن فيها . وصعد الإنسان إلى القمر بوسائل العلم وأثار العلم ونزل على سطحه ونقل إلى الأرض بعضاً مما يحتويه وهو يواصل الآن في بحثه عن الحياة على كثير من الكواكب وسواء أراد القائلون بهذا العمل العلمي العظيم أم لم يريدوا فسوف تنتهي البشرية إلى الإيمان بخالق الكون كله وما فيه من أسرار وعجائب ومكنونات وأنه إله واحد خالق مدبر مقدر وهذا الإيمان هو دعوة الدين وغايته . وذلك ما أدى ويؤدي إليه العلم فالعلم يخدم الدين والدين يدعو إلى العلم ويفتح آفاقه ويحضر على تعلمه . وفي مجال الحقائق الثابتة لن تكون بينهما مجافاة ولا تناقض .

ثم ينتهي فضيلته إلى نتيجة موفقة حيث يقول : فليس من منطق الدين أن تمنع تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً في نطاق الحقائق الثابتة وليس من منطق العلم أن نباعد بينه وبين الدين في هذا النطاق .

وهكذا أيها الإخوة تبدو آراء العالم الجليل
آراء حرة مستنيرة متعمقة في بحثه مطمئنا إلى
ما يبيديه من آراء لأنه بحمد الله قد اعتمد على
أساس متين سليم .

أيها السادة الزملاء . أيها الإخوة الأعزاء
إن الناس يتشبثون بهذه الحياة ، ويود كل
إنسان لو يمتد به العمر أحقابا طويلة ، فإذا
ما امتد به العمر في هذه الدنيا أو فيما بعد
العمر الغالب ، فإنه يتمنى لو يتضاعف
ذلك الزمن ويتضاعف ، ويتمنى مع ذلك
لو يذهب ليل الشيخوخة وعبوسها لكي
يعود إليه نهار الشباب وإشراقه وابتسامه ،
تلك طبيعة الإنسان ، ولكن العمر أيها السادة
مهما طال فهو قصير لأن له غاية معلومة
ونهاية محتومة ، وحينما يوفى الإنسان على
الغاية والنهاية يرى أن ما مضى فات وما فات
مات ، ويرى السنين على كثرتها وطولها قد
مرت مرور الطيف ، وانصرفت وتولت
كأنها سحابة صيف ، وحينئذ يتساوى من
عاش عشرة أعوام بمن عاش مائة أو مئات

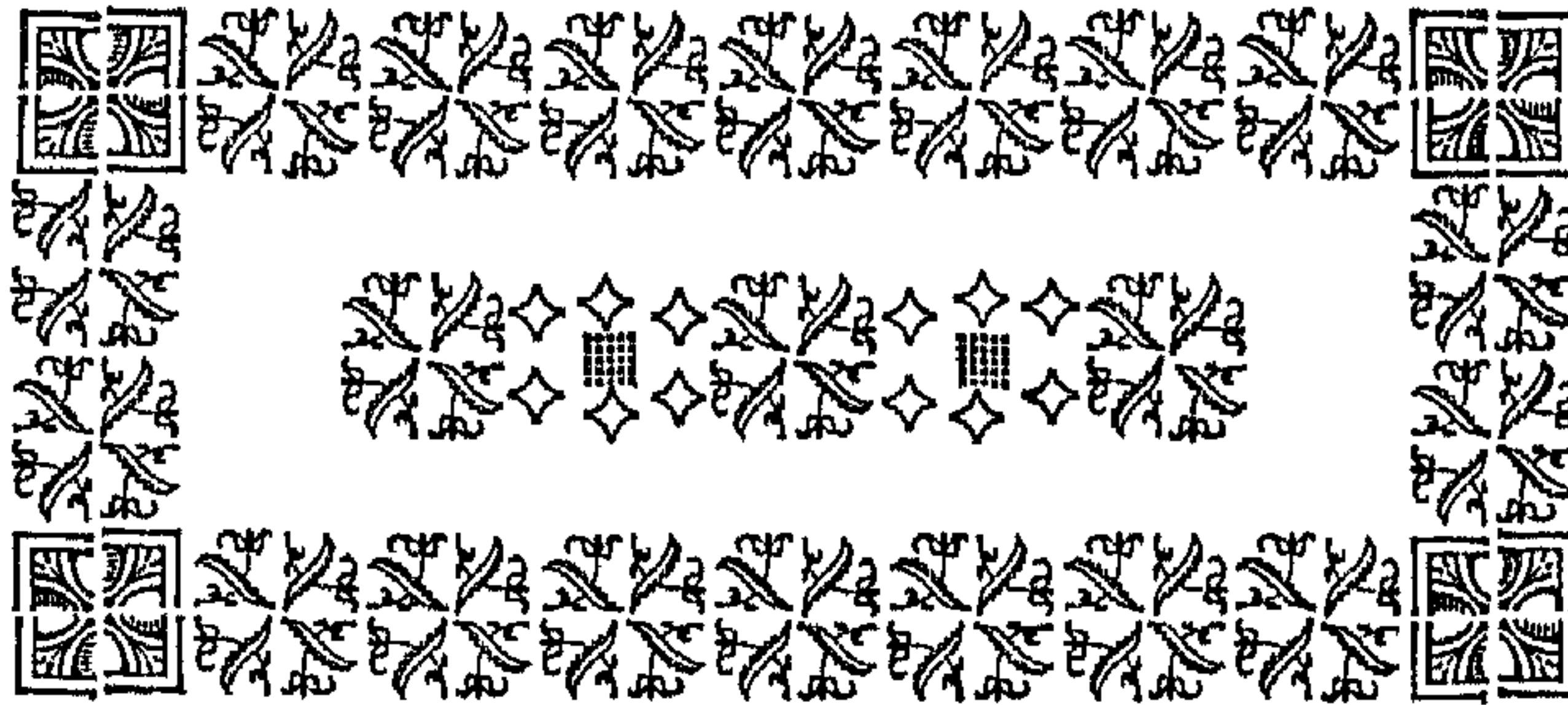
من الأعوام ، وإذن فالمقياس الحقيقي لعمر
الإنسان ليس هو الزمن الطويل والعمر
المديد ، وإنما هو الأثر الخالد الحميد .

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم
« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ،
صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح
يدعو له » .

ولا شك أن فقيدنا العزيز المرحوم الشيخ
أحمد هريدي قد ترك من ذلك كثيرا ، فقد
ترك العلم الذي ينتفع به ، وترك الأولاد
الصالحين الذين سيدعون له بالرحمة والمغفرة
إن شاء الله .

وإنني باسم السيد الأستاذ الدكتور رئيس
مجمع اللغة العربية والسادة أعضاء المجمع
والسادة العاملين فيه نتقدم بالعزاء الخالص
لأسرة الفقيد ، ونسأل الله سبحانه وتعالى
أن يتغمده ، بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح
جناته ، وأن يجزيه عن العلم والدين خير
الجزاء .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد الطيب النجار
عضو المجمع



كلمة الأسرة

للأستاذ محمد صلاح الدين هريدى

علينا ثم اختاره الله سبحانه وتعالى لحواره
بعد حياة حافلة بخدمة الدين الحنيف .

وإذا كان والدى عليه رحمة الله قد تبوأ
كثيراً من المناصب الكبرى فإن أعظم ما كان
يعتز به عضويته في مجمع البحوث الإسلامية
وعضويته في مجمع اللغة العربية .

ولننى في هذا اليوم حينما أحضر حفل
تأبين المغفور له والدى الشيخ أحمد هريدى
الذى يقام في مجمع اللغة العربية، أجد نفسى
أنا وسائر أفراد الأسرة عاجزين عن شكر
السيد الدكتور رئيس المجمع والسيد الدكتور
محمد الطيب النجار الذى أشاد بوالدى
وتحدث عنه حديث الأخ الصادق والزميل
الكريم ولننى وسائر أفراد الأسرة نتقدم
بالشكر العميق كذلك إلى السادة أعضاء
المجمع والعلماء فيه ونسأل الله سبحانه أن
يجزيهم الله عنا خير الجزاء .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين
وبعد .

سيادة الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم
مذكور رئيس مجمع اللغة العربية

حضرات الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع
حضرات السادة والسيدات .

أحمد الله سبحانه وتعالى على قضائه
وقدره . ونسأل الله سبحانه أن يهيء لنا ولكم
سبيل الخير في الدنيا والآخرة ، وبعد .

فإن من فضل الله على والدى رحمه الله
أن اختاره لرسالة عظيمة وهى رسالة العلم
الذى يرفع الله به الناس ويغزهم ، ولقد
قضى والدى رحمه الله حياته كلها راهباً في
محراب العلم والفتوى . ودارسا لكتاب الله
وسنة رسوله . وكان ذاك من فضل الله

كلمة ختامية

للدكتور إبراهيم المذكور

سيدتى . . سادتى

شكر الله لكم جميعاً . . ورحم الله فقيدنا ، ورفعت الجلسة .

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٥ من شعبان سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ من مايو سنة ١٩٨٥ م : أقام المجتمع حفلا لتأبين عضو المجتمع المرحوم الدكتور حسين خلاف ، وها هي ذى الكلمات التي أقيمت في هذا الحفل :

●● كلمة الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجتمع

أيها السيدات والسادة :
بدننا رحل حسين خلاف في الثمانينيات (١٩٨٥).

* * *

ولم يقف التلاقى بين الشيخين الجليلين عند حد الانتماء إلى مدرسة اقتصادية واحدة أو البقاء في عضوية المجتمع مدة مساوية لمدة الآخر ، بل امتد هذا التلاقى إلى جهودهما في المجتمع فقد كان عبد الحكيم الرفاعي حريصا. الحرص كله. على أن يخرج معجما يضم طائفة من مصطلحات علم الاقتصاد كي يأخذ هذا المعجم مكانه بين المعجمات العلمية المتخصصة. وإذا كانت المنية قد عاجلت الرفاعي قبل أن يتمكن من تحقيق هذا الحلم فقد أكمل حسين خلاف خطوات أستاذه وصديقه ، فعكف على إتمام هذا المعجم الاقتصادي ، إيمانا منه بمدى الحاجة إليه فالحق أن الطاب قد كثر على هذه المصطلحات حتى إن هيئة اقتصادية كتبت إلى المجتمع تطلب منه موافاتها بما توفر لديه من مصطلحات في علم الاقتصاد .

* * *

يعز على اليوم أن أقف هذا الموقف الذي أتحدث فيه عن زميل كريم رحل عنا هو المغفور له الدكتور حسين خلاف الذي استأثرت به رحمة الله تعالى ونحن أحوج ما نكون إليه علما ونحافا وأدبا .

وفقيدنا الذي ودعناه بالأمس وتجيء ذكراه اليوم ، سعد المجتمع بعضويته في السبعينيات ، وبالتحديد عام (١٩٧٤) . كما سعد المجتمع من قبل بعضوية اقتصادي جليل أيضا هو المغفور له الدكتور عبد الحكيم الرفاعي ، أستاذ فقيدنا وصديقه ، الذي دخل المجتمع في الستينيات (١٩٦٨) .

* * *

والشيء الذي لا يخفى أنه كان بين الأستاذ والتلميذ أوجه تلاق كثيرة فالأثنان أبناء مدرسة اقتصادية واحدة ، والأثنان أمضيا في المجتمع مدة تكناد تكون مقاربة. فقد رحل عبد الحكيم الرفاعي في السبعينيات (١٩٧٤)

حسين خلاف

المرحوم الدكتور

سنوات لم نسمع صوته إلا رقيقا ، ولا عباراته إلا مهذبة لطيفة ، ولم نجد في عشرته إلا ما يحلو للعشير من عشره ، كان يحضر الجلسات مصغيا يقظا صامتا ، فإذا تكلم نطق وثيدا ، أو أشار بأصبعه في رفق وعلى مهل ، وهو في سريرة نفسه يتولاه الرضا ، ويشيح في كيانه الاطمئنان .

تخرج فقيدا في كلية الحقوق سنة ١٩٣٤ وبعد خمس سنوات نال الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة باريس ، وبعودته إلى مصر عين مدرسا ، فأستاذ مساعد فأستاذ للمالية العامة والاقتصاد السياسي في كليتي الحقوق بجامعة القاهرة والإسكندرية ، فعميدا بكلية التجارة في بغداد سنة ١٩٤٩ ، فأستاذ متفرغا للمالية العامة بقسم الدراسات العليا ، فأستاذ للاقتصاد السياسي ورئيسا لقسمه في معهد الدراسات العربية العالية .

سيدي الرئيس ، سيداتي وسادتي :
نودع اليوم وما أقسى أن نودع ، نودع علما من أعلام الفكر الاقتصادي في مصر وفي عالمنا العربي ، سايرت مؤلفاته التغيرات التي أدركت الأوضاع المالية والاقتصادية في وطنه ، وأضاءت الطريق لتطورات مصر اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ذلك هو زميلنا العالم المغفور له الأستاذ الدكتور حسين خلاف .

كان فقيدا ، بالإضافة إلى سعة علمه وأصالته تفكيره ، نسمة حلوة هادئة يطمئن لها كل من قدر له أن يعاشره أو يصاحبه ، قضى أيامه في مجتمعنا الموقر في هدوء ، يشارك في مناقشات مجلسنا في هدوء ، أو يلوذ بالصمت هادئا ، لا تستثيره كلمة ولا يحرك انفعالاته حدث ، يكاد لا يعرف الجلبة أو الضوضاء ، ولكنه كان في صمته معبرا ، وفي هدوئه أخاذا ، عاش بيننا

وكانت لفقيدنا حياته العلمية النظرية الخالصة ، وحياته العملية المحضة ، وتركت قدرته على الجمع بين النظر والعمل بصمات واضحة في منهجه في التفكير والتنفيذ في شتى المسائل التي عرض لها دارسا أو منفذا فنذ أن كان في بعثة في باريس تخصص حسين خلاف في موضوع الضرائب وجعل رسالته الأولى « ضريبة التركات في مصر من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية » ورسالته الثانية « ضريبة التركات في مصر من الناحية التشريعية » وافتتح بهذا باب الدراسات الضريبية في جامعاتنا المصرية .

وفي مؤلفاته يتمثل الجانب النظري العلمي من حياته ، وكانت كتاباته وثيقة الصلة بأحداث مصر الاجتماعية وحياتها السياسية التي عايشها ، فما مرت مصر بتطور غير أوضاعها الاقتصادية أو الاجتماعية إلا وتقدم عالمنا حسين خلاف بكتاب أو بحث يلقي أضواء ترفع ظلمه أو تبدد حيره ، وتير الطريق إلى حيث ينبغي أن يسير وطنه ، ففي الثلاثينيات ألقت مصر الامتيازات الأجنبية ، واستردت حريتها في إصلاح نظامها الجمركي وتعديل نظمها المالية فسايرت بحوثه العلمية هذا التطور ، فحين نشأت جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٢ كانت بلدية الإسكندرية قد تحررت من تنظيمات الامتيازات الأجنبية . فأصدر فقيدنا كتابه « مالية بلدية الإسكندرية » ، فلما انتهجت

مصر سياسة اشتراكية في الخمسينيات والستينيات ، تطورت أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية قدم فقيدنا كتابه « التجديد الاقتصادي المصري » .

وقد كان فقيدنا طبعاً على وعي بما يقول ، فكان يخطط لمشروعات كتبه قبل تأليفها بحيث تتلاءم مع واقع مصر وتطوراتها ، فمن ذلك أنه في كتابه عن تطور الإيرادات العامة في مصر الحديثة - وقد صدر سنة ٦٦- يتحدث في الباب الثاني عن تطور الضريبة في مصر من حيث أغراضها الاقتصادية والاجتماعية ، ومستقبل الضريبة في مصر بعد تحولها إلى النظام الاشتراكي . . . وشبهه بهذا ما نراه في سائر كتبه . واستقبله مجتمعنا اللغوي عضواً به سنة ١٩٧٩ ، وفي داخل المجمع كان عضواً بلجنة الجوائز ومقرر اللجنة الاقتصادية التي قدمت في عهده إلى مجلس المجمع ومؤتمره في ثلاث دورات (٤٨ - ٥١) مئتين وخمسة وثمانين مصطلحاً ترجمة وتعريفاً ، وكانت المصطلحات قد وردت إلى اللجنة في مركز التنمية الصناعية عن مجال التكاليف ، وكان رحمه الله من المعنيين بحركة التجديد والإحياء في الحياة العربية في العصور الحديثة ، في نواحيها المعنوية والمادية : أدبية ولغوية ودينية واقتصادية وتشريعية وتعليمية ، كما أشار إلى ذلك في كتابه الذي أصدره عام ١٩٦٢ عن التجديد في الاقتصاد المصري . .

« وما كان لنفسٍ أن تموت إلا باذن الله
كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نوته
منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها ،
وسنجزى الشاكرين » .

صدق الله العظيم

وحين نزلت مصر إلى التصنيع منذ
الثلاثينيات - وظهرت علاقات صناعية جديدة
كان لها آثارها الاجتماعية والاقتصادية ،
قدم فقيدنا كتابه « نقابات العمال في مصر »
محاكما تلك العلاقات وموقف المشرع منها .

وانتهت إليه الأمم المتحدة تستعين بعلمه
وخبراته ، فاستجاب لها بما كتبه سنة ٧٧ عن
التعاون التقني بين البلدان النامية في منطقة
غربي آسيا ، كما كتب بحثا عن الآثار
الاقتصادية الناجمة عن غلق قناة السويس
وقدمه إلى مؤتمر التجارة والتنمية في
سانتياجو بشيلي . . .

وهكذا كانت مؤلفاته وبحوثه - التي
اخترنا نماذج منها - كانت أضواء على
الطريق . يكتبها لمعالجة أزمة تمر بمصر
أو بالعالم العربي أو الدولي ، فيقدم بكتاباته
حلا لإشكال ، أو أضواء تنير طريقا مظلمًا
أو ترشد حائرا تأمها .

أما عن حياة العمل والتنفيذ فقد عين
فقيدنا رئيسا لبعثة جمهورية مصر إلى مقر
الأمم المتحدة في جنيف ، وشارك في وفد

الأمانة العامة للجامعة العربية ، وكان عضوا
في مجلس اتحاد الدول العربية المتحدة سنة ٥٨
وكان وزيرا مشرفا على العلاقات الاقتصادية
والفنية مع اليمن والجزائر ، ثم مستشارا
اقتصاديا لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ،
ثم مشرفا على الحوار العربي الأوربي في
الجامعة العربية . وقد تولى وزارة العلاقات
الثقافية الخارجية سنة ٦٤ ، ٦٥ فاهتم
بالعلاقات غير السياسية بين مصر وغيرها
من الأمم ولا سيما التالى منها ، من ناحية
التعاون الفني والثقافي والاقتصادي .

وكان مقورا للمؤتمر الأول للاقتصاد بين
العرب (وهو الذي عقد في القاهرة عام ٦٠)
فوجه الجهود إلى توحيد المصطلحات
الاقتصادية تلافيا للاضطراب الذي يقع
بسبب تعدد مدلولاتها ، وكان الفقيد رئيسا
مؤسسا للجنة الاقتصادية في المجلس الأعلى
للغنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فأسهم
في وضع معجم اقتصادي بالعربية .

وهكذا نرى من نشاطه العلمي والعمل
أن إنتاج فقيدنا كان غزيرا ومتنوعا في
المجالات الاقتصادية والتشريعية والاجتماعية
واللغوية والوطنية والعربية والدولية .

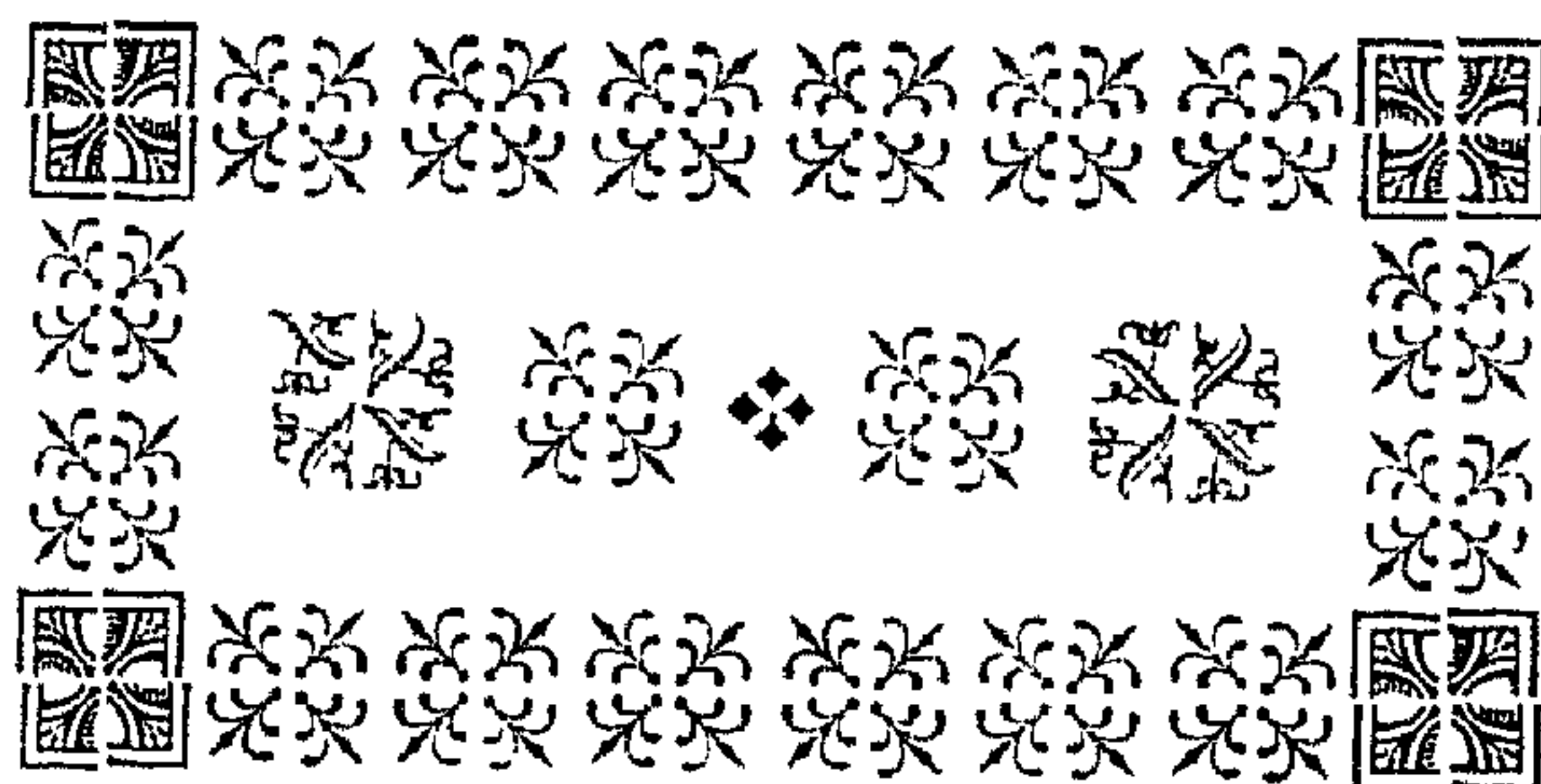
سيدي الرئيس ، سيداتي وسادتي :

« كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون
أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار

وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا
من حضر منهم ومن تغيب ، وتحية لك مع
النبيين والصديقين ، وسلام عليك يوم
ولدت ويوم تبعث حيا .
صلى الله العظيم

رحمك الله يا حسن ، وسلام عليك في
الخالدين ، وسلام على أهلك ومحبيك .
ألمهم وألمنا الله الصبر على فراقك .
وسلام عليك من زملائك في مجيئنا .
تغمداً الله فقيدنا بفيض رحمته ، وجزاه
عنا خير الجزاء .
والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

توفيق الطويل
عضو المجمع



٣ - كلمة الأسرة

للمستشار عبد المنعم خلاف

أواخر عام ست وستين أو مطلع عام سبع وستين ، عضوا بمكتب تنفيذى قسم أول الجيزة بالاتحاد الاشتراكي العربى وتشرفت بالعمل مع لجنة المجمع . وفى أول لقاء وجدتهى أجلس بين عمالقة فى العلم والأدب ، أذكر منهم المرحوم الدكتور طه حسين والمرحوم الأديب محمود تيمور وأستاذى الجليل الفاضل الدكتور إبراهيم مذكور أطل الله فى عمره وأبقاه ذخرا لنا وللمجمع ، وبقدر ما سعدت فى ذلك الوقت باللقاء بقدر ما أخذتني الرهبة منه ورحت أنهى خبره للفقيه الراحل ، فقال لى عبارة ما زالت ترن فى أذنى وكأنى أسمعها منه الآن « لقد دخلت محرابا مقدسا فاحرص على قدسيته ومكانته »

ولم يمض وقت طويل حتى كانت حرب الخامس من يونية عام سبع وستين وقبل أن ينتصف ذاك النهار وفى تلك الظروف الحالكة وكانت قد سرت بين الناس أخبار الهزيمة وراح الكل فى قلق وتمزق يرقبون الأخبار ، وفى هذا الجو المقبض إذ يفد إلى مكتب تنفيذى الجيزة أخ من المجمع يحمل لى رسالتين أولهما شفوية يعرض فيها أنجمع

السيد الأستاذ الفاضل الدكتور رئيس المجمع السادة الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع السيدات والسادة :

إذ أتقدم باسم أسرة الفقيد الكريم المرحوم الدكتور حسين خلاف بخالص الشكر والتقدير لمجمع اللغة العربية ومجلسه الموقر لإقامة هذا الحفل - لا تسعفى الكلمات للتعبير عما يجيش فى صدورنا جميعا ، أفراد الأسرة ، نحو هذه المبادرة الرقيقة والمشاركة العاطفية من جانب المجمع لمواساة الأسرة فى فقيدها الراحل الكريم ؟

وإن ما سمعناه الآن من كلمات تأبين للفقيه يقصر دونها كل تعبير بالشكر أو الشناء والتقدير .

إن لهذا الصرخ الشامخ وأعضائه الأجلاء والعاملين به أكبر مكانة فى نفوسنا وفى قلوبنا . ولقد كانت هذه هى نظرة الفقيد الراحل لهذا المكان المقدس منذ أمد طويل وقبل أن يتشرف بعضوية المجمع .

وتحضرنى واقعة تكشف عن مدى تقديره رحمه الله ، لهذا المجمع وأعضائه فقد كنت فى

كل امكانياته لخدمة المعركة واستعداده لتلبية ما يطلب منه ، والثانية خطية من الأديب المرحوم محمود تيمور يعرض فيها تبرعه بخمسين نسخة من كتبه المتعددة إلى قواتنا المسلحة .

وأكبرت هذه المبادرة العظيمة من المجمع ومن الأديب الراحل الأستاذ محمود تيمور ولم أملك وقتها إلا تحميل الرسول الشكر العميق والتقدير والامتنان لهذا الموقف الوطني والإنساني وهو أمر ليس بالغريب على مجمع اللغة العربية وأعضائه الأفاضل .

وكان أن عرجت على منزل فقيدنا الراحل الدكتور حسين خلاف وقصصت عليه ما كان من مبادرة المجمع والمرحوم الأديب محمود تيمور فعقب على حديثي بقوله « أليسوهم حمة اللغة العربية لسان هذا الوطن الأم » .

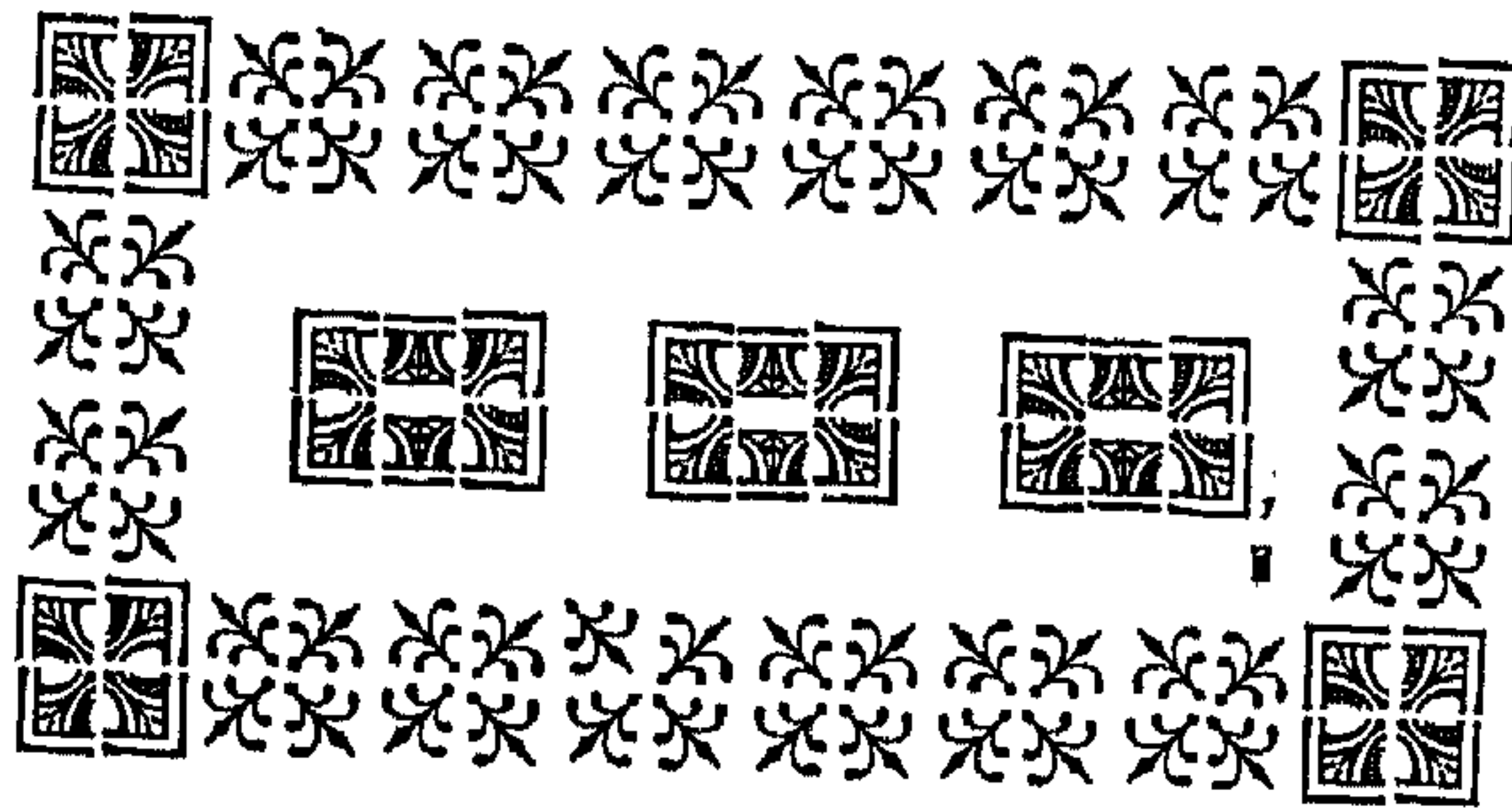
تلك كانت هي نظرة الراحل الكريم لهذا المكان المقدس ، نظرة ملوها التقدير والإعزاز والفخر .

ولم تكن نظراته هذه للمجمع من فراغ ، بل من منطلق اعتزازه باللغة العربية وحرصه الدائم عليها إلى درجة أنه كان يحرص على التحدث بها في اللقاءات الخاصة بالأسرة مستهدفا في ذلك أن نسير على نهجه ونتمسك باللغة العربية في أحاديثنا مع الحرص على قواعدها .

وكم من مرة دخل عليه أحدنا إلا وجدته ممسكا بكتاب أدب أو شعر ويتلو عليه فقرات مما يقرأ ، وإذا بالجلسة تتحول إلى حوار أدبي حول هذا الكتاب .

ولإن الأسرة إذ افتقدته رحمه الله لتجد السلوى في ذكره وأكثر من ذلك تجد أساتذة أجلاء في هذا المجمع العظيم يحملون الأمانة ويرفعون لواء اللغة العربية . وفقكم الله في رسالتكم الخطيرة ومتعكم بالصحة والعافية وحفظكم الله للوطن العزيز ولأمتنا العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله



من أنبياء المجمع

نائب رئيس المجمع :

تم انتخاب الدكتور مهدي علام نائبا لرئيس المجمع في ديسمبر سنة ١٩٨٣ م .

الأمين العام للمجمع :

تم انتخاب الأستاذ عبد السلام هارون أمينا عاما للمجمع في يناير سنة ١٩٨٤ م .

وفاة بعض أعضاء المجمع :

استأثرت رحمة الله تعالى ببعض السادة أعضاء المجمع ، وهم
الاسانذة : الدكتور محمد محمود الصياد ، والدكتور أحمد عمار ،
والدكتور أحمد الحوفي ، والأستاذ محمد خلف الله أحمد ، والأستاذ
بدر الدين أبو غازي ، والدكتور محمد رفعت فتح الله ، والأستاذ
الشيخ أحمد هريدي ، والأستاذ محمد عبد الغني حسن ، والدكتور
حسين خلاف ، والأستاذ الشيخ ابراهيم القبطان (عضو المجمع
المراسل من الأردن) . رحمهم الله جميعا .

انتخاب أعضاء عاملين بمؤتمر المجمع :

تم انتخاب بعض الاساتذة العلماء العرب والمستعربين أعضاء عاملين
بمؤتمر المجمع ، وهم السادة :

- الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى (العراق)
- الدكتور حسنى سبيح (سوريا)
- الدكتور عدنان الخطيب (سوريا)
- الدكتور عبد الكريم خليفه (الأردن)
- الدكتور أحمد طالب ابراهيمي (الجزائر)
- الدكتور رودلف زلهاييم (ألمانيا)
- الدكتور جاك برك (فرنسا)
- الدكتور روبرت سرجانت (بريطانيا)

أعضاء حصلوا على جوائز :

- فاز الدكتور هشوقى ضيف (عضو المجمع) بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب لعام ١٤٠٣ هـ .

● وفاز الأستاذ محمود محمد شاكر (عضو المجمع) بنفس الجائزة لعام ١٤٠٤ هـ .

● فاز الدكتور توفيق الطويل (عضو المجمع) بجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام ١٩٨٤ م .

خبراء جدد :

ق مجلس المجمع على اختيار خبراء لبعض لجانه ، وهم السادة :

لدكتور المهندس عبد الرزاق عبد الفناح (للجنة الهندسية)
لدكتور أحمد سالم الصباغ

لدكتور السيد محمد الفزى
لدكتور عبد الشافي عبادة (للجنة الرياضية)

لدكتور أسامة إبراهيم الدسوقي

(للجنة المعالجة الالكترونية للمعلومات)

لدكتور محمد بسعد الدين كراوية (للجنة الكيمياء والصيدلة)
الأستاذ عبد الله اسماعيل نبيه

الأستاذ المهندس حسن عبد الله (للجنة علوم الأحياء والزراعة)
الأستاذ عبد الله اسماعيل نبيه

الدكتور ابراهيم عبد الهادي فرج (للجنة النفط)

الدكتور عز الدين فريد
الدكتور يوسف أبو حجاج (للجنة الجغرافيا)

الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على

الدكتور صلاح البحري

الدكتور سيد توفيق

الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب

الدكتور رؤوف عباس حامد

الدكتور حسين محمد ربيع

المهندس محمد أبو العمام

الأستاذ عبد الرؤوف يوسف

الأستاذ محمود حلمي

الأستاذ أحمد عبد الرحمن خليل

(للجنة التاريخ)

- الدكتور سعيد اسماعيل
 - الدكتور محمود عبد القادر
 - الدكتور سليمان الخضرى
 - الدكتور عبد الراضى ابراهيم محمد

للجنة التربية وعلم النفس

- الدكتور محمد عزت حجازى (للجنة الفلسفة والاجتماع)

- الدكتور عيسى محمد أبو طبل
 - الدكتور فخر الدين على الفقى

(للجنة الاقتصاد)

- الدكتور محمد حسنين عبد العال
 - الدكتور محمود نجيب حسنى
 - الدكتور على جمال الدين عوض
 - الدكتور محمد لبيب شنب
 - الدكتور أبو زيد محمد رضوان
 - الدكتور صلاح الدين عامر

(للجنة القانون)

- الدكتورة سمحة الخولى (للجنة الفاظ الحضارة والفنون)

- الأستاذ عبد العليم السيد فودة
 - الدكتور عيد درويش
 - الأستاذ محمد محمود عبد الله

(للجنة معجم الفاظ القرآن الكريم)

- الأستاذ عبد العليم السيد فودة (للجنة الأصول)

صلات المجمع الخارجية :

● مثل الدكتور ابراهيم مذكور (رئيس المجمع) المجمع في الاحتفال بالذكرى المئوية للأستاذ لويس ماسينيون (عضو المجمع) في باريس في ٦ من ديسمبر سنة ١٩٨٣ لمدة اسبوع .

● كما مثل الدكتور مجدى وهبة المجمع في المؤتمر السنوى لاتحاد الجامعات الدولى الذى عقد في مدينة بروكسل من ١٧ - ٢٣ يونية سنة ١٩٨٤ م .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الإدارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٠ / ١٩٨٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٨٤٥ — ١٩٨٦ — ٢٠٠٠

